

سِلْسِلَةُ إِعْلَامِ الْأَنَامِ بِعُلُوقِ قَدْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

المَعَارِفُ العَلِيَّةُ

فِي الْخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ

(يحتوي على أكثر من 215 خصوصية للحبيب ﷺ)

الكتاب الخامس

تأليف

الدكتور / أحمد خضر حسنين الحسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي اختصَّ مَنْ شاءَ مِنْ عِبَادِهِ بما شاءَ ؛ وفضلَ سيدنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الرّسل والأنبياء عليهم جميعا صلوات رب الأرض والسماء.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علي سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين صاحب الخصائص التي لا تعد ولا تحصى وذلك من فضل ربه الأعلى وعلى آله وصحبه أولي الأحلام والنهي.

أما بعد : فهذا هو الكتاب الخامس من **سِلْسِلَةِ إِعْلَامِ الْأَنَامِ بِعُلُوقِ قَدْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ¹**؛ وموضوعه هو بيان الخصائص النبوية التي اختصَّ الله تعالى بها عبده ورسوله مُحَمَّدًا ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام- وهي خصائص كثيرة، اختصه الله تعالى بها تشريفاً له وتكريماً مما يدلُّ على جليل رُتَبَتِهِ وشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

ويعتبر **علم الخصائص النبوية** من أجَلِّ العلوم التي تبين علوَّ قدر سيدنا محمد ﷺ عند ربه ورفعة منزلته كما أنه يُبين علو مكانته بين الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فقد منحه ربه تعالى ما لم يمنح أحدا منهم فضلا عن بقية المؤمنين على اختلاف منازلهم ودرجاتهم عند الله تعالى؛ وقد

¹ - الكتب الأربعة الأول من هذه السلسلة هي :

1/ إِيضَاخُ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ لِتَفْصِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

2/ بَدْرِ التَّمَامِ الْجَامِعِ لِأَحَادِيثِ فَضَائِلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وهو يحتوي على 280 فضيلة من الفضائل المحمدية).

3/ فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام الردود.

4/ تهذيب كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم - مؤلفه أبو المكارم أفندي - من علماء الدولة العثمانية - (تحقيق واختصار وتعليق).

وجميعها منشورة - بحمد الله تعالى - في موقع صيد الفوائد.

وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تُصرِّحُ بعلو منزلته الكريمة صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنه أعلى النَّاسِ قدرًا، وأعظمهم محلاً وأكملهم محاسن وفضلاً.

قال العلامة يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي: (اعلم أن التفضيل إنما يكون إذا ثبت للفاضل من الخصائص ما لا يوجد للمفضول مثله ، فإذا استويا في أسباب الفضل وانفرد أحدهما بخصائص لم يشركه فيها الآخر كان أفضل منه ؛ وأما ما كان مشتركاً بين الرجل وغيره من المحاسن فتلك مناقب وفضائل ومآثر لكن لا تُوجب تفضيله على غيره إذا كانت مشتركة ليست من خصائصه ؛ وإذا اتحدت الفضيلتان فكانتا من جنسٍ واحد لكن كانت إحداهما أكمل من الأخرى وأعظم أو أعجب أو أبلغ فلا ريب أنَّ صاحب ذلك أفضل في ذلك ؛ ومحمد - صلى الله عليه وسلم - قد امتاز عن غيره بأمر لم يشركه فيها غيره وشارك غيره في أمور كثيرة على الوجه الأكمل فظهرت مزيته على مزية غيره وفضيلته على من عداه)¹.

والباحث قد جمع في هذا الكتاب ما أقدره الله تعالى عليه من **الخصائص النبوية التشريعية التكريمية** دون غيرها من بقية أنواع الخصائص - وقد زادت على الـ 215 خصوصية - لأن العلماء قسموا الخصائص النبوية إلى قسمين كبيرين وهي² :

الأول : خصائص تشريعية: وهي ما اختص به ﷺ في بعض الأحكام الفقهية كإباحة الزواج من أكثر من أربع زوجات ، ووجوب قيام الليل ، وتحريم أكل البصل وغيرها كثير.

1 - خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب - للعلامة يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي - ص (328).

2 - سيأتي بيان الأقسام بالتفصيل في التمهيد إن شاء الله تعالى.

الثاني: خصائص تفضيلية : وهي الفضائل والتشريفات التي كرم الله بها نبينا مُحَمَّدًا ﷺ دون غيره¹ من الأنبياء عليهم السلام، في الدنيا والآخرة، وسأتي تفصيل الكلام على كلا القسمين في التمهيد إن شاء الله تعالى.

ولما كانت الكتابة في هذا الأقسام كلها سيؤتي إلى إطالة الموضوع جدا وإلى كثرة عدد صفحاته اقتضت على قسم واحد وهو **الخصائص تفضيلية الخاصة به ﷺ في الدنيا والآخرة.**

ولا يفوتني أن أنبهك أيها القارئ الكريم إلى أنني تركت معظم الخصائص المتعلقة بجسده الشريف ﷺ وأرجأت الحديث عنها في مؤلف منفرد - إن شاء الله تعالى - وذلك لكثرتها ولكن أشرت إلى بعضها في هذا الكتاب.

منهجي في البحث:

1/ إثبات الخصيصة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وقد تجتمع في الخصوصية الواحدة عدد من الآيات والأحاديث وقد لا تثبت إلا بآية واحدة أو حديث واحد صحيح أو حسن.

2/ تفسير الآيات الواردة في الخصيصة النبوية وشرح الأحاديث من المصادر الموثوقة في كتب التفاسير وشروح الأحاديث النبوية الشريفة.

3/ ذكُرُ من نص على الخصوصية من أهل العلم ممن ألف في علم الخصائص أو السيرة أو الشمائل في حالة عدم وضوح أن تلك الخصيصة من خصوصياته صلى الله عليه وسلم.

4/ نقل أقوال السلف وغيرهم من العلماء في بيان تلك الخصيصة النبوية إن وجد.

1 - خصائص المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الغلو والجفاء - ص24.

5/ قسمت البحث إلى فصول وتحت كل فصل مجموعة من الخصائص المتقاربة في معناها أو التي وردت في سورة واحدة كما سترها إن شاء الله تعالى؛ والعلة في هذا التقسيم هو تيسير إحصائها لكثرتها وتنوعها.

وفي ختام هذه المقدمة أحببت أن أنبهك أخي القارئ الكريم إلى أن ما في هذا الكتاب من علم جهد بشري أراد به مؤلفه الخير لنفسه ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يخلو من تقصير في بعض مباحثه أو خطأ في بعض عباراته أو غفلة عن كتابة بعض المراجع كما أنني قد اختلفت معي القارئ في بعض ما أذهب إليه من كلام العلماء في بعض المسائل ، فينبغي ألا يحول ذلك كله دون الاستفادة مما فيه.

وأرجو منك أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة ألا تنسياني من دعواتكما الصالحة في الخلوات والجلوات ونوافل الصلوات.

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وشرف وكرم وعظم وزاد وأنعم.

إلهي:

ما زلت أعرف بالإساءة دائماً ويكون منك الصفح والغفرانُ

لم تنتقصني إن أسأتُ وزدتنى حتى كأنَّ إساءتي إحسانُ

منك التفضلُ والتكرُّمُ والرضا أنتَ الإلهُ المنعمُ المنانُ

كتبه : راجي عفو ربه ذي المنن : أحمد خضر حسنين الحسن

كان الفراغ منه يوم الاثنين: 6/ شعبان - 1436 - الموافق 2015/5/25

العناوين العامة لفصول الكتاب

التمهيد : بيان مفهوم علم الخصائص وأقسامه وفوائده وأهم المؤلفات فيه.

الفصل الأول : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى فضله على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

الفصل الثاني : اختصاصه ﷺ بمعجزته الخالدة القرآن الكريم وما فيها من الخصوصيات - (وفيه 15 خصوصية).

الفصل الثالث: الخصائص التي أعطاها ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج - (وفيه 15 خصوصية).

الفصل الرابع : الخصائص التي أعطاها النبي ﷺ بإظهار علو رتبته على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام - (وفيه 18 خصوصية).

الفصل الخامس : الخصائص التي أعطاها النبي ﷺ لإظهار علو رتبته على أولي العزم من الرسل وغيرهم من الرسل عليهم السلام - (وفيه 25 خصوصية).

الفصل السادس : الخصائص المتعلقة بإرساله ﷺ رحمة للعالمين و وكونه أمانة لأصحابه كونه منة على المؤمنين - (وفيه 3 خصوصيات).

الفصل السابع :اختصه الله تعالى بأن أقسم به ﷺ وله تشريفا وتعظيما له ولرسالته وكتابه - (وفيه 7 خصوصيات).

الفصل الثامن : خصائصه ﷺ الواردة في سورة الأحزاب - (وفيه 3 خصوصيات).

الفصل التاسع : خصائصه ﷺ الواردة في سورة الفتح - (وفيه 6 خصوصيات).

الفصل العاشر : من خصائصه ﷺ أن الله أمده بالملائكة في غزواته وجعلها تشتاق لرؤيته - (وفيه 6 خصوصيات).

الفصل الحادي عشر: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قرن اسمه تعالى باسمه ﷺ في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية- (وفيه خصوصيتان: الأولى في 30 موضعا في القرآن - والثانية ورد فيها 15 حديثاً).

الفصل الثاني عشر : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث عشر : اختصاصه بكثرة أسمائه الشريفة ﷺ (وفيه شرح 42 اسما).

الفصل الرابع عشر: اختصاصه ﷺ بذكر جميع أعضائه في القرآن وبجمال صورته الظاهرة وشدة هيئته ﷺ (وفيه 4 خصوصيات).

الفصل الخامس عشر : اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات والدلائل الباهرات الحسية والمعنوية - (وفيه 16 خصوصيات).

الفصل السادس عشر : اختصاصه ﷺ ببعض الخصائص في شريعته الخاتمة - (وفيه 12 خصوصيات).

الفصل السابع عشر : اختصاصه ﷺ بجواز التبرك به وبآثاره.

الفصل الثامن عشر اختصاصه ﷺ بأن عُرِضَتْ عليه الأمم عامة وأمتة وأعمالهم خاصة وعرضت عليه الجنة والنار - (وفيه 6 خصائص).

الفصل التاسع عشر : اختصاصه ﷺ بأنواع من العصمة والحفظ والرعاية والعناية الإلهية- (وفيه 7 خصائص).

الفصل العشرون :الخصائص التي اختصّ الله عزّ وجل بها النبي ﷺ في الآخرة - (وفيه 28 خصوصية).

التمهيد

بيان مفهوم علم الخصائص وأقسامه وفوائده وأهم المؤلفات فيه

المحور الأول : مفهوم علم الخصائص لغة وشرعاً :

الخصائص لغة : هي جمع خصيصة: وهي ما كان مختصاً بشيء أو مختصاً به ذلك الشيء.

الخصائص شرعاً : هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء عن سائر البشر من أمته¹.

وإن شئت فقل: هي ما اختص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وفضّله به على سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام².

المحور الثاني: أقسام الخصائص النبوية: للخصائص النبوية قسمان رئيسان:

الأول: خصائص تشريعية: وهي ما اختص به النبي ﷺ في بعض الأحكام الفقهية كإباحة الزواج من أكثر من أربع زوجات ، ووجوب قيام الليل ، وتحريم أكل البصل وغيرها كثير.

ويندرج تحتها ما انفردت به أمته عن غيرها من الأمم، مثل: حِلِّ الغنيمة كما قال الله تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة الأنفال (69).

1 / خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء - للعلامة الصادق بن محمد بن إبراهيم - ص (24).

2 / نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم - لمجموعة من العلماء - طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية - (1/ 447).

ومن ذلك ما جاء في الحديث : (وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصِلْ) رواه البخاري.

الثاني : خصائص تفضيلية : وهي الفضائل والتشريفات التي كَرَّمَ اللهُ بها نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره¹ من الأنبياء عليهم السلام، مثل: كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، ونزول القرآن عليه المعجزة الخالدة، وغيرها.

المحور الثالث : بيان أقسام الخصائص التفضيلية:

الأول : ما اختصَّ اللهُ تعالى به عبدهُ ورسولهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره من الأنبياء عليهم السلام في ذاته الشريفة في الدنيا، **ومن أمثلة ذلك:** آتاهُ اللهُ القرآنَ العظيمَ المعجزةَ المحفوظةَ الخالدةَ، ونصره بالرُّعبِ، وأرسله إلى الخلق كافةً، وختَمَ به النَّبِيِّينَ... إلى غير ذلك من الخصائص وهي كثيرة جدا.

الثاني : ما اختصَّ اللهُ تعالى به عبدهُ ورسولهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذاته الشريفة في الآخرة ؛ **ومن أمثلة ذلك:** أكرمه اللهُ تعالى بالوسيلة، والفضيلة، والحوض المورود، والمقام المحمود كما قال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) ؛ وأنه أول من ينشق عنه القبر كما قال عن نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ)** وأنه أول من يقرع باب الجنة قال عن نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

¹ - خصائص المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الغلو والجفاء - تأليف العلامة الصادق بن محمد بن إبراهيم - ص24.

(أنا أول مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجنة) إلى غير ذلك من الخصائص التي ستأتي في هذا الكتاب المبارك
إن شاء الله تعالى.

**الثالث: ما اختصَّ الله تعالى به عبده ورسوله مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته في الدنيا،
ومن أمثلة ذلك:** ما ورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ،
وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ).

**الرابع: ما اختصَّ الله تعالى به عبده ورسوله مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته في الآخرة،
ومن أمثلة ذلك:** جعلها شاهدةً للأنبياء على أئمتهم، وجعلها أول الأمم دُخُولاً الْجَنَّةِ... إلى
غير ذلك من الخصائص.

وقال بعض الباحثين: (هذه الخصائص كثيرة ومتنوعة ومتعددة: فمنها ما هو تشريعي؛ ومنها
ما هو إعجازي؛ ومنها ما هو تشريفي؛ ومنها الأخلاقي والخلقي أيضا، وكلها علامات وأمارات
لمن أرد أن ينظر إلى شرافة قدر الحبيب المصطفى؟ عند ربه وفضل الله عليه وعلى أمته وأنه لن
يستطيع إنسان أن يصل إلى مثل ما وصل إليه الحبيب المصطفى من علو القدر ورفيع المقام؛
لأن له منزلة ومكانة فوق المنازل كلها ومن ثم كان له تشريع خاص به يليق بمكانته ورفيع درجته
وسمو قدره عند الله تعالى وفي ذلك إعلام للأمة بعلو مكانته ورفيع درجته في الدنيا والآخرة وكما
قال له ربه عز وجل: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) سورة النساء آية (113)¹.

¹ - من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم والسنة النبوية - ١٠٤ / حسن السيد حامد
خطاب - (المقدمة).

المحور الرابع : الفوائد والثمار التي يجتنيها المسلم من علم الخصائص :

قد يسأل سائل ما هي فوائد معرفة علم الخصائص النبوية ؟

الجواب: هناك فوائد كثيرة في دراسة الخصائص وتذكرها ، فمن ذلك :

أ/ من فوائد معرفة الخصائص تفضيلية:

1/ بمعرفتها يزداد المسلم إيماناً مع إيمانه كما يزداد محبةً وتبجيلاً وتعظيماً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشوقاً إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

2/ ومن ثمار **معرفة الخصائص النبوية** شحذ الهمم لاتباعه والافتداء به، والتمسك بسنته وهديه ولزومها، واقتفاء أثره في حياته كلها ومنهاجه في دعوته لهذا الدين العظيم.

3/ وتدعو **معرفة الخصائص النبوية** غير المسلم لدراسة أحوال هذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ثمَّ الإيمان والتصديق به، وبما جاء به إن كان من المنصفين.

ب/ معرفة الخصائص التشريعية: من ثمرتها بيان تفرده واختصاصه بها ، وأن غيره ليس له أن يتأسى به فيها.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ عند ذكره لفوائد حديث: **(نهي رسولُ الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عن الوصال) قالوا: إنك تُواصل؟ فقال : إني لست كهيتكم)** (فيه ثبوت خصائصه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنَّ عمومَ قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)¹.

¹ - فتح الباري (242/4). وانظر: "نصرة النعيم.(1/448) "

وفضائلاً ومناقباً شماء

ملاً الوجود محاسناً وسناء

كشفت بنور ضيائها الظلّماء

وأتى إلى الأيام رحمة راحم

أنداؤه وكسا القلوب رواء

حسّنت به الدنيا وزان سماءها

فتوهّج الكون البهيم ضياء

من غاره انبعثت أشعة شمس

المحور الخامس : أهم الكتب المؤلفة في الخصائص :

1/ منية السؤل في فضل الرسول ﷺ - لسلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت660هـ) .

2/ الأنوار في خصائص النبي المختار صلى الله عليه وسلم - للحافظ ابن حجر - (ت852هـ).

3/ خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب - للعلامة يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي - (ت76هـ) .

4/ اللفظ المكرم بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم - للعلامة محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى - تلميذ ابن حجر (المتوفى سنة 892 هجرىاً).

5/ من أشهرها وأهمها كتاب الخصائص الكبرى - للسيوطي - (ت911هـ).

6/ أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب - للسيوطي - وهو اختصار لكتابه الخصائص الكبرى.

7/ مواهب الحبيب بنظم خصائص الحبيب - لأبي النجاح أحمد بن علي المنيني الحنفي - (ت 1172) وهو نظم لكتاب أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب.

8/ غاية السؤل في خصائص الرسول - لابن الملحق (المتوفى 804).

ومن الكتب المعاصرة :

1/ من معين الخصائص النبوية - لصالح الشامي .

2/ الجامع في الخصائص - لموسى بن راشد العازمي .

3/ علو قدره ﷺ عند ربه - للأستاذ الدكتور خليل إبراهيم العزامي.

4/ خصائص النبي صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء - للعلامة الصادق بن محمد بن إبراهيم.

5/ كشف الغمة ببيان خصائص الرسول ﷺ والأمة - لأبي الحسن المآري.

6/ خصائص الرسول ﷺ - لعلي بن نايف الشحود.

الفصل الأول

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى فضله على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

لقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ؛ ولو تتبعنا تلك النصوص لطلال بنا المقام ولكني أكتفي بذكر ثلاث آيات وثلاثة أحاديث ؛ كما سأضيف إليها دليلاً عقلياً وبعض الآثار فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول:

أولاً : الآيات القرآنية :

1/ قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) البقرة (253).

قال البغوي رحمه الله تعالى : (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الإمام - الشافعي - رحمه الله عليه : وما أوتي نبي آية إلا وقد أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل : انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع على مفارقتة وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء وأهل الأرض عن الإتيان بمثله .

وقال الرازي : أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض ، وعلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل.

وقال البيضاوي : ورفع بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة، أو بمراتب متباعدة. وهو محمد صلى الله عليه وسلم فإنه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة

والمعجزات المستمرة، والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر، والفضائل العلمية والعملية الفائقة للحصر.

وجاء في زهرة التفاسير: الدرجات جمع درجة ، وهي المنزلة الرفيعة السامية ، وفي التعبير بالجمع إشارة إلى علو المنزلة ، وكبر التفاوت بينه وبين غيره - صلى الله عليه وسلم - ممن لم يؤت ما آتاه الله ، وما نيظ به من تكليف هو عين التشريف .

2/ قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) الأحزاب (7)، وفي قوله سبحانه: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشورى(13) .

دلت الآية : على أن أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أولوا العزم : وأفضلهم هو نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد بين العلماء أن أفضل الأنبياء جميعا أولوا العزم وهم الوارد ذكرهم في الآية الكريمة وأن أفضل أولي العزم إجماعا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إبراهيم على الراجح من أقوال أهل العلم، واختلف في ترتيب الثلاثة الباقين، فمن أهل العلم من يتوقف عن التفضيل بينهم، ومنهم من قطع بأفضلية موسى بعد إبراهيم، وتوقف في التفضيل بين نوح وعيسى عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

يقول ابن كثير في تفسيره : ولا خلاف أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى على المشهور. اهـ.

3/ قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح : 4] فقليل فيه لأنه قرن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بذكره في كلمة الشهادة وفي الأذان وفي التشهد ، ولم يكن ذكر سائر الأنبياء كذلك.

ويقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله الرحيم الرحمن : ورفعنا لك ذكرك لم يبين هنا بم ولا كيف رفع له ذكره ، والرفع يكون حسيا ويكون معنويا ، فاختلف في المراد به أيضا .

فقليل : هو حسبي : في الأذان والإقامة ، وفي الخطب على المنابر وافتتاحيات الكلام في الأمور الهامة ، واستدلوا لذلك بالواقع فعلا ، واستشهدوا بقول حسان - رضي الله عنه - وهي أبيات في ديوانه من قصيدة دالية :

أَغْرَّ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ

وَضَمَّ الْإِلَهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهَ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

ومن رفع الذكر معنى ، أي : من الرفة ، ذكره صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء قبله ، حتى عرف للأمم الماضية قبل مجيئه¹.

ثانياً : الأدلة من الأحاديث النبوية :

الدليل الأول : في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من

¹ - سيأتي مزيد من بيان رفع ذكره صلى الله عليه وسلم في الفصل الثاني عشر.

زواياها ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البنيان فيقولون : ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤك ؟ كنت أنا تلك اللبنة) .

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) رواه الترمذي؛ فكان هو خير الناس لأهله وهو أفضل على العالمين .

الدليل الثاني : روى مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس كافة ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تكن لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي ، فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا)¹ وجه الاستدلال أنه صريح في أن الله فضله بهذه الفضائل على غيره.

الدليل الثالث : ومما يدلُّ على أن سيدنا محمد ﷺ أفضلهم أنه صلى بهم إماماً في المسجد الأقصى ليلة المعراج ، ولا يقدم إلا الأفضل ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وقد رأيْتُني في جماعةٍ من الأنبياءِ، فإذا موسى قائمٌ يُصَلِّي، فإذا رجلٌ جَعْدٌ ضَرْبٌ، كأنه من رجالِ شَنْوَةَ، وإذا عيسى ابنُ مريمَ قائمٌ يُصَلِّي، أقربُ الناسِ به شَبْهاً عروَةُ ابنُ مسعودٍ الثقفيُّ، وإذا إبراهيمُ قائمٌ يُصَلِّي، أشبه الناسُ به صاحبُكم - يعني نفسه - فحانت الصلاةُ، فأُمْتُهم، فلما فرغتُ من الصلاةِ قال قائلٌ : يا محمدُ ! هذا مالِكُ صاحبُ النَّارِ، فسَلِّمَ عليه، فالتفتُ إليه، فبدأني بالسَّلامِ) رواه مسلم.

1 / متفق عليه.

ثالثاً : الدليل العقلي : ذكر الحكيم الترمذي - مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ - دليلاً عقلياً في تقريرِ هَذَا الْمَعْنَى فقال رحمه الله تعالى : **إِنَّ كُلَّ أَمِيرٍ فَإِنَّهُ تَكُونُ مُؤَنَّتُهُ عَلَى قَدْرِ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي تَكُونُ إِمَارَتُهُ عَلَى قَرْيَةٍ تَكُونُ مُؤَنَّتُهُ بِقَدْرِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ، وَمَنْ مَلَكَ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ احْتَاجَ إِلَى أَمْوَالٍ وَذَخَائِرٍ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِ مَلِكِ الْمَوْضِعِ فَكَذَلِكَ كُلُّ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ فَأُعْطِيَ مِنْ كُنُوزِ التَّوْحِيدِ وَجَوَاهِرِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى قَدْرِ مَا حَمَلَ مِنَ الرِّسَالَةِ، فَالْمُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ فِي طَرَفٍ مَخْصُوصٍ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا يُعْطَى مِنْ هَذِهِ الْكُنُوزِ الرُّوحَانِيَّةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَالْمُرْسَلُ إِلَى كُلِّ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِنْسِهِمْ وَجَنَّتِهِمْ لَا بُدَّ وَأَنْ يُعْطَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقُومَ بِسَعْيِهِ بِأُمُورِ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَتْ نِسْبَةُ نُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نُبُوءَةِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَنِسْبَةِ مَلِكِ كُلِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِلَى مُلِكِ بَعْضِ الْبِلَادِ الْمَخْصُوصَةِ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ لَا جَرَمَ أُعْطِيَ مِنْ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، فَلَا جَرَمَ بَلَغَ فِي الْعِلْمِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) النجم الآية (15)¹.**

رابعاً : أقوال العلماء سلفاً وخلفاً في إثبات هذه الخصوصية لنبينا محمد ﷺ :

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: يا بن عباس بم فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) [الأنبياء:29]، وقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح:1-2] قالوا: يا ابن عباس فما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله عز

¹ - نقلا من كتاب تهذيب كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم - تأليف العلامة أبي المكارم أفندي من علماء الدولة العثمانية - ص (37) - تحقيق وتعليقي.

وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم:4] وقال الله عز وجل
محمد ﷺ: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) [سبأ:28] فأرسله إلى الجن والإنس).

فمن ذلك ما نقل من عقيدة الإمام أحمد إمام أهل السنة أنه : (كان يعتقد أن محمداً ﷺ
خير الرسل، وخاتم الأنبياء، والشهيد على الجميع)، وأنه كان يقول: (إن بعض النبيين أفضل
من بعض ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم).

وعقد النووي في شرح صحيح الإمام مسلم باباً قال: (باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم على جميع الخلائق) .

وعقد الآجري باباً في كتابه (الشريعة) فقال: (باب ذكر ما فضل الله عز وجل به نبينا صلى
الله عليه وسلم في الدنيا من الكرامات على جميع الأنبياء) .

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: (فصل: ونعتقد أن محمداً المصطفى خير الخلائق
وأفضلهم وأكرمهم على الله عز وجل وأعلاهم درجة وأقربهم إلى الله وسيلة) .

ويقول القاضي عياض اليحصبي في كتابه : (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) :

(فَمَا ظَنُّكَ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ
مَقَالٌ وَلَا يُنَالُ بِكَسْبٍ وَلَا حِيلَةٍ إِلَّا بِتَخْصِيصِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ مِنْ فَضِيلَةِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْخَلَّةِ
وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِسْرَاءِ وَالرُّؤْيَا وَالْقُرْبِ وَالذُّنُوبِ وَالْوَحْيِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالذَّرَجَةِ
الرَّفِيعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْبُرَاقِ وَالْمِعْرَاجِ وَالْبَعْثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالصَّلَاةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَادَةِ
بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ وَسَيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ وَلَوَاءِ الْحَمْدِ وَالْبِشَارَةِ وَالنَّذَارَةِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
وَالطَّاعَةِ ؛ وَالْأَمَانَةِ وَالْهُدَايَةِ وَرَحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ وَإِعْطَاءِ الرِّضَى وَالسُّؤْلِ وَالْكَوْثَرِ وَسَمَاعِ الْقَوْلِ وَإِتْمَامِ

النِّعْمَةِ وَالْعَفْوِ عَمَّا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ وَشَرَحَ الصَّدْرَ وَوَضَعَ الْإِصْرَ وَرَفَعَ الذِّكْرَ وَعَزَّزَ النَّصْرَ وَنَزَلَ السَّكِينَةَ وَالتَّائِيدَ بِالْمَلَائِكَةِ وَإِنَاءَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ وَالسَّبْعَ الْمَنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَتَرْكِيهَ الْأُمَّةِ وَالِدُعَاءَ إِلَى اللَّهِ وَصَلَاةَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةَ وَالْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ وَوَضَعَ الْإِصْرَ وَالْأَغْلَالَ عَنْهُمْ وَالْقَسَمَ بِاسْمِهِ وَإِجَابَةَ دَعْوَتِهِ وَتَكْلِيمَ الْجَمَادَاتِ وَالْعُجَمَ وَإِحْيَاءَ الْمَوْتَى وَإِسْمَاعَ الصُّمِّ وَنَبَعَ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرَ الْقَلِيلِ وَانْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَرَدَّ الشَّمْسِ وَقَلْبَ الْأَعْيَانِ وَالنَّصْرَ بِالرُّعْبِ وَالْإِطْلَاعَ عَلَى الْغَيْبِ وَظِلَّ الْعَمَامِ وَتَسْيِيحَ الْحَصَى وَإِثْرَاءَ الْأَلَامِ وَالْعِصْمَةَ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَا لَا يَحْوِيهِ مُحْتَفِلٌ وَلَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ إِلَّا مَا نَحْنُ ذَلِكَ وَمُقْضِلُهُ بِهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ وَدَرَجَاتِ الْقُدُسِ وَمَرَاتِبِ السَّعَادَةِ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ الَّتِي تَقِفُ دُونَهَا الْعُقُولُ وَيَحَارُ دُونَ إِدْرَاكِهَا الْوُهُمُ).

ويقول السيوطي : ونعتقد أن أفضل الخلق على الإطلاق حبيب الله الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يليه إبراهيم في التَّفْضِيلِ، فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَهُ نَقْلَ بَعْضُهُمُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي الصَّحِيحِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ خَصَّ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَقِيَ عَلَى عُمُومِهِ، فَمُوسَى، وَعِيسَى، وَنُوحُ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى نَقْلِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَفْضَلَ. اهـ بتصرف.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ). ولقد فهم العلماء من هذا النص وغيره من النصوص الواردة في فضائل نبينا ﷺ أنه أفضل الخلق.

قال النووي رحمه الله في "شرح صحيح مسلم" : (وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم ، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وقد اتفق المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق جاها عند الله ، لا جاه لمخلوق أعظم من جاهه ، ولا شفاعاة أعظم من شفاعته). انتهى¹.

1 - وقد تتابع العلماء على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أفضل الخلق ، ونكتفي بالإشارة إلى بعض مواضع كلامهم خشية الإطالة : الإمام الشافعي في "الأم" (167/4) . والإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (419/2) . شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (313/1) و (127/5، 468). وابن القيم في تهذيب السنن حديث رقم (1787) من عون المعبود . وابن حجر في "فتح الباري" شرح حديث رقم - (6229) والمرداوي في " الإنصاف - (422/11) والألوسي في "روح المعاني - (284/4) والطاهر بن عاشور في تفسيره (420/2) .. والسعدي في تفسيره (51، 185، 699). ومحمد الأمين الشنقيطي في "أضواء البيان" (215/9) . والشيخ عبد العزيز بن باز في فتاويه.

وعلماء اللجنة الدائمة للإفتاء ، وقد سئلوا : هل نقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم خير البشر أو خير الخلق ؟ وهل هناك دليل على أنه خير الخلق ، كما يقول كثير من الناس؟

فأجابوا : جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة بيان عظم قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند ربه تعالى من خلال الفضائل الجليلة والخصائص الكريمة التي خصه الله بها ، مما يدل على أنه أفضل الخلق وأكرمهم على الله وأعظمهم جاها عنده سبحانه ، قال الله سبحانه : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) النساء/113 ، وأجناس الفضل التي فضله الله بها يصعب استقصاؤها ؛ فمن ذلك : أن الله عز وجل اتخذ خليلا ، وجعله خاتم رسله ، وأنزل عليه أفضل كتبه ، وجعل رسالته عامة للثقلين إلى يوم القيامة ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأجرى على يديه من الآيات ما فاق به جميع الأنبياء قبله ، وهو سيد ولد آدم ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع ، ويبد له لواء الحمد يوم القيامة ، وأول من يجوز الصراط ، وأول من يقرع باب الجنة ، وأول من يدخلها . . . إلى غير ذلك من الخصائص والكرامات الواردة في الكتاب والسنة ، مما جعل العلماء يتفقون على أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعظم الخلق جاها عند الله تعالى.

فائدة : قال العلامة أبو النجاح أحمد بن علي الهني (توفي : 1172) في مقدمة منظومته
مواهب المحيب في نظم خصائص الحبيب:

واختارَ للتخصيصِ منهمُ أحدا مَنْ جاءَ ختماً وهو مفتاحُ الهدى
بأنَّه الجامعُ ما تفرَّقاً مَنْ كلِّ فضلٍ فيهمُ تحقّقاً
فَهُمْ لِبَعْثِهِ مقدماتُ بدت بهذا لهم آياتُ¹

ثم قال بعدها بأبيات:

والخيرُ كلَّ الخيرِ في محبَّتِهِ والبحثِ عن آثارِهِ وسنَّتِهِ
وإنَّ مِنْ أهِمِّ شيءٍ يُقصدُ ويُعتنى بذكرِهِ ويُورَدُ
خصائصاً له ومعجزاتِ بها الإله أنزل الآياتِ

¹ - بدليل قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَفَرَزْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) سورة آل عمران (81) .

الفصل الثاني

اختصاصه ﷺ بمعجزته الخالدة القرآن الكريم وما فيها من الخصوصيات

مدخل : وجوه إعجاز القرآن الكريم.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى له جمع جميع مراتب الوحي.

الخصوصية الثانية : أن القرآن هو معجزته ﷺ وهي باقية ومحفوظة إلى يوم الدين.

الخصوصية الثالثة : أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف.

الخصوصية الرابعة : أن القرآن أنزل من سبعة أبواب من السماء.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن كتابه فضّل بالمفصل.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بالفاحة وخواتيم سورة البقرة.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ أن القرآن أنزل عليه مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع.

الخصوصية الثامنة : نزول سورة الأنعام كاملة جملة واحدة يشيعها جمع من الملائكة.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأن في كتابه الناسخ والمنسوخ.

الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن جعل كتابه مهيمناً على الكتب السابقة.

الخصوصية الحادية عشرة : اختصاصه ﷺ بتيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه على أمته.

الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ بالثواب العظيم لمن يقرأ حرفاً من القرآن.

الخصوصية الثالثة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الملك يضع فمه على فم قارئ القرآن الكريم.

مدخل

وجوه إعجاز القرآن الكريم

القرآن الكريم : هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمتعبد بتلاوته، والمتحدي بأقصر سورة منه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه من البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) رواه البخاري .

وجوه إعجاز القرآن الكريم: قال ابن حجر رحمه الله : (المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ؛ لأن كل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبةً لحال قومه ، كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقفت ما صنعوا ولم يقع ذلك بعينه لغيره ، وكذلك إحياء عيسى عليه السلام الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه ؛ ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدرُوا على ذلك).

وقال الإمام الماوردي رحمه الله : (والقرآن أول مُعْجَزٍ دعا به مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم - إلى نبوته فصَدَعَ فيه برسالته، وُحِصَّ بإعجازه من جميع رُسُلِهِ)¹.

والإعجاز القرآني يتمثل في أمرين:

الأول: إعجازه من حيث ألفاظه وتراكيبه وبلاغته، فهو يجمع المعاني العظيمة الكثيرة بأجل لفظ وأخصر عبارة، وقد تحدى الله العرب البلغاء الفصحاء مجتمعين مع الجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال الله تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ [الطور:34].

وقال تعالى: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) [الإسراء:88].

بل تحداهما بسورة واحدة، قال الله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة:23].

وقد عجز الجميع عن أن يأتوا بسورة في حجم سورة العصر فأَيَّ إعجاز بعد هذا!!

والثاني: الحقائق العلمية التي أخبر عنها في كتابه في مختلف التخصصات وتوصل العلماء إلى بعضها في هذا العصر.

ونقل السيوطي في الإتقان في علوم القرآن قوله: اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن.. فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشرة معشاره. **فقال قوم:** هو الإيجاز مع البلاغة.

¹ - أعلام النبوة - للماوردي - ص 57-58 .

وقال آخرون: هو البيان والفصاحة، **وقال آخرون:** هو الرصف والنظم، **وقال آخرون:** هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه، **وقال آخرون:** هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته، **وقال آخرون:** هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية، **وقال آخرون:** هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع، **وقال آخرون:** هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها.

وقال الزركشي في البرهان: أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله فلا معنى نسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع؛ بل وغير ذلك مما لم يسبق.

فمنها: الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقر والجاحد.

ومنها: أنه لم يزل ولا يزال غصاً طرياً في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئ.

ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعدوبة، وهما كالمضادين لا يجتمعان - غالباً - في كلام البشر،

ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع

فيه إليه، كما قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [النمل: 76].

وقال الخطابي: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس - أي غفلوا عنه - وهو:

صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا

قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه، قال الله تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر:21].

وقال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر:23]. **وأقول هذه الخصوصية تتركب من عدة خصائص :**

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى له جمع جميع مراتب الوحي

مما هو معلوم أنه لا تكون النبوة إلا بوحي من الله تعالى ولا نبوة إلا باصطفاء من الله تعالى والنبوة لا تدرك بالاجتهاد في فعل الخير ولا بنحوه ، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه كما بين درجات الوحي في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ) سورة الشورى (51) .

قال في التفسير الوسيط: هذه الآية الكريمة قد دلت على أن تكليم الله تعالى للبشر، وقع على ثلاثة أوجه:

الأول: عن طريق الوحي، وهو الإعلام في خفاء وسرعة عن طريق الإلقاء في القلب يقظة أو مناما، ويشمل الإلهام والرؤيا المنامية. والوحي مصدر أوحى، وقد غلب استعماله فيما يلقي للمصطفين الأخيار من الكلمات الإلهية.

والثاني: عن طريق الإسماع من وراء حجاب، أى حاجز، بأن يسمع النبي كلاما دون أن يرى من يكلمه، كما حدث لموسى. عليه السلام- عند ما كلمه ربه- عز وجل-، وهذا الطريق هو المقصود بقوله- تعالى-: **أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**.

والثالث: عن طريق إرسال ملك، وظيفته أن يبلغ الرسول ما أمره الله بتبليغه له، وهو المقصود بقوله- تعالى- **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**.

وهذا الطريق الثالث قد وضحه الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن عائشة- رضى الله عنها- أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس- وهو أشده على- أى: أحيانا يأتينى مشابها صوته وقوع الحديد بعضه على بعض- فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعنى ما يقول .

قالت عائشة: (ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا).رواه مسلم .

لقد اشترك في مراتب الوحي آنفة الذكر جميع الأنبياء عليه السلام ، وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم تلك المراتب وزاده مراتب أخر غيرها لم تقع للأنبياء السابقين عليهم السلام ، وهذا ما سأبينه في النقاط التالية:

المرتبة الأولى: الرؤيا الصالحة، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم وكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **(كان أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)** ، وهذا النوع من الوحي استمر ستة أشهر قبل أن يأتيه جبريل

عليه السلام في حراء ، ولا شك أن الرؤى الصالحة استمرت معه صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته بل وكانت كثيرة جدا .

المرتبة الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة صُدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ روح القدس نفث في روعي أنَّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإنَّ الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته) ¹.

المرتبة الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً، أخرج مسلم من حديث عمر رضي الله عنه الطويل وفيه: (يا عمر أتدري من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .

المرتبة الرابعة: أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال) .

المرتبة الخامسة: أنه كان يرى الملك في صورته التي خُلق عليها، أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما سُئل عن تفسير قوله تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم: 9-10] قال رضي الله عنه: (إنه رأى جبريل له ستمائة جناح) .

1 / رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء وصححه الألباني.

المرتبة السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج: وهذه المرتبة تختلف عن التي بعدها من حيث المكان إذ لم يثبت أن الله تعالى أوحى لنبي وهو في السماء ، وإنما كان وحي الله له صلى الله عليه وسلم بكلام مباشر دون واسطة وهي المرتبة التي تلي هذا المرتبة ودونك الكلام عليها بشئ من التفصيل في الفقرة .

المرتبة السابعة: كلام الله تعالى إياه بلا واسطة ملك كما كلم موسى بن عمران عليه السلام:

أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك الطويل وفيه: (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فرض ربك علي أمتك؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فأني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف علي أمتي فحط عني خمسا ، فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمسا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه).

قلت : وفي وصوله صلى الله عليه وسلم إلى هذا المقام من التكريم والتشريف ما لا يتخيله بشر ، ولا يخطر قلب إنسان ، وإذا كان موسى عليه السلام كلمه ربه مرة أو مرتين فكلام الله للنبي صلى الله عليه وسلم تسع مرات لأنه خفف عنه في كل مرة خمس صلوات.

الخصوصية الثانية

أن القرآن هو معجزته ﷺ وهي باقية ومحفوظة إلى يوم الدين

مما هو معلوم أن معجزات الأنبياء كلها قد تصرمت وانقرضت وبقيت معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم، حتى التوراة والإنجيل تحرفت وتغيرت وتبدلت، أما كتاب هذه الأمة، قال الله فيه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9] .. (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت:41-42].

ولذا قال العلماء في شرح قوله ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أي أعطي كل نبي معجزات من أجل أن يؤمن البشر حتى لا يقولوا: وما أدرانا أنك نبي، أثبت لنا أنك نبي.

فيقول صالح عليه السلام مثلاً: هذه ناقة الله لكم آية، ويقول هود عليه السلام: فكيديني جميعاً، كيديني ولن تستطيعوا أن تفعلوا لي شيئاً، وهذا موسى عليه السلام ألقى العصا وأخرج يده بيضاء، وهذا عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم، يقول: في بيتك رز، في بيتك عدس، في بيتك سكر، في بيتك كذا، يخبرهم بما يدخرون في بيوتهم.

وكل هذه المعجزات انتهت واندثرت ولولا أن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز لما علمنا بشئ منها.

وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فمعجزته التي تحدى بها هي القرآن الكريم، معجزة باقية لا تغيير ولا تبديل فيها.

وهذه قصة عجيبة: قال يحيى بن أكثم : دخل يهودي على الخليفة المأمون فتكلم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام، فأبى اليهودي، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم في الفقه فأحسن الكلام، فقال له المأمون : ما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك - أنا لما خرجت من عندك- قبل سنة وأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني -راجت واشتروها آل يهود، اشتروها بسرعة- وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني -راجت ونفقت مع أنها محرقة، هو بنفسه حرقها- وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها على الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها ولم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة في الحج، فذكرت له القصة، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله تعالى، قلت: في أي موضع، قال: في قوله تعالى في التوراة والإنجيل: (بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) [المائدة:44] فجعل حفظه إليهم -إلى الأخبار والرهبان- فضاع، وقال: (إِنَّا نَحْنُ نَرُفُّ الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9] فجعل حفظه إليه: فحفظه الله تعالى علينا فلم يضيع.

الخصوصية الثالثة

أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، فِيهِمُ الشَّيْخُ وَالْعَجُوزُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الْفَارِسِيُّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا قَطُّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ). أخرجه الضياء المقدسي الأحاديث المختارة وقال : (هذه أحاديث اخترتها مما ليس في البخاري ومسلم).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ : زَجْرٌ، وَ أَمْرٌ : وَ حَلَالٌ، وَ حَرَامٌ، وَ مُحْكَمٌ، وَ مُتَشَابِهٌ، وَ أَمْثَالٌ، فَأَحَلُّوا حَلَالَهُ، وَ حَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَ أَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَ انْتَهَوْا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَ اعْتَبَرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَ أَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَ آمَنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَ قَوْلُوا : (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)¹.

قال العلماء : والمراد بسبعة أحرف: أنها سبعة أوجه، وسبع لهجات، وقيل: سبع قراءات، وقيل: سبعة أحكام؛ فأئى وجه تُقرأ به أمثلك، وأئى لهجة تيسرت لها فهي مقبولة إن شاء الله؛ تيسيراً وتخفيفاً على أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس المراد أن كل كلمة وكل جملة من القرآن تُقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة، والكلمات التي تُقرأ على أكثر من سبعة أوجه؛ فغالب ذلك إما لا يُثبت الزيادة، وإما أن يكون

¹ - أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد؛ وقال ابن حجر العسقلاني : في تصحيحه نظر لانقطاعه. وقال شعيب الأرنؤوط | المصدر : تخريج مشكل الآثار : فيه وهب الله بن راشد، وإن كان فيه كلام قد توبع، وباقي رجاله ثقات ؛ وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : حسن بجموع الطرق . (الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية).

من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء؛ كما في المد والإمالة ونحوهما، وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، وأن السبعة حد للقراءات التي أنزلت، بل هي أكثر من ذلك، والمراد منها التسهيل والتيسير¹.

الخصوصية الرابعة

أن القرآن أنزل من سبعة أبواب من السماء

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن النبي ﷺ (كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف) .. إلخ الحديث السابق.

وعن فلفلة الجعفي رضي الله عنه قال : (فرعت فيمن فرغ إلى عبد الله - ابن مسعود - في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم : إننا لم نأتك زائرين ولكن جنناك حين راعنا هذا الخبر فقال : إن القرآن نزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف أو قال حروف وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد) أخرجه النسائي في السنن الكبرى مختصراً، وأحمد واللفظ له وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بأن كتابه فضّل بالمفصل

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُعطي مكان التوراة السبع - أي السبع الطوال من البقرة التوبة - وأُعطي مكان الزبور المئين - وهي

¹ - الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية.

السور التي بلغ عدد آياتها المائة أو قاربها - وأُعطي مكان الإنجيل المثاني - أي السور التي بعد المثني إلى المفصل - وفُضِّلَت بالمفصل) وهي من سورة (ق) إلى (الناس) أخرجه أحمد (107/4)، وقال الألباني: (صحيح بمجموع طرقه) السلسلة الصحيحة (469/3).

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بالفاحة وخواتيم سورة البقرة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رسول الله ﷺ عنده جبريلُ إذ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريلُ بصره إلى السماء فقال: هذا بابٌ فُتِحَ من السماء ما فُتِحَ قطُّ قال: فنزل منه ملكٌ فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: أبشِرْ بنورينِ أوتيتُهما لم يؤتَهما نبيٌّ قبلكَ فاتحة الكتابِ وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أُعطيتهُ) رواه مسلم.

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ بأن القرآن أنزل عليه مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع

قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) الفرقان (32).

قال القرطبي: قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) اختلف في قائل ذلك على قولين:

أحدهما: أنهم كفار قريش؛ قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقًا قالوا: هلا أنزل عليه جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود.

فقال الله تعالى : (كذلك) أي فعلنا لنثبت به فؤادك نقوي به قلبك فتعيه وتحمله ؛ لأن الكتب المتقدمة أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون ، والقرآن أنزل على نبي أمي ؛ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ، ففرقناه ليكون أوعى للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأيسر على العامل به ؛ فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب.

قال أبو شامة: فإن قيل: ما السرّ في نزول القرآن منجماً؟ وهلاً أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتحديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجنب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياء جبريل.

الخصوصية الثامنة

نزول سورة الأنعام كاملة جملة واحدة يشيعها جمع من الملائكة

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملةً، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح) قال أحمد شاكر في عمدة التفسير: إسناده صحيح.

قال السيوطي في الدر المنثور :

وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان والستفي في ”الطُّوريات“ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (نزلت سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين

الخَافِقِينَ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالْأَرْضُ تَرْتَجُّ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ).

وَأُخْرِجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي مُعْجَمِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ).

الخصوصية التاسعة

اختصاصه ﷺ بأن في كتابه الناسخ والمنسوخ

قال تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: 106] الآية.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : (ما نغير من حكم آية فنبدله، أو نتركه فلا نبدله، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها أو مثل حكمها في الخفة والثقل والثواب والأجر).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : (وهذه آية عظمت في الأحكام، وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضاً، فأُنزل الله: (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ. وَأُنْزِلَ: مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ).

وقال السيوطي رحمه الله تعالى : (وليس في سائر الكتب مثل ذلك؛ ولذا كان اليهود ينكرون النسخ، والسر في ذلك أنّ سائر الكتب نزلت دفعة واحدة فلا يتصور فيها النسخ والمنسوخ، لأنّ شرط النسخ أن يتأخر نزوله عن المنسوخ).

الخصوصية العاشرة

اختصاصه ﷺ بأن جعل كتابه مهيمنا على الكتب السابقة

قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة (48).

قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه.

الخصوصية الحادية عشرة

اختصاصه ﷺ بتيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه على أمته

وذلك لأن القرآن نزل على أمة تغلب فيها الأمية، فلا تعرف القراءة والكتابة، وإنما سجلها ذاكرتها؛ قال تعالى في إثبات ذلك: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: 2].

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن يسر لها حفظ القرآن وسهّل عليهم فهم آياته التي تنزل مفرقة خلال فترات متقطعة من الزمن فيحفظونها ويفهمونها. وكأن القرآن بنزوله منجما رسماً للصحابة الكرام منهجا تعليميا طبقوه في حياتهم وتوارثه عنهم التابعون وهو التعلّم التدريجي.

أخرج البيهقي في (شعب الإيمان) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات. وأخرج ابن عساكر عن أبي نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.

فالقرآن معجزته العظمى التي اختص صلى الله عليه وسلم بها دون غيره فهو الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة ، كتاب خالد لا ينضب معينه ، ولا تنقضي عجائبه ولا تبلى جدّته ولا تنتهي فوائده، محفوظ بحفظ الله عزّ وجلّ من التغير والتبديل والتحريف .

الخصوصية الثانية عشرة

اختصاصه ﷺ بالثواب العظيم لمن يقرأ حرفاً من القرآن

أقول : حساب أجر التلاوة كان عظيماً لأن القارئ يؤجر على كل حرف من حروفه ؛ فلقد استفاض القرآن الكريم والسنة المطهرة في الحديث عن فضل تلاوة القرآن الكريم.

من القرآن الكريم: قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [سورة البقرة: 121].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

ومن السنة المطهرة: لقد وردت أحاديث كثيرة تتحدث عن فضل تلاوة القرآن الكريم نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(الماهر بالقرآن مع السفر الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)**

وروى مسلم عن حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: **(أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟) فقلنا: كلنا نحب ذلك، قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل. الكوماء: الناقة عظيمة السنام.**

وروى الترمذي من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف).**

وروى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة**

ريحها طيب وطعمها مر، مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر).

وروى أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها).

الخصوصية الثالثة عشرة

اختصاصه ﷺ بأن الملك يضع فمه على فم قارئه

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك) صححه السيوطي في الجامع الصغير؛ والألباني في صحيح الجامع الصغير.

قوله : (وضع ملك فاه على فيه) أي: قرب من فمه حتى يضع فتحة فمه على فم المصلي، ويحتمل أن المراد به كاتب الحسنة، وقيل: غيره.

قوله : (ولا يخرج من فيه شيء)، بمعنى أنه لا تخرج قراءة القرآن من فم العبد المصلي، (إلا دخل فم الملك)؛ ليلتقط هذه القراءة ويحفظها لصاحبها؛ لأن الملائكة لم يُعطوا فضيلة تلاوة القرآن، فهم حريصون على استماع القرآن من الآدميين¹.

¹ - الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية.

الخصوصية الرابعة عشرة

اختصاصه ﷺ بأن جعل الله تعالى أهله من الناس أهل القرآن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)¹.

قوله: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) أي: أهلاً مِنَ النَّاسِ هم أولياؤه وأحبابه؛ فـ"أهلين" هم الأهل، جُمِعَ بالواو والنون على غير قياس، وجمعه هنا إشارة إلى كثرتهم.

قوله: (هم أهل القرآن)، أي: حَفَظَةُ الْقُرْآنِ الْعَامِلُونَ به، الذين يَتْلُونَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا فِي قَارِئِ الْقُرْآنِ الَّذِي انْتَفَى عَنْهُ جَوْرُ الْقَلْبِ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ جِنَايَةُ نَفْسِهِ، وَتَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَتَزَيَّنَ بِالطَّاعَةِ؛ فَلَا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّلَاوَةِ؛ لِيَكُونَ مِنَ أَهْلِ الْقُرْآنِ، حَتَّى يَعْمَلَ بِأَحْكَامِهِ، وَيَقِفَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [البقرة: 121].

قوله: (أهل الله وخاصته) أي: وهم أولياء الله الَّذِينَ اخْتَصَّاهُمْ بِمَحَبَّتِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهُمْ، كَمَا يُقَالُ: بَيْتُ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَصُّ بَعْضَ عِبَادِهِ، فَيُلْهِمُهُمُ الْعَمَلَ بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى يَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [البقرة: 105]. وفي الحديث: بَيَانُ فَضِيلَةِ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالْقِيَامِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَأَوَامِرَ وَنَوَاهٍ. وفيه: تَرْغِيبٌ كَبِيرٌ فِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى دَمِّ مَنْ

¹ - أخرجه النسائي في وابن ماجه وأحمد وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند و الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

هَجَرَ الْقُرْآنَ وَنَسِيَهُ؛ فَهَجَرَ الْقُرْآنَ عَاقِبَتُهُ وَخِيَمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَجَرَهُ يَشْمَلُ هَجَرَ التَّلَاوَةِ وَالْحِفْظِ، وَهَجَرَ التَّدْبِيرَ وَالْعَمَلَ، وَالتَّحْكِيمَ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِشْفَاءَ بِهِ¹.

الْخُصُوصِيَّةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ

اِخْتِصَاصُهُ ﷺ بِأَنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعَنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعَنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ؛ وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ تَخْرِيجُ الْمُسْنَدِ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

فَائِدَةٌ : نَظَّمَ أَبُو نَجَاحٍ مَا وَرَدَ مِنْ خُصَائِصٍ فِي هَذَا الْفَصْلِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَالْوَحْيُ أَصْنَافٌ بِهَا قَدْ كُتِّمَ	لِلشَّيْخِ عِزُّ الدِّينِ عَدَّ ذِي انْتَمَى
وَمِنْ أَدَلِّ مُعْجَزٍ فِي الْعِلْمِ	إِتْنَاؤُهُ الْكِتَابَ وَهُوَ أَمِيٌّ
وَحَفِظَ رَبَّنَا لِذَا الْكِتَابِ	عَنْ كُلِّ تَحْرِيفٍ أَوْ ارْتِيَابِ
وَجَاءَ جَامِعًا لِمَعْنَى الْكُتُبِ	وَمَا مَضَى إِنْزَالُهُ فِي الْحَقِّبِ
مُسْتَعْنِيًا عَنْ غَيْرِهِ مُيسَّرَا	حِفْظًا وَتَرْتِيلًا لَمْ نَ لَهُ قَرَا
مَنْجَمًا إِنْزَالُهُ كَمَا نَزَلَ	بِأَحْرَفٍ سَبْعٍ فَتَمَّ وَاكْتَمَلَ

¹ - الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية.

وقد أتى من سبعة أبواب	منزلاً بالحق والصواب
ينال قاريه به إذ يقرأ	بكل حرف حسنة عشر
وهو لـ (طه) دعوة وحجة	قوية واضحة المحجة
وخص أيضاً أنه قد أعطي	من كنز عرش ذي الجلال المعطي
وخص بالبسملة الشريفة	أيضاً وبالفتحة المنيفة
وآية الكرسي وختم البقرة	كذلك السبع الطوال النيرة
وخص أيضاً بمفصل السور	وكون ذا القرآن أعجز البشر
وكونه معجزة لا تفنى	ليوم تصبح الجبال عنها
ومعجزات الأنبياء قد مضت	وبانقضاء وقتهم قد انقضت

الفصل الثالث

الخصائص التي أعطيها ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج

مدخل : توضيحيان مهمان حول معجزة الإسراء والمعراج.

المحور الأول: إثبات أن معجزة الإسراء والمعراج كانت بالروح والجسد من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وكلام العلماء.

المحور الثاني : الرواية الصحيحة لمعجزة الإسراء والمعراج.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن شق له صدره في تلك الليلة المباركة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية سدرة المنتهى.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتكليم الله تعالى إياه.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن رفعه الله إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بإمامة الأنبياء في بيت المقدس.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأنه رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن أظهر الله تعالى علاقته بجبريل عليه السلام.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بأن فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتسليم ملائكة السموات عليه ﷺ.

الخصوصية العاشرة: اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بلقائه ببعض الرسل عليهم السلام في السموات.

الخصوصية الحادية عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بدخول الجنة

الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية نهر الكوثر.

الخصوصية الثالثة عشرة: اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية البيت المعمور فوق السماء السابعة.

الخصوصية الرابعة عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية بعض المعذنين في النار.

الخصوصية الخامسة عشرة : أعظم تلك الخصائص كلها أن الله تعالى اختصه ﷺ برؤيته.

فائدة : لقد جمع أبو نجاح ما ورد من خصائص في هذا الفصل.

مدخل

توضيحات مهمان حول معجزة الإسراء والمعراج

المحور الأول : إثبات معجزة الإسراء والمعراج من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وكلام العلماء.

المحور الثاني : الرواية الصحيحة لمعجزة الإسراء والمعراج.

المحور الأول

إثبات أن معجزة الإسراء والمعراج كانت بالروح والجسد

من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وكلام العلماء

قال الله تعالى تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: (يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه، فقد أسرى بعبده محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه في جنح الليل من المسجد الحرام وهو مسجد مكة، إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ولهذا جُمعوا له هنالك كلهم، فأُمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين).

وقال رحمه الله في كتابه الفصول في السيرة: ومن ذلك - أي الخصائص - أنه صلى الله عليه وسلم أسري به إلى سدرة المنتهى، ثم رجع إلى منزله في ليلة واحدة، وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم، إلا أن يكون في الحديث من قوله بحيث يقول جبريل للبراق حين جمع لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يركبه: **(اسكن فو الله ما ركبك خير منه)** ، وكذا قوله في الحديث: **(فربطت الدابة في الحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء)** ، ما يدل على أنه قد كان يسرى بهم، إلا أننا نعلم أنه صلى الله عليه وسلم لن يشاركه أحد منه في المبالغة في التقريب والدنو منه، للتعظيم، ولهذا كانت منزلته في الجنة أعلاها منزلة وأقربها إلى العرش كما جاء في الحديث: **(ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي)**

الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ) رواه مسلم.

وقال الطبري رحمه الله تعالى : (ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو مسيرة شهر أو أقل).

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى : (في شأن إسرائه ومعراجهِ صلى الله عليه وسلم: "فاعلم أن هذا الإسرائ به صلى الله عليه وسلم المذكور في هذه الآية الكريمة، زعم بعض أهل العلم أنه بروحه صلى الله عليه وسلم دون جسده، زاعماً أنه في المنام لا اليقظة، لأن رؤيا الأنبياء وحي.. وزعم بعضهم: أن الإسرائ بالجسد، والمعراج بالروح دون الجسد، ولكن ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً؛ لأنه قال: {بِعَبْدِهِ} والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد؛ ولأنه قال: {سُبْحَانَ} والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن له كبير شأن حتى يُتَعَجَّب منه).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في شرح منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول:

مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الْأَنَامِ	وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ
وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمَ	أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمِ

المحور الثاني

الرواية الصحيحة لمعجزة الإسراء والمعراج

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ليلة أسري به قال : (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - مِنْ ثُغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَغَسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ - هُوَ الْبَرَّاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ - يَضَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ.

فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَحْيِيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَحْيِيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى -وَهُمَا ابْنَا الْحَالَةِ- قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَحْيِيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ،

فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا
بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،
فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ
قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا
بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا
بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ
غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا
خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ:
مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبَقَهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَهْمَارٍ: تَهْرَانٍ بَاطِنَانِ وَتَهْرَانٍ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَتَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ حَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي) رواه البخاري ومسلم وهذا اللفظ للبخاري ؛ وفي رواية لهما : (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ).

وهذه الخصوصية قال عنها العلماء أنها أعظم معجزة أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد معجزة القرآن.

وأقول : وهذه الخصوصية تشتمل على عدد من الخصوصيات ، منها :

الخصوصية الأولى

اختصاصُهُ ﷺ بأن شق له صدره في تلك الليلة المباركة

عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال : (بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَاطِئِ -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ - مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ- فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ) رواه البخاري. قال الراوي : من ثغرة نحره إلى شِعْرَتِهِ.

قال بعض العلماء في الحكمة من شق صدره عليه الصلاة والسلام: والمقصود تحقيق إظهار كمال باطنه كما برز كمال ظاهره ، قال الإمام العارف بالله السيد علي الحبشي في قضية شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه كما جاء في الأخبار والآثار:

وما أخرجَ الأملأُكُ مِنْ قَلْبِهِ أَذَى وَلَكِنْهُمْ زَادُوهُ طَهْرًا عَلَى طَهْرٍ

وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرُّض لصرفه عن حقيقته لصلاحيه القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك.

قال القرطبي في (المفهم): (لا يُلْتَفَتُ لِانْكَارِ الشَّقِّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَن رَوَاتِهِ ثَقَاتٌ مَشَاهِيرُ).

الخصوصية الثانية

اختصاصُهُ ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية سدره المنتهى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه - كما عند مسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - في آخر حديث الإسراء السابق - : (ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ،

وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا) رواه البخاري.

قال السعدي في تفسير قوله تعالى (وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) سورة النجم (13-15) هي شجرة عظيمة جدا، فوق السماء السابعة، سميت سدرة المنتهى، لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله، من الوحي وغيره، أو لانتهاه علم الخلق إليها أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها أو لغير ذلك، والله أعلم.

فرأى سيدنا محمد ﷺ جبريل عليه السلام في ذلك المكان، الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة، التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة.

قال ابن كثير في قوله تعالى : (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيتها نور الرب ، وغشيتها ألوان ما أدري ما هي.

ثم نقل عن مجاهد قوله : كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا ، فرأها محمد ، ورأى ربه بقلبه ؛ **وقال السعدي :** أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتكليم الله تعالى إياه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه — كما عند مسلم — أن النبي ﷺ قال : (فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أَمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ

التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً، قَالَ: فَانْزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) رواه مسلم.

وفي البخاري: (سألت ربي حتى استحييت ولكن أَرْضَى وأسلم ، قال : فلما جاوزت ناداني منادٍ : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي) .

وأيضا فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سينا، وسأل الرؤية فمنعها، وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وهو بالمالا الاعلى حين رفع لمستوى سمع فيه صريف الاقلام، وحصلت له الرؤية في قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف والله أعلم.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن رفعه الله تعالى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام

الأقلام : عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيرَ الْأَقْلَامِ) رواه البخاري ومسلم .

قال النووي في شرح مسلم: (وصريف الأقلام بالصاد المهملة: تصويتها حال الكتابة. قال الخطابي: هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى، ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع). اهـ.

وقال بعض العلماء: (وهكذا تكتب الملائكة في الأرض كما تكتب الملائكة في السماء، ومن أمثلة كتابة الملائكة في الأرض ما يحدث يوم الجمعة من تسجيل أسماء الحضور للصلاة؛ فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)** متفق عليه.

فهذه ملائكة تكتب في صحف، وكذلك في السماء تكتب الملائكة ما أمرها الله به، وصوت أقلامها -التي لا يعلم غيرها إلا الله- مسموع، وهو الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: **(صريف الأقلام)**.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بإمامة الأنبياء في بيت المقدس

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَثْبِتْهَا ، فَكُرِيتُ كُرْبَةً مَا كُرِيتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ ، جَعَدَ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بَنُ**

مَسْنُودِ الثَّقَفِيِّ ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَّمْتُهُمْ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ) رواه مسلم.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأنه رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23].

روى الإمام مسلم من حديث مسروق قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها، قال: قلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ، قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل عليه السلام الذي يأتيه بالرسالة عن الله تعالى على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 5-10].

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن أظهر الله تعالى علاقته بجبريل

وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة : من سورة النجم (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) النجم. (8-9) .

وقبل الخوض في تفسيرها أشير هنا إلى معنى هام ألا وهو : أن ذكر هذه العلاقة بينهما – أعني النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام – والتنصيب عليها في القرآن يدل أنها لم تكن لنبي قبله صلى الله عليه وسلم، فقد كان كل واحد منهما يشترك في الآخر كما في قوله تعالى : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)، فقد ذكر الطبري في سبب نزولها عن ابن عباس ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فنزلت هذه الآية (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) قال : هذا الجواب لمحمد ﷺ.

وهناك معنى آخر لاح لي في تلك العلاقة الخاصة بينهما ألا وهو : قوة تحمل النبي صلى الله عليه وسلم بل استثناسه بالحالة التي يكون عليها عند نزول الملك إليه وهذا فيه ما فيه مما لا يقدر قدره بشر ، وقد يكون أكثر وضوحاً بعد الاطلاع على تفسيرها، والله أعلم .

ثم قال تعالى : (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أو أقل ، ورد هذا على استعمال العرب وعاداتهم ، فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاهدا خرجا بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكفه فينهان باعيهما ، ولذلك تسمى مسايعة ، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أن قوله (قاب قوسين) على جعل كونهما كبيرين.

وقوله (أو أدنى) لفضل أحدهما على الآخر ، فإن الأمير إذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فيصافحه الأمير ، فكأنه تعالى أخبر أنهما كأمرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين أو كان جبرائيل عليه السلام سفيراً بين الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار كالمبايع الذي يمد الباع لا القوس ، هذا على قول من يفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهو مذهب أهل السنة إلا قليلاً منهم إذ كان جبريل رسولاً من الله واجب التعظيم والاتباع فصار النبي صلى الله عليه وسلم عنده كالتبع له على قول من يفضل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم.

والقاب : المقدار ، وعن مجاهد والحسن أن قاب القوس ما بين وترها ومقبضها وهذا على ما قال الخفاجي : إشارة إلى ما كانت العرب في الجاهلية تفعله إذا تحالفوا فإنهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى فيكون القاب ملاصقاً للآخر حتى كأنهما ذا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهماً واحداً فيكون ذلك إشارة إلى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه. أما (أو) في قوله تعالى (أو أدنى) فهي للشك من جهة العباد على معنى إذا رآه الرائي يقول : هو قاب قوسين أو أدنى ، والمراد إفادة شدة القرب.

الخصوصية الثامنة

اختصاصه ﷺ بأن فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس

عندما انتهى ﷺ من اللقاء الإلهي مرّ في طريقه بموسى عليه السلام ، فلما رآه سأله : (بم أمرك ؟) ، فقال له : (بخمسين صلاة كل يوم) ، فقال موسى عليه السلام : (أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف) ، فعاد النبي ﷺ إلى ربه يستأذنه في التخفيف فأسقط عنه بعض الصلوات ،

فرجع إلى موسى عليه السلام وأخبره ، فأشار عليه بالعودة وطلب التخفيف مرةً أخرى ، وتكرّر المشهد عدّة مرّات حتى وصل العدد إلى خمس صلواتٍ في اليوم واللييلة ، واستحى النبي ﷺ أن يسأل ربّه أكثر من ذلك ، ثم أمضى الله عزّ وجل الأمر بهذه الصلوات وجعلها بأجر خمسين صلاة) .

الخصوصية التاسعة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتسليم ملائكة السموات عليه ﷺ

وهذا مأخوذ من الحديث الذي أودناه في مدخل هذا الفصل ؛ وفيه (فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَأَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ).

ثم قال : (ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ).

ثم قال : (ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ). وهكذا جاءت الرواية إلى أن وصل السماء السابعة.

قلت: فقد رحبت به ملائكة السموات السبع ويفهم من قول كل ملك منهم (وقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟) أنه — الملك الموكل بتلك السماء — كان في انتظار قدومه عليهم ﷺ وهذا فيه دلالة على معرفتهم به ﷺ وكأنني بهم كانوا على شوق شديد للقياء واكتحال أعينهم برؤياه ؛

فكان لهم شرف رؤيته وصعوده ﷺ السماء من جهتهم ؛ كما كان لهم شرف استضافته وخدمته بفتح باب السماء له ؛ بل إن كل سماء من تلك السموات كانت تفخر بصعوده عليها ووطئه بأقدامه عليها ﷺ. والله أعلم.

الخصوصية العاشرة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بلقائه ببعض الرسل عليهم السلام في السموات

وهذه مأخوذة من الحديث الصحيح الذي أودناه في مدخل هذا الفصل :

ففي السماء الدنيا ، التقى ﷺ بآدم عليه السلام ، فتبادلا السلام والتحية ، ثم دعا آدم له بخير ، وقد رآه النبي ﷺ جالسا وعن يمينه وشماله أرواح ذريته ، فإذا التفت عن يمينه ضحك، وإذا التفت عن شماله بكى ، فسأل النبي ﷺ جبريل عن الذي رآه، فذكر له أن أولئك الذين كانوا عن يمينه هم أهل الجنة من ذريته فيسعد برؤيتهم ، والذين عن شماله هم أهل النار فيحزن لرؤيتهم.

ثم صعد النبي ﷺ السماء الثانية ليلتقي بعيسى ويحيى عليهما السلام ، فاستقبلاه أحسن استقبالٍ وقالوا : (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح) .

وفي السماء الثالثة ، رأى النبي ﷺ أخاه يوسف عليه السلام وسلّم عليه ، وقد وصفه عليه الصلاة والسلام بقوله : (.. وإذا هو قد أعطي شطر الحسن) رواه مسلم .

ثم التقى بأخيه إدريس عليه السلام في السماء الرابعة، وبعده هارون عليه السلام في السماء الخامسة.

ثم صعد جبريل بالنبي ﷺ إلى السماء السادسة لرؤية أخيه موسى عليه السلام ، وبعد السلام عليه بكى موسى فقبل له : (ما يبكيك ؟ ، فقال : أبكي ؛ لأن غلاماً بُعث بعدي ، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي) .

ثم كان اللقاء بخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة ، حيث رآه مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور - كعبة أهل السماء - الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً ، وهناك استقبل إبراهيم عليه السلام النبي ﷺ ودعا له ، ثم قال : (يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) رواه الترمذي .

الخصوصية الحادية عشرة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بدخول الجنة

وهذه مأخوذة من الحديث الصحيح الذي أودناه في مدخل هذا الفصل : حيث قال ﷺ : (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ) .

قلت : وهذه خصيصة عظيمة لأن جميع الناس بمن فيهم الأنبياء والرسل عليهم السلام الجنة عندهم غيب إلا رسول الله ﷺ فالجنة عنده شهادة ؛ ولذا قال أحد السلف : الجنة عندي ليست غيباً بل هي شهادة لأن رسول الله ﷺ عيني وعيني رسول الله ﷺ أوثق عندي من عيني .

الخصوصية الثانية عشرة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية نهر الكوثر

وهذه مأخوذة من الحديث الصحيح الذي رواه البخاري : حيث قال أنس رضي الله عنه : (ثُمَّ مَضَى بِهِ - جَبْرِيلُ - فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بَنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِنْكَ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ).

وفي رواية قال ﷺ: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بَنَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طَيْبُهُ - مِنْكَ أَذْفَرُ شَكَّ هُدْبَةٍ).

الخصوصية الثالثة عشرة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية البيت المعمور فوق السماء السابعة

وهذه مأخوذة من الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم :

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِم).

وأخرج الطبري عن قتادة قال: ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البيت المعمور مسجد في السماء بجذاء الكعبة، لو خَرَّ لَحَرَّ عَلَيْهَا، يَدْخُلُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلَّ يَوْمٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ، لَمْ يَعُودُوا. والحديث مرسل. قال الألباني: وإسناده مرسلًا صحيح. وأخرج الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: والبيت المعمور هو بيت حذاء العرش، تعمره الملائكة،

يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون إليه. فمن هذا كله؛ نخلص إلى أن البيت المعمور بمحاذاة العرش، وبمحاذاة الكعبة.

الخصوصية الرابعة عشرة

اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية بعض المعذبين في النار

من أجل مشاهد الإسراء والمعراج وأعظها التي جاءت بها الروايات الصحيحة أن اطلع النبي ﷺ على بعض أحوال الذين يعذبون في نار جهنم، ورأى أصناف متعددة منهم:

الصنف الأول: الذين يخوضون في أعراض المسلمين، ويقعون في الغيبة، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ) أخرجه أبو داود وأحمد.

الصنف الثاني: الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقَرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطْبَاءُ أُمَّتِكَ) أخرجه أحمد والبخاري وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند .

الصنف الثالث: الذين يأكلون الربا، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي رَجُلًا يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَسَأَلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: آكِلُ الرِّبَا) أخرجه أحمد وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند .

الخصوصية الخامسة عشرة

أعظم تلك الخصائص كلها أن الله تعالى اختصه ﷺ برؤيته

لقد أعطي النبي صلى الله عليه وسلم الرؤية دون سؤال وذلك في ليلة المعراج حيث ورد ذلك في قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى).

قال القرطبي رحمه الله تعالى : قوله تعالى : ما كذب الفؤاد ما رأى أي لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ؛ وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية . وقيل : كانت رؤية حقيقة بالبصر.

والأول مروى عن ابن عباس ، وفي صحيح مسلم أنه رآه بقلبه . وهو قول أبي ذر وجماعة من الصحابة . والثاني قول أنس وجماعة.

وروي عن ابن عباس أيضا أنه قال : (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم) اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين؛ حيث قال: إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في

الحديث الآخر: (حجابه النور، فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه: رأيت نوراً)¹.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: فصل، وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقول رآه بفؤاده، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس، ففهم منه رؤية العين، وليس فب الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أتى أراه، وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى، وكذلك قوله: ﴿أَفْتَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 12 - 18]، ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

¹ - اجتماع الجيوش الإسلامية - لابن القيم. (1/ 12) .

قال: "وقد ثبت بالنصوص الصحيحة، واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحدًا في الدنيا بعينه إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبيِّنا محمدٍ خاصَّة، واتَّفَقوا على أنَّ المؤمنين يرون الله يوم القيامة عيانا كما يرون الشمس والقمر" ¹.

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح): "الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة رضي الله عنهم، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب"، والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : (وأما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف، ونصرها من الائمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور بأمام الائمة، واختار ذلك القاضي عياض والشيخ محي الدين النووي، وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية، وجاء عنه تفنيدها، وكلاهما في صحيح مسلم، وفي الصحيحين عن عائشة إنكار ذلك، وقد ذكرنا في الاسراء عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر وعائشة رضي الله عنهم أن المرئي في المرتين المذكورتين في أول سورة النجم، إنما هو جبريل عليه السلام.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: (يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال: نورا أنى أراه)، وفي رواية: (رأيت نورا).

فائدة : لقد جمع أبو نجاح ما ورد من خصائص في هذا الفصل فقال رحمه الله تعالى :

وخصَّ بالعِصمة من أعدائِهِ وبالذي حازَ في الإسراءِ

حيثُ دنا لقاب قَوْسَيْنِ إلى ما شاء ربُّ العرشِ جلَّ وعلا

من حيثُ لم يدنُ نبيُّ مرسلٍ ولا مُقَرَّبٌ هناك يدخلُ

¹ -مجموع الفتاوى - لابن تيمية - (ج: 6 ص: 509 - 510).

وَقَدْ غَدَا لِلْأَنْبِيَا إِمَامَا يُوَثِّقُهُمُ وَالْمَلِكُ الْكَرَامَا

وَشَاهَدَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَمَا قَدْ حَوَّتَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَظْمَا

وَحُصَّ بِالرُّؤْيَةِ مَرَّتَيْنِ لِرَبِّهِ الْأَعْلَى بِغَيْرِ مِينِ

مَا كَذَبَ الْفَوَاذُ مَا زَاغَ الْبَصَرُ لَمَّا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرُ

الفصل الرابع

الخصائص التي أعطاها ﷺ لإظهار علو رتبته على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

الخصوصية الأولى: أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا به وينصرونه.

الخصوصية الثانية: اختصاصه ﷺ بأن الأنبياء قبله بشروا أقوامهم ببعثته.

الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأنه ذُكر في الكتب السابقة.

الخصوصية الرابعة: اختصاصه ﷺ بأن الله جل وعلا اتخذهُ خليلاً.

الخصوصية الخامسة: اختصاصه ﷺ بنداؤه ربه له بأعز أوصافه.

الخصوصية السادسة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قدّمه على جميع أنبيائه في أغلب آيات القرآن.

الخصوصية السابعة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أمر الأمة بتوقيره ﷺ.

الخصوصية الثامنة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أكرمه الله بالنبوة وآدم منجدل في طينته.

الخصوصية التاسعة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى ختم به النبيين.

الخصوصية العاشرة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى خلق خاتم النبوة بين كتفيه.

الخصوصية الحادية عشرة: اختصاصه ﷺ بأن رسالته عامة لجميع الإنس والجن.

الخصوصية الثانية عشرة: اختصاصه ﷺ بعلم لم يكن لأحد من الأنبياء قبله.

الخصوصية الثالث عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الله تولى الدفاع عنه على خلاف الأنبياء السابقين.

الخصوصية الرابع عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى وملائكته يُصلُّون عليه وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ.

الخصوصية الخامس عشرة : اختصاصه ﷺ ببعثته في خير قرون الدنيا.

الخصوصية السادس عشرة : اختصاصه ﷺ ببيانه لصفة الدجال لأمته.

الخصوصة الأولى

أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا به ﷺ وينصرونه

إن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليهم السلام أن يؤمنوا به ويتبعوه إذا ظهر في عهدهم كما قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ* فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) آل عمران (81-82) .

لقد بينت الآية الكريمة أن الله عز وجل أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والرسل أنه إذا ظهر النبي محمد ﷺ في عهدهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ولا تمنعهم نبوتهم أن يتابعوا نبينا محمداً ﷺ ، فلذلك أخذ كل نبي العهد والميثاق على أمته أنه لو بُعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أن يتابعوه ولا يتابعوا نبيهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولننصرنّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمننّ به ولننصرنّه).

ولذلك لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا بن الخطاب والذي نفسي بيده! لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده! لو أن موسى -صلى الله عليه

وسلم- كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني . **التهوك:** الوقوع في الأمر بغير روية، وهو التحير.

فإذاً: محمد عليه الصلاة والسلام لو وجد في أي عصر لكانت طاعته مقدمة، والإيمان به مقدماً، ومتابعته مقدمة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر لكان هو واجب الطاعة، المقدم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء، لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الربّ جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النبوة إليه، فيكون هو المخصوص صلوات الله وسلامه عليه).

وقد أكد الله تعالى هذا الميثاق بكلمة: (إصري) أي : ثقل ما حملتم من عهدي ، أي ميثاقي الشديد المؤكد .

وقال الألوسي: (وأخذ الميثاق من النبيين له صلى الله عليه وسلم مع علمه سبحانه أنهم لا يدركون وقته لا يمنع من ذلك لما فيه مع ما علمه الله تعالى من التعظيم له - صلى الله عليه وسلم - والتفخيم ورفع الشأن والتنويه بالذكر مالا ينبغي إلا لذلك الجناح وتعظيم الفائدة إذا كان ذلك الأخذ عليهم في كتبهم).

أما مفهوم الشهادة في الآية (فاشهدوا) فهو يحتمل عدة معانٍ، منها:

الأول : الظاهر أنه تعالى قال للنبيين المأخوذ عليهم الميثاق : فاشهدوا ، ومعناه من الشهادة أي : ليشهد بعضكم على بعض بالإقرار ، وأخذ الإصر ، قاله مقاتل.

الثاني : معنى فاشهدوا ، بينوا هذا الميثاق للخاص والعام ، لكيلا يبقى لأحد عذر في الجهل به ، وأصله : أن الشاهد هو الذي يبين صدق الدعوى ، قاله الزجاج ، ويكون : اشهدوا ، بمعنى أدوا ، لا بمعنى تحملوا.

الثالث : معناه استيقنوا ما قرره عليكم من هذا الميثاق ، وكونوا فيه كالمشاهد للشيء المعين له ، قاله ابن عباس .

الرابع : فاشهدوا ، خطاب للأنبياء إذا قلنا : إن أخذ الميثاق كان على أتباعهم ، أمروا بأن يكونوا شاهدين على أممهم ، وروي هذا عن علي بن أبي طالب .

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأن الأنبياء قبله بشروا أقوامهم ببعثته

هذه الخصوصية مأخوذة من الآية السابقة وهي آية أخذ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان به صلى الله عليه وسلم والقيام بنصرته ؛ لأنه جاء بعدها (فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) آل عمران (82).

ومعلوم أن الأنبياء معصومون من التولي عن حكم الله تعالى وإنما قد يقع هذا التولي من أممهم ؛ فدلّت الآية على أن الأنبياء أخذوا الميثاق على أممهم بالإيمان به صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا يقتضي البشارة به صلى الله عليه وسلم وهذا ما صرح به ابن عباس كما نقلناه عنه سابقا في قوله

: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولننصرنّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمننّ به ولننصرنّه).

ومع أن الآية دلت على البشارة به على ألسنة الأنبياء السابقين إلا أن الله تعالى نص في القرآن الكريم على التبشير بها على لسان رسولين من أولي العزم من الرسل عليهم السلام وهما إبراهيم وعيسى عليهما السلام.

فقال تعالى في دعوة إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سورة البقرة (129).

وقد اتفق المفسرون على دعوة إبراهيم عليه السلام المراد بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب بناء على ما جاء في الحديث عن أبي أمامة قال: **(قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبُشري عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نوراً أضاءت منه قصور الشام)** أخرجه أحمد وقال شعيب الأرناؤوط في تخريجه المسند : صحيح لغيره .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره للآية : (يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، أي: من ذرية إبراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولاً في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن).

والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام، ولم يزل ذكره في الناس مذكوراً مشهوراً سائراً حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسباً، وهو عيسى بن مريم عليه السلام).

وقال تعالى في بشارة عيسى عليه السلام : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) سورة الصف (6).

وفي الحديث السابق : (دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى)

قال القشيري في تفسير الآية : كل نبيٍّ بشر قومَه بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وأفرد الله عيسى بالذِّكر في هذا الموضع لأنه أخِرُ نبيٍّ قبل نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، فبيِّن أنَّ البشارة به عمَّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحدٍ حتى انتهى إلى عيسى عليه السلام.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأنه ذُكِرَ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ

بشَّرت الكُتُبُ السابقة التي أنزلت على الأنبياء من قبل رسولنا مُحَمَّدٌ بأنه في آخر الزَّمان سيظهر نبي اسمه أحمد، وكان أهل الكتاب يعرفونه من خلال ما وصفته الكُتُبُ المنزلة من عند الله، كما يعرفون أبناءهم ؛ قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: 157].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء، بشَّروا أمهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأحبارهم).

وقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 29].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره هذه الآية: (هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يعني أنهم يكونون قليلًا ثم يزدادون ويكثر، فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفًا، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي أمره، كالزراعة يبدو بعد البذر ضعيفًا، فيقوى حالًا بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه، فكان هذا من أصح مثل، وأوضح بيان).

وقد جاءت الأحاديث التي تدل على هذه الخصوصية ، ومنها:

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما ، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ - أي حصنًا -، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ [معناها رفع الصوت بالخصام] فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بَأَن يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا).

المِلَّةُ الْعُجَّاءَ **قال الحافظ في الفتح (343/4):** أي ملة العرب، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: (انطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ : **(يا معشر اليهود ، أروني اثني عشر رجلا يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه)** قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد "ثم رد عليهم" فلم يجبه أحد" ثم ثلث " فلم يجبه أحد , فقال: **(أبيتم؟ فوالله إني لأنا الحاشر , وأنا العاقب , وأنا النبي المصطفى , آمنتكم أو كذبتكم , ثم انصرف)** وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد "فأقبل" فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون أي فيكم يا معشر اليهود؟ , فقالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أهلك , ولا من جدك قبل أهلك , قال: فإني أشهد له بالله , أنه نبي الله الذي تجدون في التوراة , فقالوا: كذبت , ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(كذبتكم لن يقبل قولكم أما آنفا ففتنوا عليه من الخير ما أثبتكم , ولما آمن كذبتموه وقتلتم فيه ما قلتم؟ فلن يقبل قولكم)** قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا , وعبد الله بن سلام , وأنزل الله عز وجل فيه: **{قل رأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}**¹ .

34/ صححه الألباني في صحيح السيرة ص81، وصحيح موارد الظمان: 1763، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد: إسناده صحيح. وقال الألباني في صحيح الموارد عقب الحديث: استبعد ابن كثير نزولها في عبد الله بن سلام , لأنها مكية , وابن سلام أسلم في المدينة! قلت: لا وجه لهذا الاستبعاد , وذلك لوجوه: الأول: مخالفته لهذا

وفي حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه - الطويل - قال هرقل ملك الروم عندما استلم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم : (قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم وإن يك ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ولو أرجو أن أخلص إليه ، لتجشمت لقيه ولو كنت عنده لغسلت قدميه) رواه البخاري .

وعن الفلتان بن عاصم رضي الله عنه قال : (كنا قعودا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص بصره إلى رجل في المسجد فقال يا فلان فقال لبيك يا رسول الله قال ولا ينارعه الكلام الا قال يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أتشهد أي رسول الله ؟) قال : لا .. قال (أتقرأ التوراة) قال : نعم والانجيل قال : (والقرآن) قال : (والذي نفسي بيده لو أشاء لقراءته) قال : ثم ناشده هل تجديني في التوراة والانجيل قال : (أجد مثلك ومثل هيأتك ومثل مخرجك وكنا نرجو أن يكون منا فلما خرجت تخيرنا أن يكون أنت هو فنظرنا فإذا ليس أنت هو) قال : ولم ذاك ؟ قال : (ان معه من أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب ومعك يسير ، قال (فوالذي نفسي بيده لأنا هو وانهم لامتي انهم لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا)¹ .

قال القاضي عياض رحمه الله :

هذا الذي جاءت التوراة شاهدةً بأنه خير من يحفى وينتعل

الحديث الصحيح ,وله شاهد عن سعد بن أبي وقاص قال: " ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم -، يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام "، قال: وفيه نزلت هذه الآية {وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله} الآية , أخرجه البخاري (3812) ومسلم (2483). الثاني: أنه ليس هناك نص صريح على أن الآية مكية، فيمكن أن تكون مدنية في سورة مكية. أ. هـ

¹ - قال في مجمع الزوائد : (رواه الطبراني ورجاله ثقات من أحد الطريقين).

هذا الذي جاء في الإنجيل مبعثه يتلوه من قبل ذا رهبانه الأول
هذا الذي هتفت من قبل مولده به الهواتف واشتافت له المقل
هذا الذي جاءت الأخبار واتفقت قدما على بعثه الأخبار والمثل
هذا الذي كان من سيف بن ذي يزن مع جده نبأ من بعثه جلال

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بأن الله جل وعلا اتخذه خليلا

الخلة لله - سبحانه - هي أعظم مقامات العبد، وهي أرفع من مقام المحبة، حيث ثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، ولكن الخلة لم تثبت إلا لاثنين، وهما سيدنا محمد وسيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وقد ثبتت خلة إبراهيم عليه السلام بقول الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) {النساء: 125}.

قال الألوسي رحمه الله تعالى: في بيان سبب إطلاق لقب الخليل على إبراهيم عليه السلام ؛ لأن محبة الله تعالى قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامة، أو لتخلقه بأخلاق الله تعالى، ومن هنا كان يكرم الضيف، ويحسن إليه، ولو كان كافرا، فإن من صفات الله تعالى الإحسان إلى البر والفاجر.

وأما كون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله تعالى فقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله) رواه مسلم.

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يموتَ بخمس وهو يقول: (إني أَبْرَأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، وإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً) رواه مسلم.

وفي هذين الحديثين إثبات خلته صلى الله عليه وسلم لربه . عز وجل وذلك بيانا لفضله وعلو منزلته، وتماّم حفظ الله وتكريمه له.

قال ابن القيم رحمه الله: (مرتبة الخلّة التي انفرد بها الخليّان : إبراهيم ، ومحمد ، صلى الله عليهما وسلم ، كما صح عنه أنه قال : (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) ، وقال : (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتَّخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) . والحديثان في الصحيح ، وهما ييطان قول من قال : (الخلّة لإبراهيم ، والمحبة لمحمد ، فإبراهيم خليله ومحمد حبيبه). وقد استحق كلا النبيين عليهما الصلاة والسلام هذه المنزلة لما لهما من الصفات ، والأفعال العظيمة الجميلة).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: هل يصح القول للنبي محمد ﷺ حبيب الله؟،

فقال: (النبي صلى الله عليه وسلم حبيب الله لا شك، فهو حاب لله ومحبوب لله، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل لله، فالرسول . صلى الله عليه وسلم . خليل الله كما قال . صلى الله عليه وسلم : (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) رواه مسلم، والخلّة هي كمال المحبة، ولهذا من وصفه بالمحبة فقط فإنه نزله عن مرتبته، فالخلّة أعظم من المحبة وأعلى، فكل المؤمنين أحبّاء الله، ولكن الرسول . صلى الله عليه وسلم . في مقام أعلى من ذلك وهو الخلّة، فقد اتخذ الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، لذلك نقول: إن محمداً رسول الله . صلى الله عليه وسلم . خليل الله، وهذا أعلى من قولنا: حبيب الله لأنه متضمن للمحبة وزيادة لأنه غاية المحبة).

وقال أبو نجاح رحمه الله تعالى في منظومته:

وأنه الخليلُ والكريمُ
فرؤيةُ الله له تكريمُ

كلامُ موسى كانَ فوقَ الجبلِ وهو لدى السِّدْرَةِ ناجاهُ العلي

الخصوصية الخامسة

اختصاصُهُ ﷺ بنداؤه ربِّه لَهُ بأعزِّ أوصافِهِ

من الخصائص النبوية: أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، ولم يخاطب نبينا عليه الصلاة والسلام باسمه، يناديهم بأسمائهم، فقال: (يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) [البقرة: 35].

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا) [هود: 48] (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) [الأعراف: 144] .. (يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) [الصافات: 104-105] .. (يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ) [المائدة: 110] في آيات كثيرة.

وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فلم يناده ربه ولا مرة: (يا محمد!) لكنه ناداه وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال: 64].

وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) سورة المائدة (67) ؛ وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) سورة المائدة (41).

قال العزُّ بن عبد السلام في كتابه "بداية السؤل": (وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل إنَّ كلاً منهم نُوديَ باسمه).

فإِذَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَاطِبُهُ بِمَقَامِ الرِّسَالَةِ، وَخَاطِبُهُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَهُ فِي الْقُرْآنِ **قَرْنَهُ بِذَلِكَ:** (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) [الفتح: 29] .. (وَأَمَّنُوا بِمَا نُنَزِّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ) [محمد: 2] .. (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) [آل عمران: 144] فهو ليس نداءً وخطاباً، وإنما لما ذكر اسمه قرنه بالنبوة والرسالة.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قدّمه على جميع أنبيائه في أغلب آيات القرآن

قال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [النساء: 163-164].

وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [الأحزاب: 7].

وقال ابن كثير: (فبدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم).

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: (ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عباده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية، والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام، لا يشعر بوصف من الأوصاف، ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل

الأسماء والأوصاف أعزُّ عليه، وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العَلَم، وهذا معلوم بالعرف أن من دُعِيَ بأفضل أوصافه وأخلاقه، كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه).

الخصوصية السابعة

اختصاصُهُ ﷺ بأن الله تعالى أمر الأمة بتوقيره ﷺ

إن الله نهي المؤمنين أن يخاطبوه باسمه، قال سبحانه وتعالى: (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: 63].

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: (كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله).

وقال قتادة رحمه الله تعالى - في تفسير الآية السابقة - : (أمر الله تعالى أن يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود)¹.

واختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين وبخلاف ما خاطبت به الأمم السابقة أنبياءها، فإن أهمهم كانت تخاطبهم بأسمائهم ؛ فقال تعالى - حكاية عنهم - : (قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) سورة الأعراف: (١٣٤).

وقال تعالى : (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ) سورة المائدة: الآية (١١٢).

¹ - تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير.

قال أبو نعيم الأصبهاني: (فخصّه الله تعالى - بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه، وأخبر سبحانه عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم، كقول قوم موسى له: **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) سورة الأعراف (138). وقول قوم عيسى له: **(يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** سورة المائدة (112). وقول قوم هود **(يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)** سورة هود (53)¹.

قال السعدي رحمه الله تعالى: (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) فلا تقولوا: يا محمد "عند ندائكم، أو "يا محمد بن عبد الله" كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه صلى الله عليه وسلم عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله.

ويدخل في توقيره صلى الله عليه وسلم ما ورد في سورة المجادلة من الأدب معه عند مناجاته: قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** المجادلة (12-13).

قال ابن جزى في التسهيل لعلوم التنزيل: قوله تعالى: **(إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ)** قال ابن عباس: سببها أن قوماً من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى

¹ - دلائل النبوة - لأبي نعيم الأصبهاني - ص 12.

الله عليه وسلم في غير حاجة، لتظهر منزلتهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم سمحاً لا يرد أحداً، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة.

وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسخها قوله بعدها: (ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية.

فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها أحد وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم ونجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم وقيل: تصدق في كل مرة بدينار، ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم.

قوله تعالى : (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمرُوا بها، أو تخفيفها بعد وجوبها. وقوله تعالى : (فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) أي دُوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة.

الخصوصية الثامنة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أكرمه الله بالنبوة وآدم منجدل في طينته

اعلم أن سيدنا رسول الله من كرامته على ربه جل وعلا بدأ به النبوة وبها ختمه فأما بؤه بها فقد ثبت في عدد من الأحاديث منها :

1/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال :

(وآدم بين الروح والجسد) أخرجه الترمذي وصححه ابن العربي في العواصم من القواصم كما

صححه الألباني في صححه الترمذي.

قال العلماء في شرحه : يعني: ثَبَّتَتْ نُبُوتِي بَعْدَ خَلْقِ جَسَدِ آدَمَ، وَقَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَالْمَعْنَى:

أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ نُبُوتَهُ، فَأَظْهَرَهَا وَأَعْلَنَهَا بَعْدَ خَلْقِ جَسَدِ آدَمَ، وَقَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، كَمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ يُكْتَبُ رِزْقُ الْمَوْلُودِ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقَاؤُهُ وَسَعَادَتُهُ بَعْدَ خَلْقِ جَسَدِهِ، وَقَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ الذَّرِّيَّةِ قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ ذِكْرًا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيًّا مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

2/ عَنِ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي عِنْدَ

اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ) رواه أحمد في المسند وقال الشيخ شعيب

الأرنؤوط (حديث صحيح لغيره).

قال العلماء في شرحه : في هذا الحديث يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ

كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِ الْأَكْوَانِ، وَكَتَبَ الْمَقَادِيرَ، فَحَدَّدَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ. وَفِي

هذا الحديث يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ" فَقَدَّرَ اللَّهُ

ذَلِكَ فِي الْأَزَلِ، "وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ" مِنَ الْجَدَلِ، وَهُوَ الْإِلْقَاءُ عَلَى الْأَرْضِ الصُّلْبَةِ،

أَيْ: وَالْحَالُ أَنَّهُ لَسَاقِطٌ وَمُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَلَمْ تُعَلَّقْ بِهِ.

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم يفتح له اغلاق

أبروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق

الخصوصية التاسعة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى ختم به النبيين

لقد أجمع العلماء الكرام جميعاً على أن نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الأنبياء والمرسلين كما أن رسالته خاتمة للرسالات السماوية . فالدليل على ذلك أن الله تبارك وتعالى قد أخبر في كتابه العزيز ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ، ليعلم العباد أن كل من ادعى بهذه النبوة والرسالة بعده فهو كذاب أفاك دجال (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) سورة الأحزاب(40).

قال ابن كثير رحمه الله عند الكلام على هذه الآية الكريمة: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى؛ لأنَّ مقامَ الرِّسالة أخصُّ من مقامِ التَّبوُّة، فإنَّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ، ولا ينعكس وبِذَلِكَ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ). **وقال في بعد ذلك بقليل :** (وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَابٌ وَأَفَاكٌ دَجَالٌ ضَالٌ مُضِلٌّ).

أما في الحديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) رواه البخاري.

وبناءً على هذه النصوص أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على هذه العقيدة ، كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده صلى الله عليه وسلم ووجوب قتل مدعيها إن أصرَّ على ذلك؛ **فقال** **الآلوسي** : (وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافة ويقتل إن أصر).

الخصوصية العاشرة

اختصاصه ﷺ بأن خلق الله تعالى خاتم النبوة بين كتفيه

قال السيوطي في الخصائص الكبرى : باب ما جاء في خاتم النبوة :

أخرج الشَّيْخَانِ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحِجَلَةِ

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ (رَأَيْتُ خَاتَمَ النَّبِيِّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يَشْبَهُ جَسَدَهُ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ غُدَّةٍ حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ)

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ قَالَ : (نَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَعْصِ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ جَمْعًا عَلَيْهِ خِيْلَانُ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ).

النعص بِضَمِّ الثُّون : وَسُكُونُ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وضاد مُعْجَمَةِ فرع الْكَتِف وَالْجَمْع بِضَمِّ الْجِيم الْكَفَّ إِذَا جَمَعَ وَالْخِيلَانِ جَمَعَ خَالَ وَهِيَ الشَّامَاتِ السُّودِ وَالثَّالِيلِ جَمَعَ ثَوْلُولٌ وَهُوَ حَبٌ يَعْלו ظَاهِرُ الْجَسَدِ.

قال السيوطي : قَالَ الْعُلَمَاءُ اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الرِّوَاةِ فِي خَاتَمِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِاخْتِلَافٍ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ بِمَا سَنَحَ لَهُ فَوَاحِدٌ قَالَ كَزَرَ الْحِجْلَةَ وَهُوَ بَيْضُ الطَّائِرِ الْمَعْرُوفِ أَوْ زَرِ الْبَشْخَانَةِ وَآخِرُ كَبِيضَةِ الْحَمَامَةِ وَآخِرُ كَالْتَفَاحَةِ وَآخِرُ بَضْعَةِ لَحْمٍ نَاشِزَةٍ وَآخِرُ لَحْمَةٍ نَاتِئَةٍ وَآخِرُ كَالْمَحْجَمَةِ وَآخِرُ كَرَكِبَةِ الْعَنْزِ وَكُلُّهَا أَلْفَاظٌ مُؤَدَّاهَا وَاحِدٌ وَهُوَ قِطْعَةُ لَحْمٍ وَمَنْ قَالَ شَعْرٌ فَلِأَنَّ الشَّعْرَ حَوْلَهُ مَتْرَاكِبٌ عَلَيْهِ كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الْآخَرَى.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - فِي الْمُفْهَم - (دَلَّتِ الْإِحَادِيثُ الثَّابِتَةَ عَلَى أَنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ كَانَ شَيْئًا بَارِزًا أَحْمَرَ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ إِذَا قَلِلَ قَدْرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ وَإِذَا كَبُرَ جَمَعَ الْيَدِ) .

الخصوصية الحادية عشرة

اختصاصُهُ ﷺ بأن رسالته عامة لجميع الإنس والجن

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّ رِسَالَتَهُ عَامَةٌ لِكُلِّ بَشَرٍ، فَقَدْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ يَبْعَثُونَ إِلَى أَقْوَامِهِمْ خَاصَّةً، **كُلُّ نَبِيٍّ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً**، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) [نوح:1] ؛ (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) [الأعراف:65] .. (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) [الأعراف:73] (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) [الأعراف:80] (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) [الأعراف:85].

وأما النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال الله تعالى في شأنه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ:28]. وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله - عن هذه الآية: (والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إليهما ونذيراً، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عام الرسالة إلا نوح فإنه عمّ برسالته جميع الإنس بعد الطوفان؛ لأنه بدأ به الخلق).

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم: (أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبينا صلى الله عليه وسلم ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه، فإذا النبي عليه الصلاة والسلام له أجر كل الإنس الذين اتبعوه، وله أجر كل الجن الذين اتبعوه إلى قيام الساعة، ولذلك فهو أكثر الأنبياء أجراً، ولا يوجد لواحد من الأنبياء أتباع مثل أتباع نبينا عليه الصلاة والسلام، فهو أكثر الأنبياء أتباعاً على الإطلاق). وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف:158] فإذا: لو قال يهودي أو نصراني في هذا الزمان ليس محمد بنينا، نبينا موسى، نقول: نبيك محمد رغماً عنك، نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجب عليك أن تؤمن به.

والدليل على أن اليهود والنصارى في زماننا هذا مخاطبون بالإيمان بالنبي ﷺ وأتباعه، وأن من لم يؤمن بنبينا من اليهود والنصارى وغيرهم من الهندوس والسيخ والجنوس وسائر الكفرة أنه في النار، قوله عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني) والمقصود بالأمة أمة الدعوة، واليهود والنصارى داخلون في أمة

الدعوة لا أمة الإجابة الذين استجابوا له عليه الصلاة والسلام، فقلوه: (والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده، لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلَيْصَلَّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية عند مسلم: (كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ)

حتى الجن: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) [الأحقاف:29] يندروهم عذاب الله، ويخوفونهم ما سمعوا. فإذا: الرسل من الإنس والجن منهم دعاة إلى قومهم، والرسل من الإنس، والجني يمكن أن يسمع الإنسي، وأن يسمع كلام النبي عليه الصلاة والسلام، بخلاف الإنسي فإنه ربما لا يتمكن من سماع الجنى لو كان الرسول من الجن؛ ولذلك كان الرسل من الإنس، والجن منهم دعاة ومنذرون، فهؤلاء الجن الذين سمعوا القرآن يتلى منه عليه الصلاة والسلام، ولوا إلى قومهم منذرين، وهذه آية في كتاب الله تتعلق بالموضوع

وسئل : ابن عباس فما فضل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم:4] وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) [سبأ:28] -[فأرسله إلى الجن والإنس].

الخصوصية الثانية عشرة

اختصاصه ﷺ بعلم لم يكن لأحد من الأنبياء قبله

اعلم بارك الله فيك : أن علم النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أعظم من علوم جميع الأنبياء السابقين ، لأن الله تعالى أطنب في الثناء عليه بالعلم في آيات كثيرة ؛ كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في عدد من الأحاديث ، ولكي لا أطيل عليكم اكتفيت بذكر آية واحدة ، وحديثين فقط ، إليك بيانها:

أما الآية فهي قوله تعالى : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) النساء. (113) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين.

والمراد من الحكمة: إما السُّنَّة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السُّنَّة تنزل عليه كما ينزل القرآن. وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها وترتيب كل شيء بحسبه.

قوله تعالى : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمل له حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها.

ولهذا قال: (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) ففضله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من فضله على كل مخلوق وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها ولا يتيسر إحصاؤها.

وأما قوله تعالى (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) فهذا لا تحويه عبارة، ولا تحيط به إشارة، ومن ذلك النبوة العامة، والرياسة التامة، والشفاعة العظمى يوم القيامة .

وأما الحديثان:

فالأول : ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أَتَانِي اللَّيْلَةُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ أَحْسَبُهُ قَالَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكُفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْتَثُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بَعَادِكَ فَتَنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ) رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وموضع الشاهد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ) وفي رواية (فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرحه : (وفيه دلالة على شرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفضيله بتعليمه ما في السموات والأرض، وتجلي ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في

السماء وغير ذلك، كما أرى إبراهيم ملكوت السموات ولأرض وقد ورد في غير حديث مرفوعاً وموقوفاً أنه : (أُعْطِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ خِلا مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ الْخَمْسِ الَّتِي اخْتَصَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِعِلْمِهَا، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ عِزَّ وَجَلَّ : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

ولعل ابن رجب يشير في كلامه هذا إلى الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أُوتِيَتْ مَفَاتِيحُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخَمْسَ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الْآيَةَ).

وقد أفرد ابن رجب الحنبلي هذا الحديث بالشرح في كتاب سماه : اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلى.

والحديث الثاني : عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إِنْ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا) رواه البخاري.

قال ابن رجب الحنبلي في شرح هذا الحديث في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري:

(وكونه أعلمهم بالله يتضمن أن علمه بالله أفضل من علمهم بالله ، وإنما زاد علمه بالله لمعنيين:

أحدهما : زيادة معرفة بتفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعظمته وكبريائه وما يستحقه من الإجلال والإعظام.

الثاني : إن علمه بالله تعالى مستند إلى عين اليقين فإنه رآه - أي الله - بعين بصيرته ، كما قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : رآه بفؤاده مرتين ؛ وعلم الصحابة بالله مستند إلى علم اليقين ،

وبين المرتبتين تباين ، ولهذا سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يرقيه من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين بالنسبة إلى رؤية إحياء الموتى).

الخصوصية الثالثة عشرة

اختصاصه ﷺ بأن الله تولى الدفاع عنه على خلاف الأنبياء السابقين

قَالَ أَبُو نَعِيمٍ (وَمِنْ خَصَائِصِهِ أَنْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا يَدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُرَدُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ كَقَوْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَدَافَعًا عَنْ نَفْسِهِ - (يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) وَقَوْلِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَدَافَعًا عَنْ نَفْسِهِ - : (يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ) وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ.

وَنَبِينًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَلَّى اللَّهُ تَبْرِيتَهُ عَمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ فَقَالَ (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) وَقَالَ (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) وَقَالَ (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. **ومن صور دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ: ما ورد في أواخر سورة العلق¹ :**

في قوله تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) :

والحديث عنها في عدة نقاط :

أولاً : سبب نزولها : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : أَلَمْ أَتُكَّ عَنْ هَذَا أَلَمْ أَتُكَّ عَنْ هَذَا أَلَمْ أَتُكَّ عَنْ هَذَا ؟ فَانْصَرَفَ

¹ - كتبت كتابا خاصا شرحت فيه هذه الخصوصية وذكرت فيه مائة موضع من القرآن الكريم دافع الله تعالى فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأسميته (فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام الردود) ونقلته منه هنا ثلاث صور فقط ؛ فمن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى الكتاب المذكور (هو منشور في موقع صيد الفوائد).

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَبَرَهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ :
(فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ)
رواه الترمذي وصححه.

**ثانياً : تضمنت الآيات بالتأمل فيها مع الاعتبار بسبب النزول بيان اعتداء أبي جهل على
النبي صلى الله عليه وسلم حيث هدده بقوله : (إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي).**

ثالثاً : جاء دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ بصور عديدة:

1 / قبول تهديده بتهديد أشد فقال تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) ويلاحظ أن الخطاب
جاء بضمير الغيبة تجاهلاً له – أعني أبا جهل لعنه الله – إذ لم يقل (ادع ناديك).

2 / بين الله تعالى أنه سيدعو الزبانية، ولفظ الزبانية في كلام العرب : يطلق على رجال
الشرطة الذين يزبنون الناس، أى: يدفعونهم إلى ما يريدون دفعهم إليه بقوة وشدة وغلظة،
جمع زبنيّة، وأصل اشتقاقه من الزبن، وهو الدفع الشديد، فكم في هذا الكلام من تخويف
لهذا الطيعة الجاهول.

3 / قال في التفسير الوسيط : (والمقصود بهاتين الآيتين، التهكم بهذا الإنسان المغرور،
والاستخفاف به وبكل من يستنجد به، ووعيده بأنه إن استمر في غروره ونهيه عن الصلاة
فسيسلط الله – تعالى – عليه ملائكة غلاظا شدادا. لا قبل له ولا لقومه بهم). وسيأتي أنه
قد قتل يوم بدر.

4 /أمر الله تعالى نبيه النبي صلى الله عليه وسلم بل (وحضه على المداومة على الصلاة في الكعبة، وعدم المبالاة بنهي الناهين عن ذلك، فإنهم أحقر من أن يفعلوا شيئاً وذلك بقوله تعالى: (كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)).

5 /في قوله تعالى (كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) أى: كلا ليس الأمر كما قال هذا المغرور من أن أهله وعشيرته سينصرونه، وسيقفون إلى جانبه في منعك أيها الرسول الكريم- من الصلاة، فإنهم وغيرهم أعجز من أن يفعلوا ذلك، وعليك- أيها الرسول الكريم- أن تمضي في طريقك وأن تواظب على أداء الصلاة في المكان الذي تختاره، ولا تطع هذا الشقي، فإنه جاهل مغرور، واسجد لربك وتقرب إليه- تعالى- بالعبادة والطاعة، وداوم على لك).

6 /أقر الله تعالى عين نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمقتل أبي جهل يوم بدر روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنأهما، تمنيت أن أكون بين أضلعَ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟.

قال: أخبرْتُ أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال: (أيكما قتله؟) قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: (هل

مسحتما سيفيكما؟) قالوا: لا، فنظر في السيفين، فقال: (كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح) وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت ﷺ يوم بدر، فقلت: قتلت أبا جهل؟ قال: "الله الذي لا إله إلا هو؟" قال: قلت: الله الذي لا إله إلا هو، فرددها ثلاثاً، قال: "الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق فأرنيه" فانطلقنا فإذا به، فقال: "هذا فرعون هذه الأمة).

ومن صور دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ: ما ورد في أوائل سورة المدثر:

في قوله تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَيْنَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ).

أولاً : سبب نزولها : لقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في شأن الوليد بن المغيرة المخزومي، وبينهم ما يشبه الاتفاق فقالوا ما ملخصه : إن المشركين عندما اجتمعوا في دار الندوة، ليتشاوروا فيما يقولونه في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي شأن القرآن الكريم- قبل أن تقدم عليهم وفود العرب للحج - فقال بعضهم: هو شاعر، وقال آخرون بل هو كاهن.. أو مجنون.. وأخذ الوليد يفكر ويرد عليهم، ثم قال بعد أن فكر وقدر: ما

هذا الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم إلا سحر يؤثر، أما تروونه يفرق بين الرجل وامرأته، وبين الأخ وأخيه).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : (وقال قتادة : زعموا أنه قال : (والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلو ، وما أشك أنه سحر)، فأنزل الله : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ) الآية . (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) قبض ما بين عينيه وكلح.

ثانياً : تضمنت الآيات بحسب ما ورد في سبب النزول اتهام الوليد بن المغيرة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر - وحاشاه - وأن القرآن سحر وقد كذب.

ثالثاً : جاء دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ ورد هذه التهمة بطرق عديدة ، وهي:

1 / بدأت الآيات بتهديد القائل لهذا الافتراء على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم قبل ذكر افتراءه ، وهذا غاية في العناية بإبعاد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15)).

قال الألوسي رحمه الله تعالى : وقوله: وَحِيدًا حال من الياء في ذَرْنِي أى: ذرني وحدي معه فأنا أغنيك في الانتقام منه.

ويحتمل أن يقال : أى: اصبر - أيها الرسول الكريم ﷺ - على ما يقوله أعداؤك فيك من كذب وبهتان، واتركني وهذا الذي خلقتة وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد ثم أعطيته الكثير من النعم، فلم يشكرني على ذلك.

2/ وما حل بالوليد هذا من العقوبة بسبب مقالته تلك أن بيّن الله تعالى ما أعدّه له من عذاب أليم فقال: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا. والإرهاق: الإتعاب الشديد، وتحميل الإنسان ما لا يطيقه. يقال: فلان رهقه الأمر يرهقه، إذا حل به بقهر ومشقة لا قدرة له على دفعها. ومنه قوله تعالى: (وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) والصعود: العقبة الشديدة، التي لا يصل الصاعد نحوها إلا بمشقة كبيرة، وتعب قد يؤدي إلى الهلاك والتلف. وهذه الكلمة صيغة مبالغة من الفعل صعد.

كما توعده تعالى بالوعيد الشديد الذي سيلقاه هذا الشقي الأثيم بقوله تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) أي سأدخله سقر كي يصلّى حرها . وإنما سميت سقر من سقرته الشمس : إذا أذاخته ولوحتّه ، وأحرقت جلدة وجهه ،. قال ابن عباس : هي الطبقة السادسة من جهنم.

3/ انتقم الله تعالى من الوليد بأن أماته شر ميتة فقد كان من خبر وفاته ما حكاه أهل السير : أنّ سبب وفاته أن جرحاً كان قد أصابه بأسفل كعب رجله قبل سنين انتقض عليه فقتله، وكان ذلك الجرح قد أصابه حين مرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له، فتعلق سهم من نبله بإزاره، فخدش رجله ذلك الخدش الذي كان سبب موته. ويروى أنه حين حضرته الوفاة دعا بنيه وكانوا يومئذ ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: (أي بني، أوصيكم بثلاث فلا تضيّعوا فيهن، دمي في خزاعة فلا تطلنّه، والله إني لأعلم أنهم منه براء، ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم، ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري - صداق المرأة - عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتكم فيه). وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتاً ثم أمسكها عنه فلم يدخله عليها حتى مات.

وقد مات الوليد بن المغيرة بعد الهجرة بثلاثة أشهر عن خمس وتسعين سنة ودفن في الحجون بمكة. (كذا في ابن الأثير والحلبية).

ومن صور دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ: ما ورد في سورة الطور (29 - 31):

قوله تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ الْمُتَبَوِّصِينَ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبَّصِينَ)

أولاً : سبب نزولها: قال المفسرون : ورد أن كفار قريش تناقشوا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فعقبة بن أبي معيط قال : إنه مجنون ، وشيبة بن ربيعة قال : إنه ساحر ، وغيرهما قال : كاهن ، قال قتادة : قال قوم من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان. وروي أن قريشا اجتمعت في دار الندوة، وكثرت آراؤهم فيه صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم: تربصوا به ريب المنون، فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابعة والأعشى، فافترقوا على هذه المقالة. فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم . بهذه الآيات.

ثانياً : لما تطاول المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم ووصموه بما ليس فيه فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم شاعر ،وهو صلى الله عليه وسلم لا يرد عليهم شيئاً مما يقولونه لثقتهم بربه تعالى كان لا بد أن يدافع اله عنه ويرد على المشركين تهمهم الباطلة فنزلت هذه الآيات المباركات تسلي قلب خير البريات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ،وتزيل الغشاوة عن أهل الكفر أصحاب التهم الباطلات ، فقال تعالى (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) .. الخ الآيات.

وإليك ما فيها من المعاني والحكم الجليلات:

الآية الأولى : قوله تعالى (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ): إن معنى فما أنت بنعمة ربك القسم: أي : وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون . وقيل : ليس قسما ، وإنما هو كما تقول : ما أنت بحمد الله بجاهل ، أي قد برأك الله من ذلك.

قال القرطبي : قوله تعالى : فذكر أي فذكر يا محمد قومك بالقرآن . فما أنت بنعمة ربك يعني برسالة ربك بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي . ولا مجنون وهذا رد لقولهم .

الآية الثانية : قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) قال في التفسير الوسيط :

ثم أخذت السورة الكريمة في تقرير هؤلاء الجاهلين بأسلوب استنكارى فيه ما فيه من التعجب من جهالاتهم . وفيه ما فيه من الرد الحكيم على أكاذيبهم ، فسأقت أقاويلهم بهذا الأسلوب الذي تكرر فيه لفظ «أم» خمس عشرة مرة ، وكلها إلزامات ليس لهم عنها جواب .

وبدأت بقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) . و(أَمْ) في هذه الآيات بمعنى بل والهمزة .

وقوله : (نَّتَرَبَّصُ) من التربص بمعنى الانتظار والترقب . وقوله : رَيْبَ الْمُنُونِ يعنون به : حوادث الدهر التي تحدث له صلى الله عليه وسلم منها الموت . فالمنون : الدهر ، وريبه : حوادثه التي يصيبه بسببها الهلاك . أى : بل يقولون عنك - أيها الرسول الكريم - إنك شاعر ، وأنهم يترقبون موتك لكي يستريحوا منك . كما استراحوا من الشعراء الذين من قبلك ، كزهير والنابعة .

2 / (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) أي قل لهم على سبيل التبكيت والتهديد : (تَرَبَّصُوا) وترقبوا موتى فإنى معكم من المنتظرين ، وستعلمون أننا خير مقاما وأحسن عاقبة .

وقال القرطبي : قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ) أي بل يقولون : محمد شاعر ، . قال الضحاک : هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر ؛ أي يهلك عن قريب كما هلك من قبل من

الشعراء ، وأن أباه مات شاباً فربما يموت كما مات أبوه . **والمنون** : الموت في قول ابن عباس .
قوله تعالى : قل تربصوا أي قل لهم يا محمد تربصوا أي : انتظروا (فإني معكم من المتربصين)
أي من المنتظرين بكم العذاب ، فعذبوا يوم بدر بالسيف.

الخصوصية الرابعة عشرة

اختصاصه بأن الله تعالى وملائكته يُصلُّون عليه ﷺ وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة الأحزاب (56) .

وقبل أن أذكر بعض ما يقال في تفسيرها أقول : هذه الآية لجلالتها وعظمتها قد تحتاج إلى مجلد كامل حتى يستوعب المفسر لها من جميع جوانبها وقد أطال بعض العلماء الكلام عليها في الكتب وخاصة الكتب التي ألفت في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير رحمه الله : المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه في الملائكة الأعلى عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً.

وقال السيوطي رحمه الله : (ومن خواصه: أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله تعالى على غيره فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء) وقال أيضاً (وذكر الملائكة له في كل ساعة)¹.

¹ - أمودج اللبيب في خصائص الحبيب ﷺ - للسيوطي.

وقال ابن القيم رحمه الله - في جلاء الأفهام - : والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسول الله فصلوا أنتم أيضاً عليه ، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليماً ؛ لما نالكم ببركة رسالته ويؤمن سفارته ، من خير شرف الدنيا والآخرة.

معنى الصلاة والتسليم والبركة في حق النبي ﷺ :

قال أبو العالية : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال ابن عباس : يصلون يباركون.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : الصلاة المأمور بها فيها أي في الآية المتقدمة هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه.

أما السلام : فمعناه السلامة أي سلم عليه الصلاة والسلام من الملام والنقائص.

أما البركة : فهي النماء والزيادة - أي الزيادة في المدح والثناء والتعظيم..

ومن لطائف التفسير في هذه الآية الكريمة :

اللطيفة الأولى : قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ). ورد ذكر الثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة، فجاء الخبر مؤكداً بـ (إِنَّ) اهتماماً به، وجيء بالجملة اسمية لإفادة الدوام، وكانت الجملة اسمية في صدرها، (إِنَّ اللَّهَ) فعلية في عجزها (يُصَلُّونَ) للإشارة إلى أن هذا الثناء من الله تعالى، والتمجيد الدائم يتجدد وقتاً فوقتاً على الدوام، فتدبر هذا السر الدقيق.

اللطيفة الثانية: قد يقول قائل: إذا صلى الله وملائكته عليه فأى حاجة إلى صلاتنا عليه؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه عليه السلام ليشينا الله تعالى عليه، ولهذا قال عليه السلام: «من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا» فصلوات ربي وسلامه عليه.

اللطيفة الثالثة: قال الإمام الفخر: الصلاة الدعاء، يقال في اللغة صلى عليه: أي دعا له، وهذا المعنى غير معقول في حق الله تعالى، فإنه لا يدعو له، لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث، والجواب: أن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معاً، وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز وهذا مذهب الشافعي رحمه الله، فالصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، وهما يشتركان في العناية بحال المرحوم، والمستغفر له، والمراد هو القدر المشترك.

اللطيفة الرابعة: أمرنا الله بالصلاة على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان يكفي أن نقول صلينا عليه أو يقول الإنسان: أصلي عليه، فلماذا نقول عند الصلاة عليه: اللهم صل على محمد؟

والجواب: أن الله لما أمرنا بالصلاة عليه، ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك، أحلناه على الله تعالى، وقلنا: اللهم صل أنت على محمد، لأنك أعلم بما يليق به، فنحن عاجزون عن توفيته حقه، وقاصرون عن معرفة الثناء الذي يليق بقدره، وقد أوكلنا الأمر إليك. فتدبر سر هذه الجملة اللهم صل على محمد فإنه نفيس ودقيق.

اللطيفة الخامسة: قال بعض العلماء: معنى قولنا: اللهم صل على محمد أي عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وإعطائه المقام المحمود.

قال أحد العلماء:

يبدو مقام النبي الكريم عليه أفضل الصَّلَاة وأتمُّ التسليم في هذه الآية أشدَّ ما يكون تألقاً وزهواً، وهو يحظى بالمواسلة والرحمة من ربِّ العالمين، والدعاء والتشريف من قِبَل جميع الملائكة الأبرار .

أمر الله تعالى المؤمنين بالصَّلَاة على النبي الكريم زيادة في تكريمه وتشريفه، ولينالوا بها بركة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته، ولكي ينهلوا بها من معين روحانيته الربَّانية الَّذي لا ينضب، وليتحلَّوا بأخلاقه المحمَّدية السامية.

كيفية الصلاة على النبي ﷺ: عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال : (أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال له بشر بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام (كما علمتم) رواه مسلم .

الأحاديث الواردة في فضل الصلاة عليه ﷺ:

1/ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا) رواه مسلم.

ولا أظن أن هناك فضيلة تعدى هذه الفضيلة إذ كفى بصلاة الله عليك أيها المصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم شرفاً وفضلاً وتزكية لأن الله إذ صلى عليك رحمك وإذا رحمك غفر لك.

2- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحُطت عنه عشر سيئات وُزِّعت له عشر درجات) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

3- عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال: (يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه) قال أبي: فقلت يا رسول الله، إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال (ما شئت) قلت الربع قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير لك) قلت: "النصف" قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير لك) قال اجعل لك من صلاتي كلها (قال إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك) ¹؛ وفي رواية بإسناد صحيح عند أحمد (إذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دينك وآخرتك) .

قال العلماء : والمراد من الصلاة التي ذكرها أبي الدعاء فكأنه رضي الله عنه كان يجلس للدعاء في آخر الليل فرغبه النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه، ويكفي بشارته أيها المصلي على الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه يكفيك الله همومك كلها بسبب الصلاة عليه.

4- وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول: (من صلى عليّ لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليّ فليقل عبد من ذلك أو ليكثر) ² ؛ وعند أحمد بإسناد حسن (صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة) .

1 / رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال صحيح الإسناد .

2 / رواه أحمد وابن ماجه وإسناده حسن بشواهده كما قاله الدمياطي .

في هذا الحديث من عظيم الفضل أن الملائكة تدعو لك أيها المصلي على حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل يا ترى أنت من المقلين أم من المكثرين.

5- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة)¹ ولا أظن أن أحداً يسمع بهذا الحديث ولا يكثر من الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم كيف لا؟ وما منا من أحد إلا وهو يتمنى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فوائد الصلاة عليه ﷺ:

لقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام» أربعون فائدة للصلاة والسلام على نبينا ﷺ:

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

الثانية: موافقة الله سبحانه في الصلاة على النبي ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم ثناء وتشريف. **الثالثة:** موافقة الملائكة فيها. **الرابعة:** حصول عشر صلوات من الله على المصلي عليه ﷺ مرة. كما في رواية مسلم. **الخامسة:** أنه يرفع له عشر درجات. **السادسة:** أنه يكتب له عشر حسنات. **السابعة:** أنه يمحي عنه عشر سيئات. كما في رواية النسائي.

1 / رواه الترمذي وابن حبان وهو حسن بشواهد كما قاله محقق المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح - للدماطي - ص (371) .

الثامنة: أنه يُرجى إجابة دُعائه إذا قَدَّمها أَمَامَهُ. كما في رواية النسائي. **التاسعة:** أنها سببٌ لشفاعته ﷺ. كما في رواية الترمذي. **العاشر:** أنها سببٌ لغُفرانِ الذنوب. **الحادية عشرة:** أنها سببٌ لكفايةِ الله العبدَ ما أَمَّهُ. **الثانية عشرة:** أنها سببٌ لقرب العبدِ منه ﷺ يوم القيامة. **الثالثة عشرة:** أنها تقومُ مقامَ الصَّدَقَةِ لذي العُسْرَةِ. **الرابعة عشرة:** أنها سببٌ لقضاءِ الحوائجِ. **الخامسة عشرة:** أنها سببٌ لصلاة الله على المُصَلِّي وصلاة ملائكته عليه. **السادسة عشرة:** أنها زكاةٌ للمُصَلِّي وطهارةٌ له. كما في رواية أحمد.

السابعة عشرة: أنها سببٌ لتبشيرِ العبدِ بالجنةِ قبل موته. **الثامنة عشرة:** أنها سببٌ للنجاةِ من أهوالِ يوم القيامة. **التاسعة عشرة:** أنها سببٌ لردِّ النبي ﷺ على المُصَلِّي والمُسلمِ عليه. كما في رواية أحمد. **العشرون:** أنها سببٌ لتذكُّرِ العبدِ ما نَسِيَهُ. **الحادية والعشرون:** أنها سببٌ لطيبِ المجلس، فلا يعودُ حَسْرَةً على أهلِهِ يوم القيامة. كما في رواية الترمذي.

الثانية والعشرون: أنها سببٌ لنفيِ الفَقْرِ. **الثالثة والعشرون:** أنها تنفي عن العبدِ اسمَ البُخْلِ إذا صَلَّى عليه ﷺ عندَ ذكره. **الرابعة والعشرون:** نجاته من الدُّعَاءِ عليه برُغْمِ الأنفِ إذا تَرَكَّهَا عندَ ذكره ﷺ. كما في رواية ابنِ خزيمة. **الخامسة والعشرون:** أنها ترمي صاحبها على طريقِ الجنة، وتُخطئُ بتاركها عن طريقها. **السادسة والعشرون:** أنها تُنجي من نَتَنِ المجلسِ الذي لا يُذكرُ فيه الله ورسوله ﷺ. **السابعة والعشرون:** أنها سببٌ لتمامِ الكلامِ الذي ابتدئَ بحمدِ الله والصلاةِ على رسوله ﷺ. **الثامنة والعشرون:** أنها سببٌ لوفورِ نُورِ العبدِ على الصراطِ. **التاسعة والعشرون:** أنه يَخْرُجُ بها العبدُ عن الجفاءِ. **الثلاثون:** أنها سببٌ لإلقاءِ الله سبحانه وتعالى الثناءَ الحَسَنَ للمُصَلِّي عليه ﷺ بينَ أهلِ السماء والأرضِ.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المُصَلِّي وَعَمَلِهِ وَعُمْرِهِ وأسباب مصالحه، لأنَّ المُصَلِّي داعٍ رَبَّهُ أَنْ يُبَارِكَ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ، وهذا الدُّعَاءُ مُسْتَجَابٌ، والجزءُ مِنْ جِنْسِهِ.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله تعالى له. **الثالثة والثلاثون:** أنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقدٌ من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به. **الرابعة والثلاثون:** أنها سبب لمحبة الرسول ﷺ للمُصَلِّي عليه. **الخامسة والثلاثون:** أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه. **السادسة والثلاثون:** أنها سبب لعرض اسم المُصَلِّي على النبي ﷺ وذكره عنده. **السابعة والثلاثون:** أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه. **الثامنة والثلاثون:** أن الصلاة عليه ﷺ أداءٌ لأقلِّ القليل من حقه ﷺ. **التاسعة والثلاثون:** أنها مُتضمنةٌ لذكر الله تعالى وشُكْرِهِ، ومعرفةٍ إنعامِهِ على عباده بإرسالِهِ ﷺ.

الأربعون: أنها دُعَاءٌ، بحيثُ يسألُ العبدُ رَبَّهُ تبارك وتعالى أَنْ يُثْنِيَ على خَلِيلِهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ويزيدُ في تَشْرِيفِهِ وَتَكْرِيمِهِ وإِثَارِ ذِكْرِهِ وَرَفْعِهِ، رزقي الله وإياكم ووالدينا وأهلينا تحقيق محبة نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظاهر والباطن.

الخصوصية الخامسة عشرة

اختصاصه ﷺ بأن الملائكة تزور قبره كل يوم وليلة لتصلي عليه

عن سعيد بن أبي هلال عن منبه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال كعب: (ما من فجر يطلع إلا وينزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط سبعون ألفاً حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، فيصلون على النبي

صلى الله عليه وسلم سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه¹.

الخصوصية السادسة عشرة

اختصاصه ﷺ ببعثته في خير قرون الدنيا

عن أبي هريرة رضي الله عن أن النبي ﷺ قال : (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ) رواه البخاري.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَذْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُتُونَ وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) رواه البخاري.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ) رواه مسلم.

الشرح² : قال العلماء : لهذا الحديث معنيان:

1 - فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - للجهضمي - رواه إسماعيل بن إسحاق الجهمي القاضي المالكي بالسند المذكور في كتابه: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عنه الألباني في تحقيق هذا الكتاب صحيح الإسناد، كما رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في حلية الأولياء وابن كثير في التفسير وفي الفتن والملاحم عن طريقهما، ولم يعلق عليه.

² - موقع موسوعة الأحاديث النبوية ؛ وحشية السندي على مسند أحمد

الأول: أن قرن النبي صلى الله عليه وسلم الذي بُعث فيه هو خير قرون بني آدم.

والثاني: أن نسبه عليه الصلاة والسلام أشرف نسب، فقد انتقل أولاً من صلب ولد إسماعيل، ثم من كنانة، ثم من قريش، ثم من بني هاشم، حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه، فهو عليه الصلاة والسلام من خير القرون، وفي أشرف النسب، وهو خير البشر، وخير القرون بعد قرنه قرن الصحابة ثم قرن التابعين ثم أتباعهم.

وأنت خبير بأن القرن إذا كان بمعنى أهل العصر، فقد كان صلى الله عليه وسلم تمام القرون السابقة، فلا تظهر خيرية قرنه بالنظر إلى القرون السابقة كما يدل عليه: **(بعثت من خير قرون بني آدم)**، فينبغي أن يحمل القرن على معنى القبيلة، أو يقال: إن المراد: أن الله قدر لي أن يبعثني من خير قرون بني آدم حال كون تلك القرون مفصلة بهذا التفصيل، أعني قرنا فقرنا؛ أي: تشمل القرون كلها، حتى بسبب ذلك بعثت من القرن الذي كنت منه، فالبعث الأول بمعنى: تقدير البعث وإرادته، و"حتى" للتعليل لا للغاية، ويحتمل أن يقال: التقدير: فمضوا؛ أي: بنو آدم قرنا فقرنا حتى كنت، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : **(خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي)** أي أهل قرني , والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل , ويطلق القرن على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالسبعين ولا بمائة وعشرة , وما عدا ذلك فقد قال به قائل.

وذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور , وقال صاحب المطالع : القرن أمة هلكت فلم يبق منهم أحد

، وثبتت المائة في حديث عبد الله بن بسر وهي ما عند أكثر أهل العراق ، ولم يذكر صاحب " المحكم " الخمسين وذكر من عشر إلى سبعين ثم قال : هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن ، وهذا أعدل الأقوال وبه صرح ابن الأعرابي .

ثم قال ر حمة الله تعالى : والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة ؛ وقد سبق في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله : **(وبعثت في خير قرون بني آدم)** وفي رواية بريدة عند أحمد **(خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم)** وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل ؛ وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعا وتسعين ، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين ، وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحو من خمسين ؛ فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان والله أعلم .

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ؛ وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا ؛ وأطلقت المعتزلة ألسنتها ؛ ورفعت الفلاسفة رءوسها ؛ وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ؛ وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا ؛ ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن .

والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصره وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده ، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده ، فظهر فضلهم .

فائدتان : قال الدكتور محمد راتب النابلسي¹ :

الأولى : شهد النبي صلى الله عليه وسلم لقرنه بالخيرية، وشهد بالقرن الذي يليه بالخيرية، وبالقرن الذي يلي القرن الذي يليه، ثلاثة قرون شهد لهم النبي بالخيرية، قد يقول قائل: نحن في أعلى درجة من الوسائل والمواصلات، والاتصالات والأثاث، فالحقيقة أن الخيرية هنا لا علاقة لها بالدنيا، إنسان خير، أي إنسان عرف الله وطبق منهجه، وسعد بهذا التطبيق في الدنيا والآخرة، لو أننا أردنا مقياس الدنيا خير القرون هذا القرن، العالم كله سطح مكتب، اتصالات، وسائل رفاه، مركبات، طائرات، يخوت سفن، الدنيا كلها فتنة الآن.

الخيرية بمقياس خالق الناس أن تكون مؤمناً فقط، وأن تكون مستقيماً، وأن تكون مطبقاً لمنهج الله، وأن تكون ثابتاً على عقيدتك، لا تلين لا أمام سبائك الذهب اللامعة، ولا أمام سياط الجلادين اللاذعة، الخيرية أن تصح عقيدتك، وأن يستقيم عملك، وأن تزداد أعمالك الصالحة المقربة من الله عز وجل، هذا هو الخير.

الثانية : قال العلامة أبو عبدالرحمن سفر الحوالي : من هنا ينبغي أن نعتقد أمرين:

أولاً: أن نعتقد أفضلية الثلاثة القرون الأولى على غيرها.

ثانياً: أن نعتقد أن هذه الأمة أمة مباركة خيرة، وأن الخير لا ينقطع فيها، وأن علينا أن نجاهد لكي نكون إن شاء الله ممن ينال شرف صحبة هؤلاء الكرام في الجنة، فيلحق بهم وإن لم يكن منهم، وإن لم يدركهم².

¹ - الحديث الشريف / 1 شرح الحديث الشريف/6 شرح مختصر للأحاديث الشريفة - موقع موسوعة النابلسي.

² - أرشيف ملتقى أهل الحديث - (3) - المكتبة الشاملة.

الخصوصية السابعة عشرة

اختصاصه ﷺ ببيان له لصفة الدجال لأمة

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: (إِنِّي لَأُنذِرُكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ) متفق عليه.

قال ابن حجر: (قيل: إن السر في اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالتنبيه المذكور مع أنه أوضح الأدلة في تكذيب الدجال، أن الدجال إنما يخرج في أمته دون غيرها ممن تقدم من الأمم، ودلّ الخبر على أن علم كونه يختص بخروجه بهذه الأمة كان طوي عن غير هذه الأمة كما طوي عن الجميع علم وقت قيام الساعة، قوله: (أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ)، إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم أنه كاذب، وزاد مسلم في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومئذ للناس وهو يحذرهم: (تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ) رواه مسلم.

وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب؛ لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك)¹.

¹ - فتح الباري 13 / 96.

الخصوصية الثامنة عشرة

اختصاصه ﷺ بأن الدجال ممنوع من دخوله مدينته

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نَقَائِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ) رواه البخاري ومسلم.

فائدة : وقد نظم العلامة أبو النجاح أحمد بن علي المنيني جملة كبيرة من الخصائص التي ذكرتها في هذا الفصل في منظومته مواهب المجيب في نظم خصائص الحبيب:

وكونه خاتم الانبياء	خُصَّ به أيضاً بلا مرأى
وبقاء شرعه مؤبداً	فليس يعتريه نسخ أبداً
والأنبياء لو أدركوه لوجب	عليهم اتباعه بلا ريب
في شرعه الناسخ والمنسوخ	يعرف هذا من له رسوخ
واختص أيضاً بعموم الدعوة	للإنس والجن بغير شبهة
وفي شمولها لجنس الملك	قولان كل منهما عنهم حكي
وبعثه لهم غداً تشريفا	إذ لم يسئهم ربنا تكليفا
وباسمه اسمه الإله ما دعاه	بل ب(الرسول) و(النبي) ناداه

وَعَلَّمَ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَا	أَلَا ينادوه باسمه إعظاما
والشافعي لفظ الرسول كرها	إِطلاقه مِنَّا على حاول البها
وما أراه رُبُّه في أُمَّتِه	ما ساءه حتى دُعي لحضرته
وَاخْتَصَّ بِالْحَبِيبِ الرَّحْمَنِ	من بين رسلِ الملكِ المَنَّانِ
بظهره اخصص خاتم النبوة	دون النبيين أولي الفتوة
وَحَتَمَهُمْ قَدْ كَانَ فِي أَيْمَانِهِمْ	بشامةٍ سَوْدَا فخذ ما قد عُلِمَ
وَأَوْقَى الْعِلْمَ جَمِيعاً مَا عَدَا	مَفَاتِحَ الْغَيْبِ كَمَا قَدْ وَرَدَا
وَوَصَّفَهُ بِالسَّبْقِ فِي نَبَوَّتِهِ	وَأَدَمَّ مِنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ
وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَدْ أُخِذَا	عليه ميثاقٌ بنهجه احتذى
وَأَخَذُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى	إِيمَانِهِمْ بِهِ وَنَصَرَ قَدْ تَلَا
كَذَاكَ تَبَشِيرٌ بِهِ فِيمَا سَلَفُ	مِنْ كُتُبٍ فِيهَا لَهُ اللَّهُ وَصَفُ
وَنَعْتُ صَحْبِهِ وَنَعْتُ حَضْرَتِهِ	فِيهَا وَخُلَفَائِهِ وَأُمَّتِهِ

الفصل الخامس

الخصائص التي أعطاها النبي ﷺ لإظهار علو رتبته على أولي العزم من الرسل وغيرهم من الرسل عليهم السلام

مدخل.

المبحث الأول: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الفضائل.

الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام في مقام الإمامة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق ببناء الكعبة المشرفة وإعمارها.

الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الجود والكرم.

المبحث الثاني : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي موسى عليه السلام من الفضائل والمعجزات.

الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل من معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام.

الخصوصية الثانية: اختصاصه ﷺ بأعظم من طلب موسى عليه السلام رضا ربه وشوقه إليه.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأصحاب أفضل من أصحاب موسى عليه السلام في الحكم بالعدل.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بتوريث أصحابه أفضل مما ورثه أصحاب موسى عليه السلام من الأرض.

المبحث الثالث : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي عيسى عليه السلام من الفضائل والمعجزات.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من وجاهة في الدنيا والآخرة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من الزهد في الدنيا.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأعظم من المائدة التي دعا بها عيسى عليه السلام.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأصحاب هم أفضل من حواربي عيسى عليه السلام.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأعظم من رفع عيسى عليه السلام إلى الله تعالى.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من العصمة من الأعداء.

المبحث الرابع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي نوح عليه السلام من الفضائل.

المبحث الخامس : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي صالح عليه السلام في شأن الناقة.

المبحث السادس : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام من الفضائل.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في امتلاك خزائن الأرض وحسن التدبير.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في كمال عقله وحسن عفوه.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في شوقه للقاء ربه.

المبحث السابع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الفضائل والمعجزات.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الملك.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من معرفته بلغات الحيوانات.

الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأفضل من عرش بلقيس الذي أوتي سليمان عليه السلام.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من تسخير الشياطين له.

المبحث الثامن: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي يحيى عليه السلام من الفضائل.

الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام الحكم وهو صبي.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في كونه كان سيداً وحصوراً .

المبحث التاسع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إدريس عليه السلام من الفضائل.

مدخل

لما خلق الله تعالى الخلق قسمه قسمين: جماداً وذا حياة فاختار ذا الحياة على الجماد وفضّله عليه ثم قسم ذا الحياة قسمين: حيواناً ونباتاً فاختار الحيوان على النبات وفضّله عليه ثم قسم الحيوان إلى قسمين: ناطقاً وصامتاً ؛ فاختار الناطق على الصّامت وفضّله عليه ثم قسم الناطق قسمين: آدمياً وغيره فاختار الآدمي على غيره وفضّله عليه.

ثم قسم الآدمي قسمين: عاقلاً وغير عاقل ؛ فاختار العاقل على غيره وفضّله عليه ثم قسم العاقل قسمين: مؤمناً وغيره فاختار المؤمن على غيره وفضّله عليه ثم قسم المؤمن قسمين: عالماً وغيره فاختار العالم على غيره وفضّله عليه، ثم قسم العالم قسمين: أنبياء وغيرهم، فاختار الأنبياء على غيرهم وفضّله عليهم، وهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فهم خيرته من خلقه.

ثم قسم الأنبياء قسمين: رسلاً وغيرهم فاختار الرسل على غيرهم وفضّله عليهم، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً فهم خيرته من الأنبياء.

ثم قسم الرسل قسمين: أولي عزم وغيرهم؛ فاختار أولي العزم على غيرهم وفضّله عليهم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم فهم خيرته من رسله عليهم الصلاة والسلام ثم اختار من أولي العزم الخليلين إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم فهما خيرته من أولي العزم من الرسل ثم اختار منهما الحبيب محمداً - صلى الله عليه وسلم - فهو المختار المصطفى من جميع الخلق.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: (قلتُ : يا رسولَ الله ! إنَّ فُرِيْشاً جَلَسُوا فتذاكروا أحسابَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَجَعَلُوا مَثَلَك مَثَلِ نَحْلَةٍ فِي كَبُوءٍ مِنَ الْأَرْضِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ فِرْقِهِمْ، وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ خَيَّرَ الْقَبَائِلَ،

فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ خَيْرَ الْبُيُوتِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُهُمْ
بَيْتًا) رواه الترمذي وحسنه¹.

تنبيه : ما جاء في هذا الفصل هو استدراك لما فاتني أن أكتبه في كتابي : فَتَحُ الْحَقِّ الْمُبِينِ فِي
الْمُؤَازَنَةِ بَيْنَ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ؛ وذلك لأني
عثرت على كتاب : خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء
عليهم السلام - تأليف العلامة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي
السُّرْمَرِيِّ ؛ بعد طباعتي لكتابي المذكور وربما وجدت أيها القارئ الكريم خصوصية متكررة
هنا إلا أنها ستكون من ناحية أخرى وذلك قليل بل في حكم النادر.

¹ - خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام - تأليف العلامة جمال
الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السُّرْمَرِيِّ - المقدمة.

المبحث الأول

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الفضائل والمعجزات

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام في مقام الإمامة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق ببناء الكعبة المشرفة وإعمارها.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الجود والكرم.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام في مقام الإمامة

قال الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) [البقرة ١٢٤] وفي الحديث أن نبينا ﷺ قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيئَتُهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرَ فَخْرٍ) وقد صلى إبراهيم ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء وشريعته داخله في شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعة سيدنا محمد ﷺ أتم وأكمل من شريعة إبراهيم صلى الله عليه وسلم كما هو معروف؛ وقوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) [النحل ١٢٠].

ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وداعياً إليه ولا ريب أن علم نبينا ﷺ وتعليمه وما ظهر من الخير على يديه في زمانه وبعد موته بسببه أمر لا يكاد يرتاب فيه عاقل فإن علمه وشريعته متداولة بين أمته إلى يوم القيامة وسنة إبراهيم ﷺ من بعض ما هو من سنن محمد ﷺ التي دعا إليها وأمر بالاستئناس بها وقنوت محمد - صلى الله عليه وسلم - كان أعظم فإنه ﷺ لما نزل عليه: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح ٢] قام فصلى حتى تفطرت قدماه فقيل له: قد غُفِرَ لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر، فقال: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). فأنزل عليه - صلى الله عليه وسلم: (طه) * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى [طه: ١ - ٣] .

إن قيل: إن الله تعالى أمر محمداً صلى الله عليه وسلم وبارك باتباع ملة إبراهيم ﷺ قلنا: ذلك إحدى حسناته ﷺ فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد اتبع ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم فحاز آخرها وزاد عليها ما أمر الله به فكان له الفضل أولاً وأخيراً .

فإن قيل: إن الله تعالى سمى إبراهيم حليماً ومنياً وأوهاً **قيل:** هذه كلها من بعض خصال محمد ﷺ وله من الخصال الحميدة أضعافاً أضعاف هذه كما هو مبسوط في كتب مناقبه فكان في الحلم آية كما قال أنس - رضي الله عنه: (خدمته عشر سنين وليس كل شأني كما يرضى صاحبي، فما قال لي يوماً قط لشيء صنعت لم صنع هذا هكذا؛ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا).

وكان ﷺ من الإنابة إلى ربه سبحانه بالموضع الذي لا يخفى فإنه كان من دعائه: (اللهم بك أقاتل وبك أصول وبك أحول) إلى غير ذلك من الإنابة في جلّ الأمور ودقّها وكان من تأوّه وخوفه من ربه أنه يقول: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى ربكم) إلى غير ذلك من أخباره عن حلمه وإنابته وتأوّه.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق ببناء الكعبة المشرفة وإعمارها

إن قيل: إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بوأ الله تعالى له مكان البيت حتى عمّره وأقام شعائر الله؟

قيل: ما فعله محمد ﷺ في أمر البيت أعظم فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام جاء إلى أرض دائرة فبنى فيها بيتاً وأقام فيه أموراً شرعها الله تعالى له وليس في ذلك كبير مشقة وإن كان فيه من الفضل والإحسان ما فيه فإن فعل نبينا - صلى الله عليه وسلم - أعظم خطراً وأشدّ ابتلاءً فإنّه بُدِّلَت تلك الشعائر التي رسمها إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعده وتناسخت الأحوال حتى صار ذلك البيت الذي بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإقامة شعائر الدين الحنيف بتبديل الجاهلية

مركزاً للشرك ومحلاً للأوثان وصار يُعبد فيه غير الله ويُدعى من سواه ويُقاتل على ذلك فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ فمحا تلك الآثار وكسر تلك الأصنام وأزال المنكرات وأعاد سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كانت قد دثرت وعُبدَ الله وحده وزال الإشراك وزاد على شريعة إبراهيم مما شرعه الله تعالى له حتى كان عام حجة الوداع أنزل عليه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة ٣] حتى قال بعض اليهود لعمر بن الخطاب: (يا أمير المؤمنين؛ آية في كتابكم تقرؤها لو علينا معشر يهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر: أي آية قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية [المائدة ٣] ؛ فقال عمر رضي الله عنه: (إني لأعلم الموضع الذي نزلت فيه واليوم الذي نزلت فيه يوم الجمعة عشية عرفة).

ففرق بين من بنى بيتاً وسنَّ سنة من غير منازع إلى من جاء إلى أمة جاهلية جهلاء قد اجتمعت على بيت جعلته دينها وأقامت فيه الأصنام يعبدونها من دون الله وشرعوا أموراً زينها لهم الشيطان فأروها حسنة واتخذوها ديناً وقاتلوا على ذلك وتوارثوه خلفاً عن سلف ووجدوا عليه آبائهم فأمرهم بترك ما قد نشأوا عليه من ذلك الدين ومفارقة ما قد رسمه لهم أسلافهم ونبتت عليه لحومهم ودمائهم فصرفهم عنه طوعاً وكرهاً وردَّهم عنه إلى دين لم يعرفوه هم ولا آبائهم بما أوضحه لهم من الحق حتى أطاعوه وقال أحب إليهم من آبائهم وأولادهم وإخوانهم وعشيرتهم حتى ضرب الدين بجرانه واستقر على أركانه.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الجود والكرم

إن قيل إن الله امتدح إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) سورة الذاريات (24-26).

فكرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإقراؤه للضيف وأنه كان يخرج المسافة يبتغي من يأكل معه حتى قيل له: أبو الضيفان.

فقد سيدنا محمداً ﷺ من ذلك بالمنزلة التي لاتجهل فإنه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة: فيهب المائة من الإبل وأعطى رجلاً غنماً بين جبلين؛ وما سأل أحد شيئاً فقال: لا، ولقد أتاه مرةً ضيف فأرسل إلى أزواجه واحدةً بعد واحدةٍ فيقولن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء؛ وذلك أنه كان لا يدخر شيئاً حتى يجوع ويربط على بطنه الحجر، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان صاحب مال وماشية يُطعم ويُضيف من جملة ماله ولم نسمع أنه أعطى كل ما عنده، ونبينا - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم) وقال: (لو أن لي مثل هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً) وجوده وكرمه من أشهر صفاته الحميدة صلوات الله عليه وسلامه.

المبحث الثاني

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي موسى عليه السلام من الفضائل والمعجزات

الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل من معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأعظم من طلب موسى عليه السلام رضا ربه وشوقه إليه.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأصحاب أفضل من أصحاب موسى عليه السلام في الحكم بالعدل.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بتوريث أصحابه أفضل مما ورثه أصحاب موسى عليه السلام من الأرض.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل من معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام

إن قيل: إن موسى عليه الصلاة والسلام انفلق له البحر لما ضربه بعصاه فجازه هو وأصحابه لما تبعهم فرعون وجنوده, قيل: لمحمد ﷺ أعجب من ذلك فإنه لم يحتج إلى عبور البحر بل بعض أصحابه قال: (والله لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها) ولم يشترطوا انفلاق البحر وهم صادقون فيما قالوا وقد حقق هذا الفعل بعض أصحابه في حياته وبعد موته وهو العلاء بن الحضرمي - رضي الله عنه - لما كان بالبحرين واضطر إلى عبور البحر فعبه هو وأصحابه ولم يتل لهم ثوب, وذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته؛ فرأيت منه خصالاً ثلاثاً لا أدري أيتهن أعجب انتهينا إلى شاطئ البحر فقال: سموا الله تعالى واقتحموا فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بلّ الماء إلا أسافل أخفاف الإبل فلما قفلنا جُزنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلّى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا ومات فدفناه فلما سرنا غير بعيد قلنا: (يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره).

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأعظم من طلب موسى عليه السلام رضا ربه وشوقه إليه

إن قيل: إن موسى - عليه السلام - لما وفد بخيار قومه وهم سبعون نفساً إلى الله تعالى وكانوا من أفاضلهم فلما صاروا في البرية غلب روح القرية على قلبه وتحقق صدق الإجابة وظاهره قوة الوصول أسرع إلى ربه ناسياً لقومه لما وجد من الوله قاصداً للمناجاة فقال الله تعالى له: (وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى) [طه: 83] فقال: (هُمُ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ

لِتَرْضَى) [طه 84] وهذه حالة شريفة حُصِّ بها موسى عليه الصلاة والسلام دون سائر المرسلين عليهم السلام, عبّر عن نفسه ودلّ على قصده ومراده.

قيل: إنّ الله عَظَّمَ شأنَ مُحَمَّدٍ ﷺ في آيتين أعلمه فيهما رضاه عنه وأعطاه سؤاله ومناه من غير سؤال منه ولا رغبة تقدمت منه فقال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) [البقرة 144].

وقال في الآية الأخرى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: 5] فمنحه رضاه وأعطاه مناه في جميع ما يهواه ويتمناه وغيره من الأنبياء عليهم السلام سألوا وطلبوا رضى مولاهم.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما أنزلت هذه الآية: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ) وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) [الأحزاب 51] قلتُ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك).

وخصه مع الرضى بالرحمة والرأفة فقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) الآية [آل عمران: 159] وكان رقيق القلب وأمر الله تعالى موسى - عليه السلام - بالملاينة لفرعون لما كان فيه من الفظاظة والغلظة وقال له ولأخيه: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا) [طه 44] .

وذكر عن سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ الملاينة والرأفة وأمره بضدّها فقال: (وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة 73] وإنّ لكلّ مقام مقالاً.

وأما شوقه ﷺ إلى ربّه تعالى ولقائه فإنّه حين جاءه نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً, وأكمل له الدّين وأتمّ عليه النعمة وكان العيش عند ذلك مطلوباً وطول البقاء في الدنيا محبوباً مَرَضَ فَحَيَّرَ بين الحياة وبين لقاء ربّه فاختر لقاء ربّه ولم يزل يقول: (الرفيق الأعلى) حتى **قُبِضَ صلى الله عليه وسلم** بينما موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره ملك الموت ليقبض

رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُرْسِلَ
 مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى
 عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَنْ تَوَرَّ فَلَهُ
 بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَأَلَانَ،
 فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ).

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأصحاب أفضل من أصحاب موسى عليه السلام في الحكم بالعدل

إن قيل: قد قال الله تعالى: (وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 159].

قيل: لا يخفى ما في أمة محمد ﷺ من أئمة الهدى والعدل، وأئمة الهدى والفقهاء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعثمان وعلي وغيرهم من أئمة الهدى والعدل، ففي صحيح مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لاني بعدي وستكون خلفاء فتكثر) قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فأوبىعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم).

وكأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء ممن يهتدى به ويعدل في الأمة، وقد صح أن النبي ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة وهم ظاهرون) وليس هذا في غير أمة محمد ﷺ وهذه النعمة ببركة قولهم لنبيهم ﷺ: (سمعنا وأطعنا)؛ فإن الله خفف عنهم وغفر لهم ورفع عنهم الأغلال والآصار؛ وقوم

موسى لما قالوا: سمعنا وعصينا ثقل عليهم وعاقبهم وجعل الآصار والأغلال عليهم والذل إلى يوم القيامة, وسلبهم بركة الطاعة فجعلها في غيرهم وسلطهم عليهم كما قال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) [النساء: 160] .

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بتوريث أصحابه أفضل مما ورثه أصحاب موسى عليه السلام من الأرض

إن قلت نص الله تعالى على ما أكرم به موسى عليه الصلاة والسلام ومن اتبعه من بني إسرائيل من توريثهم الأرض من أموال فرعون وقومه كما قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) [الأعراف 137].

قلت : ليس هذا بأعظم مما ورث الله تعالى أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - إكراماً لسيدنا محمد ﷺ فإن الأرض التي أورها موسى وقومه هي أرض فرعون التي كان يحكم فيها لا جميع الأرض التي خلق الله تعالى بدليل قوله: (الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) ليس كل الأرض بآرك الله فيها, وقد أورث الله تعالى أصحاب سيدنا محمد ﷺ من آل كسرى ما لا يعد ولا يحصى من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة والفرش والأواني والعُدد والسلاح والدواب إلى غير ذلك من سائر أنواع الجواهر والمزارع والأملاك وغير ذلك وحمل ذلك أو معظمه إلى عمر رضي الله عنه فلما رآه قال: (إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هَذَا لَدَوُوا أَمَانَةً) فقال له علي رضي الله عنه: (إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرِّعْيَةُ).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (الله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية وما بعدها من المدائن أنه يريد الدنيا والآخرة ولقد إئتمنا ثلاثة نفر فما رأينا مثل أمانتهم وزهدهم وهم: طليحة بن خويلد, وعمر بن معدي كرب, وقيس بن المكشوح؛ وكان من جملة

ما أصابوه أسفاط فيها تاج كسرى وحلته ووشاحه ودرعه التي كان يلبس للمباهاة والثياب التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر, وأصابوا أيضاً عَيْبَتَيْنِ فِي غِلَافَيْنِ, فِي الواحد منهما خمسة أسياف وفي الأخرى ستة أسياف وأدراع فيها درع كسرى ومغفره وساقاه وساعده ودرع هرقل ودرع خاقان (ودرع داهير) ودرع بهرام ودرع سِيا خُرْس ودرع النعمان كانوا سَبَّوْها أيام عَزَّهم فبعث بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ويسمع بذلك العرب.

ومما وُجِدَ أيضاً سَقَطَانِ فِي إِحْدَاهُمَا فَرَسٌ مِنْ ذَهَبٍ مَسْرَجٌ بِسَرَجٍ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى ثَفَرِهِ وَلَبَتُهُ الْيَاقُوتُ وَالزَّمَرْدُودُ مَنْظُومًا وَلِجَامٌ كَذَلِكَ وَفَارِسُهُ مِنْ فِضَّةٍ مَكَلَّلٌ بِالْجَوْهَرِ, وَسَقَطٌ فِيهِ نَاقَةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَيْهَا شَلِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ زَمَامُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُّ ذَلِكَ مَنْظُومٌ بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكَلَّلٌ بِالْجَوْهَرِ كَانَ كَسْرَى يَضَعُهُمَا إِلَى اسْطَوَانَتِي التَّاجِ, وَأَقْبَلَ رَجُلٌ بِحُقٍّ إِلَى صَاحِبِ الْأَقْبَاضِ, فِي ذَلِكَ الْحُقِّ صَنُوفٌ مِنْ نَفِيسِ الْجَوْهَرِ, فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْأَقْبَاضِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ وَلَا يَعْدِلُهُ مَا عِنْدَنَا وَلَا يَقَارِبُهُ, وَقَالَ لِلرَّجُلِ: هَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ فَعَرَفُوا أَنَّ لِلرَّجُلِ شَأْنًا, فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ (لَا) أَخْبَرَكُمْ, فَاتَّبَعُوهُ رَجُلًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ .

وأيضاً فَإِنَّ قَهْرَ أَصْحَابِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَفَرَعُونَ وَقَوْمَهُ كَانَ بِمَا أَطْبَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَحْرِ وَإِغْرَاقِهِمْ وَقَهْرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَكَسْرَى وَقَوْمَهُ كَانَ بِمُبَاشَرَتِهِمْ وَسَيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ وَقَوَّتِهِمْ وَأَسْلَمَ مِنْ أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ عَلَى الْجَزِيَةِ وَالصَّغَارِ مَنْ اسْتَسْلَمَ فَكَانَ أَبْلَغَ فِي النِّكَايَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَعْظَمَ لظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَأَدْحَرَ لِمَعَالِمِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ, فَأَصْحَابُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانُوا فَارِّينَ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانُوا طَالِبِينَ لِعَدُوِّهِمْ وَفَرَقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ مِمَّا لَوْ أَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا

فإنه أبقى في أعقابهم الذل والصغار ليعتبر بهم وجعل ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وزيادة في أموالهم واستمراراً للذلة في عدوهم.

ثم إن ما علمنا أنّ المسلمين غنموه من آل كسرى أعظم مما علمنا أن أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام غنموه من آل فرعون وذلك أن سعداً - رضي الله عنه - لما قسم المغانم بين العسكر جمع كل شيء أراد أن يتعجب منه عمر من ثياب كسرى وحليه وسيفه وغير ذلك مما كانت العرب تعجب أن يقع إليهم ويصير بأيديهم؛ فمن ذلك أنه أخرج بساطاً يعرف بالقطيف مقدار سبعة جريب أرضه مذهبة فيه صور مختلفة ووشتي وفصوص كالنوار في خلالها صور النخل والشجر وفي حافاتها طرز كالأرض المزروعة والأرض المقلعة بالنبات في الربيع معمولاً بالحرير وعليه قضبان من ذهب ونواره معمول بالذهب والفضة وغرائب الألوان البديعة كان كسرى ييسطه في الشتاء إذا ذهب النوار والرياحين ويشرب عليه مع رجاله كأنهم في روضة فلم تعدل قسمته فقال سعد للمسلمين: هل لكم في أن تطيؤوا نفوساً على أربعة أخماسه ونبعثه إلى عمر ليضعه حيث يرى فإننا لا نراه تتفق قسمته علينا وهو قليل بيننا وسيقع من أهل المدينة موقعاً فقالوا: نعم؛ وبعث به سعد إلى عمر رضي الله عنهما فلما قدم عليه بالمدينة جمع الناس فاستشارهم بالبساط وأخبرهم خبره فمن بين مُشير عليه بقبضه وآخر مُفَوِّض إليه وآخر متوقف فقام علي - رضي الله عنه - فقال له: إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفانيت، فقال: صدقتني، فقطعه وقسمه بين الناس وقال: إن الأ خمس يُنقل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فأصاب علياً قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً وما هي بأجود تلك القطع.

المبحث الثالث

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي عيسى عليه السلام من الفضائل والمعجزات

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من وجهة في الدنيا والآخرة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من الزهد في الدنيا.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأعظم من المائدة التي دعا بها عيسى عليه السلام.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأصحاب هم أفضل من حواربي عيسى عليه السلام.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأعظم من رفع عيسى عليه السلام إلى الله تعالى.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من العصمة من الأعداء.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من وجاهة في الدنيا والآخرة

إذا كان عيسى ﷺ رُوح الله وكلمته ألقاها إلى مريم أعطاه الله تعالى الآيات البينات والمعجزات الباهرات، كلّم الناس في المهد وكهلاً، وأنطقه الله تعالى بالعبودية والنبوة طفلاً وآتاه الإنجيل وجعله يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجعله مباركاً أينما كان وله معجزات كثيرة، ومنقبات منيرة، منها قوله تعالى في حقّه : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [آل عمران: 45].

فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ من الوجاهة في الدنيا والآخرة حتى قبل أن يبعث ﷺ كما أشرنا إليه وتبّهنا عليه من أن قريشاً كانت تسميه الأمين، ولما اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه عند عمارة الكعبة اجتمعوا على أن يضعه أوّل من يخرج عليهم، فخرج محمد - صلى الله عليه - وسلم - فقالوا: هذا الأمين، فرضوا كلّهم به لما جمع الله تعالى فيه ﷺ من الخصال الحمودة والسيرة المرضية والنسب الشريف والحسب المنيف والجاه والمنصب والعشيرة فلم يكن بمكة في زمانه أوجه منه في جميع أموره، فلما بُعث - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة فلا يخفى ما ازداد من الوجاهة، ولا يخفى ما أعطي من التّباهة.

وأما في الآخرة فله الجاه الأعظم والمقام الأكرم في محل الشفاعة حين يُدعى إليها آدمُ فمن دونه من الأنبياء وكلُّ يقول: لست لها فإذا أفضت إليه قال: أنا لها فيسأل الله ثم يسأله فيعطيه ما طلب ويُشَفِّعُه في أهل المحشر فيحاسبون ويستريحون من شدّة ما كانوا فيه فيُشَفِّعُ فيهم، ثم إذا صار العصاة من أمته إلى النار يُشَفِّعُ فيهم مرّة بعد مرّة حتى لا يبقى في النار من قال: لا إله إلا الله إلا أخرج بشفاعته وذلك المقام المحمود الذي وعده ﷺ بقوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإسراء 79] فَيَغِطُّهُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ فَأَيَّ جَاهٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
أَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْجَاهِ وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: (يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) هُوَ أَنْ
يُجْلِسَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا سَيَأْتِي، وَأَمَّا الْقَرَبُ فَأَيَّ مَنْزِلَةٍ أَقْرَبَ مِنْ مَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ، وَهَلْ نَالَ أَحَدٌ
مَا نَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ التَّقَرُّبِ أَمَّا هُوَ الَّذِي خُصَّ بِدَرَجَةٍ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مَا أَوْحَى.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من الزهد في الدنيا

إن قيل: إن عيسى عليه الصلاة والسلام كان زاهداً في الدنيا يُقْنِعُهُ الْيَسِيرُ مِنْهَا وَيَجْتَزِي بِالطَّفِيفِ
مِنَ الْبَلْعَةِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا كِفَافاً فَلَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ قَلْبًا: كَذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَطْوِي
الْيَوْمِينَ وَالثَّلَاثَةَ لَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ وَيَمَكُثُ الْهَلَالَ إِلَى الْهَلَالَ إِلَى الْهَلَالَ ثَلَاثَةَ أَهْلِهِ
فِي شَهْرَيْنِ مَا تُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْتِهِ نَارٌ وَإِنَّمَا كَانَ يَتَقَوَّتُونَ بِالْأَسْوَدِينَ التَّمْرَ وَالْمَاءَ إِذَا حَصَلَ وَهُمْ
مَعَ ذَلِكَ تِسْعَةَ أَهْلِ أَيْيَاتٍ وَمَاتَ وَدَرَعَهُ مَرْهُونَةٌ عَلَى أَوْسَاقِ شَعِيرٍ إِذَاهَا قُوتًا لِأَهْلِهِ وَلَمْ يَتْرِكْ إِلَّا
سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَعَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ وَحْدَهُ لَا وَلَدَ يَجُوعُ وَلَا بَيْتَ يَخْرُبُ عَلَى أَنْ اللَّهُ
تَعَالَى قَدْ كَانَ عَرَضَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ الْأَرْضِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَقَالَ: (أَجُوعُ يَوْمًا
فَأَذْكُرُكَ وَأَشْبَعُ يَوْمًا فَأَشْكُرُكَ) فَسَيَدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَزْهَدُ الْأَنْبِيَاءِ طُرّاً وَأَعْظَمُهُمْ فِيهِ فَضِيلَةً وَفَخْرًا
فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خَبْزِ بَرٍّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعاً وَكَانَ يَرْبِطُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ
وَيَطْوِي اللَّيَالِيَ مَا يَجِدُ مَا يَقْتَاتُ وَلَهُ ثَلَاثُ عَشْرَةِ امْرَأَةٍ يَزِدْنَ تَارَةً وَيَنْقُصْنَ أُخْرَى سِوَى مَنْ يَطْرَأُ
عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَنْتَعِلُ الْمُخْصُوفَ وَيَفْتَرِشُ إِهَابَ شَاةٍ وَكَانَتْ وَسَادَتُهُ مِنْ
أَدَمٍ حَشُوها لَيْفٌ وَكَانَ لَا يَدْخُرُ شَيْئاً لَغَدٍ وَكَانَ زَهْدُهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْرُهُ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ وَلَمَّا فَتَحَ

الله تعالى عليه خزائن الملوك ووطاً له أعناق الجبابرة ومكن له في البلاد وأعطى من غنائم العباد، كان يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف ويعطي الرجل المائة من الإبل والخمسين وما بين جبلين من الغنم، ويُسمي فيأتي السائل فيقول: **(والذي بعثني بالحق ما أمسى في بيت من بيوت آل محمد صاع من شعير ولا تمر)** ولم يكن لعيسى عليه السلام من يطالبه بشيء لا زوجة ولا ولد ولا يحتاج إلى ما كان يحتاج إلى مثله محمد ﷺ.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأعظم من المائدة التي دعا بها عيسى عليه السلام

فإن قيل: إن عيسى - عليه السلام - طلب الحواريون منه أن يدعو ربّه أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيداً يأكلون منها لتطمئن قلوبهم ويعلموا أنه قد صدّقهم ويشهدوا له بذلك؟ **(إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) المائدة (112).**

قيل : إن سيدنا محمد ﷺ : إن أمته لما شكوا إليه الجذب واستئخار المطر عن إبان زمانه فقالوا له: **(ادع الله يُغيثنا وكان يخطب على المنبر يوم الجمعة فرفع يديه ودعا فما نزل حتى جاء المطر وجاش كل ميزاب فلم يزالوا يُمطرُونَ إلى الجمعة الأخرى فقالوا: يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله تعالى يحبسها عنا فدعا فأقلعت وانجابت عن المدينة انجياب الثوب وسال وادي قناة شهراً ولم يحمي أحد من ناحية إلا أخبر بالجود).**

وأيضا قد أعطى الله سيدنا محمداً ﷺ ما هو أفضل من ذلك من غير هذه الشروط وذلك ما روى سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوا

من غدوة إلى الظهر يقوم قوم ويجلس آخرون فقال رجل لسمرة: أما كانت تُمدّ؟ قال: (من أي شيء تَعْجَبُ ما كانت تُمدّ إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء).

فدعوة محمد ﷺ كانت نعمة ورحمة وبركة فإن المطر خير الأرزاق لجميع المخلوقات بل هو أصل الأرزاق كلها وأساس النعم جميعها وقد أنزل الله تعالى على جماعة من أمة محمد ﷺ من السماء طعاماً وشراباً عند حاجتهم إليه وُبُورِكْ لآخرين في قليل الطعام والشراب حتى سدّ مسدّ الكثير وهذا أمر معلوم معهود في أمته.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بأصحاب هم أفضل من حواربي عيسى عليه السلام

إن قيل: قد أتيج لعيسى عليه السلام حواريون كانوا أنصاره وأعوانه قد ذكرهم الله تعالى ومدحهم بذلك في قوله سبحانه عن عيسى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران 52] ؟

قلنا قد أعطي محمد ﷺ أنصاراً قد أشرنا إلى ذكرهم وأنهم قالوا له: والله لو أمرتنا أن نخيضاها البحر لأخضناها وظهر من صدقهم ونصرهم إياه ومنعهم من أرادته بسوء وإجلالهم له وتوقيرهم إياه وامتنال أمره أمورٌ يطول ذكرها ولا يمكن حصرها من خلوص الطاعة وصحة النية وحسن المؤازرة وبذل النفوس في نصره ومجاهدتها في إقامة دينه فإن الله امتحن قلوبهم للتقوى وكانوا لا يُحدّون النظر إليه إعظاماً له ولا يرفعون أصواتهم عنده إجلالاً له وإكراماً ولا يتنخم نخامة إلا ابتدروها يتمسّحون بها ولا سقطت من شعره شعرة إلا تنافسوا فيها حتى إن معاوية رضي الله عنه أوصى أن يدفن معه شعر من شعر رسول الله ﷺ.

وشرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما محجمةً من دمه كان أمره أن يهريقها فأودعها جوفه.

وكان إذا حضره من لا يوقره ولا يعظمه من جفاة العرب استأذنه في ضرب عنقه كما لقي عروة بن مسعود يوم الحديبية من ابن أخيه المغيرة بن شعبة لما قرع يده بنعل السيف وقال له: أكف يدك قبل أن لا ترجع إليك فرجع عروة إلى قريش فأخبرهم بما أعجبهم من تعظيمهم له وواسوه بأموالهم ووقوه بأنفسهم وقتلوا عنه حتى أهلهم وعشيراتهم وعادوا فيه حتى قومه الذين خالفوه وعصوه.

وقد قال - صلى الله عليه وسلم: (إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير بن العوام) وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله وكان في شعب المطابخ فسمع أن النبي ﷺ قد قتل فأخذ السيف وخرج عرياناً في يده السيف صلتاً فلقية النبي ﷺ (كِفَّةَ كِفَّةً) فقال: مالك؟ قال: سمعت أنك قتلت؟ قال: فما كنت صانعاً؟ قال: أردت أن أستعرض أهل مكة) (فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم).

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بأعظم من رفع عيسى عليه السلام إلى الله تعالى

إن قيل: إن عيسى - عليه السلام - رفع إلى السماء كما قال تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوًىكِ وَرَافِعُكِ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [آل عمران 55] ؟

قلنا: قد أعطى النبي ﷺ ذلك على أكمل الوجوه فإن الله رفع محمداً ﷺ إلى فوق سبع سماوات وإلى سدرة المنتهى وخرق من الحجب ما شاء الله ورأى من آيات ربه الكبرى ولم يتوفه وسأله عما يختصم فيه الملائكة الأعلى فأخبره وعلمه ما لم يعلمه غيره وعاد ببشرى من الله تعالى وقد أعطاه

مالم يعط أحداً من النبيين الأولين والآخرين مع أن بعض أصحابه قد رفع إلى السماء فإن جعفر بن أبي طالب لما قاتل يوم مؤتة وقُطعت يدها وقُتل جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة، وعن عامر بن الطُّفَيْل أنه رأى عامر بن فُهيرة يوم بئر مَعُونَة حين قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر السماء بينه وبين الأرض .

ومما يدخل في هذا الباب حديث حنظلة بن أبي عامر الرَّاهب فإنه يوم تزوج بِجَمِيلَة بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول دخل بها بعد أن صلى الصبح وذلك يوم أُحُد، ثم خرج يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - بأُحُد فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها في ذلك، فقالت: رأيت كأنَّ السماء فُرِجت له فدخل فيها ثم أبطقت فقلت: هذه الشهادة وعلقت بعبد الله بن حنظلة، فلمّا قتل حنظلة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: **(إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضّة)** قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فأرسل إلى امرأته يسألها فأخبرته أنه خرج وهو جنب فولده يقال لهم بنو غسيل الملائكة.

وقد طهر الله تعالى نبينا ﷺ من كل شين وخصّه وجمله بكل زين وقد جعل الذين اتبعوه فوق جميع الخلق منزلةً وقدرًا إلى يوم القيامة كما أشرنا إليه من حديثه ﷺ أنه قال: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله)** رواه مسلم.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من العصمة من الأعداء

إن قيل: إن عيسى - عليه السلام - قد كان في حياة وحرز من ربه تعالى أن يعدّ عليه ظالم وأن يُنال بسوء كما قال تعالى: **(وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [المائدة 110] وأيّده بروح القدس فكان يمسي ويصبح آمناً ساكن القلب ثابت الجأش لما كان الله يتولاه؟

قيل: قد كان لمحمد ﷺ أبلغ من ذلك فإن العجم والعرب انتصبت لمعاداته والجن والإنس استعدوا لمناصبته فأيده الله بروح منه ونصره عليهم وأنزل عليه: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة 67] وأنزل عليه المعوذات والقرآن الذي كان يقرأه فيجعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وقصدوه بالأذى عوداً على بدءٍ ويردّ الله كيدهم في نحورهم ويحفظه من شرورهم كما أشرنا إليه من قصة أبي جهل وما أراده سُراقَة في سفر الهجرة وأشباه ذلك كثير.

ومما ورد في هذا الباب أن الشياطين تدلّت عليه من رؤوس الجبال بالشعل من النار فعلمه جبرئيل ما يتعوذ منهم ففعل فكفّي شرهم وطفئت نيرانهم.

واعترض عليه شيطان في المحراب وهو يصلي فأمكنه الله تعالى منه فخنقه وأراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد فذكر دعوة سليمان فأطلقه ولولا ذلك لأصبح مُوثقاً يلعب به الغلمان وهذا باب واسع لا يمكن استيفاء ما ورد فيه لكثرتة على أن أعداء نبينا ﷺ كانوا أشدّ شكيمة وأعظم عداوة وأكبر حقداً وأكثر عدداً وعدداً أهل جاهليّة جهلاء حتّى رمتهم العرب عن قوسٍ واحدة حتى أهلّه وبنو عمّه وعشيرته وهو مع ذلك من قوّة القلب وثبوت الجأش بالمنزلة التي لا يجهلها من وقف على سيرته، وتدبّر أحواله مع قومه، بما ألقى الله في قلوب أعدائه من الرهبة والجرع أن يهجموا عليه، ولقد تمّألاً عليه القبائل ليقتلوه كما قال (الله) تعالى مخبراً عنهم: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30] فقد كان الله سبحانه يحفظه ويصونه ويصرف عنه من أراده بالسوء من كفّار

قريش حتى صرف عنه شتمهم وسبّهم (كما أخبر ﷺ في قوله: (أَلَا تَعَجِبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَسَبَّهُمْ وَلَعْنَهُمْ يَشْتُمُونَ مَذْمُماً وَيَلْعَنُونَ مَذْمُماً وَأَنَا مُحَمَّدٌ).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وإساف ونائلة: (لو رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله فدخلت فاطمة عليها السلام على أبيها - صلى الله عليه وسلم - وهي تبكي فقالت له: إن الملاء من قومك اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا على أن لو رأوك قاموا إليك فقتلوك, وقد عرف كل رجل منهم نصيبه من دمك, فقال: (يا بُنَيَّةُ أذِنِي وَضُوءاً) فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا هاهو هذا فعقروا في مجالسهم, وخفضوا رؤسهم, ولم يقم إليه منهم رجل واحد, فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فحصبه عليهم وقال: «شاهت الوجوه» فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قتله الله يوم بدر كافراً.

المبحث الرابع

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي نوح عليه السلام من الفضائل

وأما فضيلة نوح - عليه السلام - بأن الله تعالى سماه **شكورا** باسم من أسمائه سبحانه في سورة الإسراء الآية (3) (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) .

فنبينا ﷺ قد خصّه باسمين من أسمائه جمعهما له لم يشركه فيهما أحد فقال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 128] , ونوح - عليه السلام - لما خاطبه الله تعالى قال له: {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ} [هود 48] , ولما خاطب - صلى الله عليه وسلم - لم يقل له: يا محمد بل قال له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} فخاطبه بصفات الشرف والرفعة التي تقوم مقام الكنية واللقب بل أعظم, والخطاب بالكنية واللقب أعظم من الخطاب بالاسم المجرد.

وكذلك باقي الأنبياء خاطبهم بأسمائهم المجردة فقال: {يَا إِبْرَاهِيمُ} {يَا مُوسَى} {يَا يَحْيَى} [مريم 12] {يَا دَاوُدُ} [ص 26] {يَا عِيسَى} . ولم يكنهم ولم يخاطبهم بما يقوم مقام الكنية واللقب, ولما خاطبهم كلهم وكان محمد صلى الله عليه وسلم داخلا فيهم خاطبهم بالتعظيم فقال: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) [المؤمنون: 51] .

فظهر فضل محمد - صلى الله عليه وسلم - عليهم كلهم في هذه المسئلة وفي غيرها.

المبحث الخامس

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي صالح عليه السلام في شأن الناقة

مما هو معلوم أن معجزة صالح - عليه السلام - أن أخرج الله تعالى له ناقةً جعلها له على قومه حجةً وآيةً، وجعل في لبنها البركة فكانت تشرب يوماً ماء نهرهم ويشربون يوماً لبنها كما قال الله تعالى: (قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٌ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) [الشعراء: 155-158]

قلنا: للنبي ﷺ من الآيات الخوارق أعجب من هذا فإن اللبن معهود من التوق وإخراج الماء (من) بين الأصابع أمر غير معروف فإنه محمداً ﷺ كان إذا قلَّ الماء عليهم دعا بالقدح ووضع أصابعه فيه فيتفجر الماء عيوناً) من بين أصابعه حتى يرتوي القوم ودواهم ويتزودوا وهم الجم الغفير والخلق الكثير حتى قيل لبعضهم: كم كنتم قال: (لو كنا مائة ألف لكفانا) ولم يعرف هذا لنبي قبله¹.

وكذلك كان يطعمهم من الطعام اليسير فيشبعون ويتزودون ولو كانوا ألوفاً من طعام يكون قدر ما يكفي الواحد والاثنين ونحو ذلك، وقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يمسح ضرع الشاة الحائل فيدّر لبنها فيحلب منها ويبارك فيه وأبلغ من ذلك أنه مسح ضرع الشاة التي لم ينز عليها الفحل فدرّت لبناً كما في حديث ابن مسعود وحديث أم مَعْبَد وغير ذلك وفي حال طفوليته وهو عند ظئره خليمة وما أظهر الله تعالى من البركة في درّها ودرّ شارفها وقوتها وقوة

¹ - كما ثبت في صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال (عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْغُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً).

أَتَانَهَا حَتَّى حَلَبُوا وَشَرَبُوا وَرَوُّوا وَرَوَّيَ وَلَدَهَا وَنَامُوا وَمَا كَانُوا يَنَامُونَ اللَّيْلَ مِنْ بَكَائِهِ وَصَارَتْ أَتَانَهَا تَسْبِقُ الْقَوْمَ بَعْدَ مَا كَانَتْ لَا تَلْحَقُهُمْ إِلَّا مَعَ شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ.

فَكُل ذَلِكَ مُحْضُ بَرَكَةٍ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَأَجْرَاهَا عَلَى مَنْ أَجْرَاهَا بِسَبَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ حَيْثُذُ فِي مَعْرُضِ إِظْهَارِ مُعْجَزَةٍ وَإِقَامَةِ حُجَّةٍ وَدَعَاءٍ إِلَى نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا يُسْتَشْهَدُ بِهَا فِي ثَانِي الْحَالِ عَلَى شَرَفِهِ وَعَظَمِ شَأْنِهِ وَعَلَوِّ مَكَانِهِ وَصَدَقَهُ فِي دَعْوَاهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِمَّا كُنَّا الْقَوْلَ أَيْضًا : نَاقَةُ صَالِح - عَلَيْهِ السَّلَام - وَعَظَمَ خَلْقُهَا وَبَدِيعَ شَكْلِهَا وَتَذَلِيلَ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا فِي يَدِهِ فَهَذَا شَيْءٌ خُلِقَ لِإِبْرَامَ أَمْرٍ أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَتِمُّ إِلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَإِنَّمَا خُلِقَتْ لِتَطْيِيعِهِ وَتَذَلُّ وَهِيَ كَانَتْ مُعْجَزَتُهُ الشَّاهِدَةُ بِرِسَالَتِهِ وَالْمُصَدِّقَةُ بِنُبُوَّتِهِ وَالْمُعْجَزَةُ الْخَارِقَةُ فِي تَذَلِيلِ الْمُسْتَضْعَبِ مِنَ الْإِبِلِ الْمَعْتَادِ صِيَاهَا الْمَعْهُودِ تُفَوِّرُهَا فَإِنْ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دُلِّلَ لَهُ الْمُسْتَضْعَبُ مِنَ الْإِبِلِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِذَا جَمَلٌ نَادَى مِنْ صَاحِبِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ خَرَّ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: (مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْجَمَلِ) فَإِذَا فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا: هُوَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: (فَمَا شَأْنُهُ) قَالُوا: سَنَيْنَا عَلَيْهِ مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً وَكَانَتْ بِهِ شُحِيمَةٌ, فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْحِرَهُ فَنَقْسِمَهُ بَيْنَ غُلَامَانَا فَانْفَلَتَ مِنَّا, قَالَ: تَبِيعُونَهُ؟ قَالُوا: (لَا بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) قَالَ: أَمَّا لِي فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَجَلُهُ.

المبحث السادس

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام من الفضائل والمعجزات

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في امتلاك خزائن الأرض وحسن التدبير.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في كمال عقله وحسن عفوه.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في شوقه للقاء ربه.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في امتلاك خزائن الأرض وحسن التدبير

وأما قول يوسف عليه الصلاة والسلام للملك: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ) [يوسف 55] وولاية الملك له ذلك، وحسن تصرفه في سني الجذب، وما أعده لها في سني الخصب؛ قلنا: هذا ما لا ريب فيه ولا شك يعتريه وحال محمد ﷺ في مثل ذلك أجمل، وفضله أكمل، فإن يوسف عليه الصلاة والسلام قال للملك: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) يعني: أرض مصر، فإن ذلك الملك لم يكن يملك غيرها، وإن كانت حالة يوسف - عليه السلام - من النبوة وتبليغ الرسالة وإظهار الشريعة أكبر من تدبير مملكة مصر والتصرف في خزائنها؛ فإن سيدنا محمداً ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض وأن تجرى له بطحاء مكة ذهباً فأبأها.

ثم إن تدبير سيدنا محمد ﷺ في الجذب كان أصلح وأنفع للخلق وسيدنا محمد ﷺ كان إذا أجذب قومه دعا الله تعالى فأنزل الغيث فعمّ البلدان وأحياها، وأحيا أهلها وتصرفوا هم في معائشهم على مقتضى مصالحهم واختيارهم من غير حرجٍ ولا تقتير ولا تضيق وكانوا إذا أملقوا أو قلت الأزواد سفراً وحضراً دعا بما بقي معهم منها ثم دعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأكلوا وتزودوا وكذلك في الماء إذا أعوزهم فهذا التدبير أكمل من تدبير يوسف عليه الصلاة والسلام، وهذا التصرف أنفع من تصرف يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا النفع أعم من نفع تدبير يوسف عليه الصلاة والسلام.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في كمال عقله وحسن عفوهِ

وأما عقل يوسف عليه الصلاة والسلام، وحلمه، وصبره على الأذى وما لقي أولاً من إخوته ثم آخراً لما وُجد الصّاع في رحل أخيه قالوا: (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) [يوسف 77].

ولما قدموا المّة الأولى فعرفهم وهم له منكرون وهو حينئذ على خزائن الملك، فلم يهجه ما فعلوا به ولم تحركه القدرة عليهم على الانتقام منهم بل قال: (اثْنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) [يوسف 59].

ثم لما عرفوه حين قال: {أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف 90] ، قالوا له: {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} [يوسف: 91] فقال هو: (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف 92] ؛ وهذا غاية في الحلم فإنه عفا عنهم من قبل أن يسألوه العفو وأبوهم يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قالوا له: (اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) [يوسف 97] قال: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) [يوسف 68].

قلنا : هذه صفات حسنة وأخلاق جميلة وطباع كريمة ؛ ولسيدنا محمد ﷺ في ذلك عجائب لا يدرك مداها، ولا يبلغ منتهاها من ذلك:

أن اليهودية التي جعلت السّم في طعامه فإنه عفا عنهما ولم يعاقبهما، وهذا أعظم من عفو يوسف عليه الصلاة والسلام عن إخوته ؛ فإنّ القرابة والرّحم قلّ أن تسمح النفس بالعقوبة لهم، ولا سيما مع طول المّدّد وتقادم العهد فإن جمرّة الغضب إذا طال الزمان تطفئ، وبوادر الانتقام تسكن حينئذ وتخفى.

وأما حلم سيدنا محمد ﷺ عن قومه وما بالغوا معه في الأذى قولاً وفعلاً ولما مكّنه الله تعالى منهم يوم الفتح قال: (من دخل بيته فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ونحو ذلك مع شدة ما أسلفوه من العداوة، وما أبدوه في حقّه من الأذى، قابلهم بهذا الحلم الوافر والإحسان العظيم، على تقارب العهد، والجرح طري ولم يندمل، حتى قالت الأنصار - رضي الله عنهم: أما الرجل فأدركته الرأفة بقومه والرغبة في قريته على أن له من العقل والحلم والأفضال مما أشرنا إليه .

ومعلوم من خلال كتب السيرة أن من آذاه وسبّه وقصد مضرتّه بل وقتله من الكفار والمنافقين واليهود وغيرهم فضلاً عن الذين آذوه من قومه وأهله وبني عمّه ما تضيق عن حصره مجلّدات كثيرة فعفوه عن الأجانب من المشركين واليهود وغيرهم أعظم من عفوه عن أهله. وكما جرى في قصّة غَوْرَث الذي جاء والنبي ﷺ نائم فاخترط سيفه فانتبه النبي ﷺ وغَوْرَث قائم على رأسه بالسيف صلتاً فقال له: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقال: (الله) فألقى السيف من يده فلم يؤاخذه ولم يعاقبه.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في شوقه للقاء ربه

فإن قيل: إن يوسف - عليه السلام - دعا ربّه بالموت شوقاً إلى لقاءه؟ (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) سورة يوسف (101) .

قيل: فمحمد ﷺ لما حضر أجله خيّر بين الحياة والموت فاختر لقاء ربّه تعالى وجعل يقول: (الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده ﷺ.

المبحث السابع

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الفضائل والمعجزات

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الملك.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من معرفته بلغات الحيوانات.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأفضل من عرش بلقيس الذي أوتي سليمان عليه السلام.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من تسخير الشياطين له.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الملك

وأما ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام فإنه قال: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) سورة ص: (35) .

فقد أعطي محمد ﷺ أعظم من ذلك فإنه ﷺ قال: «رُؤِيتُ لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها وإنَّ ملك أُمِّي سيبلغ ما زوي لي منها» وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض فأبأها وردها بحذافيرها وعرضَ له أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً فقال: «لا يا رب - ثلاثاً-، فإذا جُعْتُ تضرَّعتُ إليك وذكرْتُك وإذا شبعْتُ حمدتُك وشكرتُك» واختار - صلى الله عليه - وسلم - أن يجوع يوماً ويشبع يوماً فإذا جاع صَبَرَ وتضرَّع إلى الله وإذا شبع حمد الله وشكره، وهاتان الحالتان الصبر والشكر هما من أرفع مراتب العبادة التي يحصل بها الملك الكبير الذي لا ينقطع وهو ﷺ مَلِكُ الآخرة من بني آدم وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أَتَيْتُ بِمَقَالِيدِ الدُّنْيَا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ جَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَيْهِ قُطِيفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ) رواه أحمد وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

وقد قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (يا عائشة، لو شِئتُ، لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْرَتَهُ لَتُسَاوِي الكَعْبَةَ، فقال: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ويقول: إِنَّ شِئتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فنظرتُ إلى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأشارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُ نَفْسَكَ، فقلتُ: نَبِيًّا عَبْدًا) قالت عائشة: (فكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ ذلك لا يأْكُلُ مُتَكِنًا، يقول: آْكُلُ كما يأْكُلُ العَبْدُ، وأَجْلِسُ كما يَجْلِسُ العَبْدُ) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى وأبو يعلى ، وقال السيوطي في الخصائص الكبرى: إسناده حسن.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من معرفته بلغات الحيوانات

إن قيل: إن سليمان عليه الصلاة والسلام كان يفهم كلام الطير كما قال تعالى عنه: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْ كَلَّمَ الطَّيْرَ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [النمل 16] وقصة الهدهد ورسالته به إلى بلقيس وكلام النملة له ونحو هذا.

قلنا: لا شك في أنّ هذا فضل مبين وشرف متين والفضل بيده تعالى يؤتیه من يشاء وهو ذو **الفضل العظيم** فقد أخبر الله تعالى أن الفضل الذي آتاه سليمان عليه السلام **(مبين)** وما أوتي سيدنا محمد ﷺ **فضلاً عظيماً** والعظيم أبلغ وأكمل وأفضل من المبين.

وقد كلمته ذراعُ الشاة المسمومة وقالت: (فِي سَمِّ فَلَا تَأْكُلْنِي) فكلّ هذه الأمور وما يشابهها أعجب من كلام الطير والنملة وكان في تكليم هذه الأشياء لنبينا ﷺ معجزات كالتسليم عليه بالنبوة والشهادة له بالرسالة والتصديق لما جاء به والتوسّل إليه والتشفع به في الشدائد بخلاف كلام الطير والنملة فإنّ ذلك لم يكن لإظهار المعجز لسليمان عليه الصلاة والسلام، وإنما كان شيئاً علّمه إياه فسمع ذلك فيفهمه كما يسمع من يعرف لسان الفارسي فارسيّاً يتكلم أو يُكلّمه فيفهم ما يقول، فهي فضيلة واحدة: وهي فهم كلام ذلك المتكلم وفهم سيدنا محمد ﷺ لتلك الأشياء كان فيه هذه الفضيلة وفيه معجزة تخبر برسالته وأمور أخرى كما تقدّم.

وإنما كان تبليغ الهدهد رسالة سليمان عليه الصلاة والسلام إعانة له على تبليغها وقد كان يمكنه إرسالها مع غير الهدهد مما سخر الله تعالى له من الريح والجنّ وغير ذلك ومبلّغوا رسائل محمد ﷺ كانوا أصحابه الذين يتكلّمون بما لا يمكن غيرهم من التبليغ ما يمكنهم كما هو معروف في سيرته.

وأما النملة فإنما كان كلامها لمصلحتها ومصلحة النمل لا لمصلحة سليمان عليه الصلاة والسلام ولا إظهاراً لمعجزته بل خوفاً من أن يحطمها سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ففهم الله تعالى سليمان عليه الصلاة والسلام كلامها وهو فضيلة جلية.

لكن فضيلة سيدنا محمد ﷺ أعظم لما قدّمناه وأبلغ من ذلك أن الحجر والشجر الجمادين يكلمان أمّة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وذلك ما روي في الصحاح وغيرها عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقنته، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

وأخبر أنّ ما أتى محمد ﷺ من الفضل (كان عظيماً) كما قال تعالى: {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} [النساء 113] فكان ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام فضلاً مبيناً وما أوتي محمد - صلى الله عليه وسلم - فضلاً عظيماً والعظيم أبلغ وأكمل وأفضل من المبين.

وليس منطق الطير والنملة بأعظم من منطق الذئب والغزال والضب والجمل وغير ذلك بل ومنطق الجماد كحنين الجذع وتسليم الأحجار والأشجار وتسبيح الحصى والطعام في يده ﷺ وفي أيدي أصحابه كما تقدم، وتكليم ذراع الشاة المسمومة وفهم هذه الأشياء كلامه ﷺ وفهمه كلامها كما أخبر عن الجمل أنه قال: (أنّ صاحبه يُدَبِّئُهُ ويحييه) وقد سبق الحديث بطوله.

وأما قصته ﷺ مع الغزالة ففي الحديث: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحْرَاءِ، فَإِذَا مُنَادِيًا يُنَادِيهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ أَحَدًا، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا ظَبْيَةٌ مُوثَقَةٌ، فَقَالَتْ: ادْنُ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَنَا مِنْهَا، فَقَالَ: حَاجَتِكَ؟ قَالَتْ: إِنَّ لِي خَشْفَيْنِ فِي

ذَلِكَ الْجَبَلِ فَحُلِّنِي حَتَّى أَذْهَبَ، فَأَرْضِعَهُمَا، ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَيْكَ، قَالَ: وَتَفْعَلِينَ؟ قَالَتْ: عَذَّبَنِي اللَّهُ بِعَذَابِ الْعِشَارِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ، فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ، فَأَرْضَعَتْ خَشْفَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَأَوْثَقَهَا وَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ: لَكَ حَاجَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُطْلِقُ هَذِهِ، فَأَطْلَقَهَا، فَخَرَجَتْ تَعْدُو، وَهِيَ تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ¹.

ومع ذلك فإن سيدنا محمداً ﷺ قد كان يفهم كلام الطير ويعرف مراده كما في الحديث أن بعض أصحابه أخذ فِرَاحَ حَمْرَةٍ فجاءت الحَمْرَةَ فجعلت تُرَشِّشُ على رؤوسهم فقال - صلى الله عليه وسلم: (مَنْ فجع هذه بفراخها) ثم أمره بردها².

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأفضل من عرش بلقيس الذي أوتيهِ سليمان عليه السلام

فإن قيل: إن سليمان عليه الصلاة والسلام كان عنده من علماء الكتاب مَنْ أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه؟ (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) النمل (40) إلخ القصة.

¹ - هذا الحديث ورد بصيغ مختلفة، ومنها كما في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني - النص المذكور أعلاه - قال عنه الشيخ الألباني: ضعيف . وقال أيضا: وقد رويت القصة من طرق أخرى، لا يصح منها شيء، وفي بعضها ما ليس في الأخرى. انتهى.

وجاء في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: وأما حديث الطيبة: فأخرجه البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة وذكره عياض في الشفاء، ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محسن عن أم سلمة الحديث بطوله، وفيه: قالت يا رسول الله صادني هذا الأعراي، ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع... إلخ، ورواه الطبراني بنحوه، والمنذري في الترغيب والترهيب من باب الزكاة، وقال الحافظ ابن كثير: إنه لا أصل له، وقال الحافظ السخاوي: لكنه ورد في الجملة عدة أحاديث يقوى بعضها بعضاً أوردها الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر. انتهى.

² - أخرجه أبو داود (2675) واللفظ له، وأحمد وصححه النووي في رياض الصالحين.

قيل: لنبينا ﷺ أعظم منه ففي حديث الإسراء أن قريشاً لما كذّبت في حديثه عن بيت المقدس وكان فيهم من قد رأى المسجد قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: (نعم) قال: (فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس عليّ) وكان قد جاءه ليلاً قال: (فجئ بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضع دون دار عقيل فَتَعَتْ المسجدَ وأنا أنظر إليه) فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب.

فهذا قد حُمِلَ له بيت المقدس في لحظة حتى وُضع بإزائه ينظر إليه ويخبرهم عنه وحمل بيت المقدس من مكانه إلى مكة أعظم من حمل عرش بلقيس إلى سليمان عليه الصلاة والسلام.

وفي حديث الإسراء أيضاً أنهم سألوه عن أشياء منها أنهم سألوه عن غيرهم قال: **(مررت بها بالتّنعيم) قالوا: فما عدّتها وأحماها وهيئتها؟ قال: (كنت في شغل عن ذلك) قال: (ثم مُثِلْتُ له بعدّتها وأحماها وهيئتها ومن فيها) فقال: (نعم هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورك عليه غرارتان محيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس) فأحصوا جميع ذلك فوجدوه كما أخبر؛ وحمل البعير بأحماها وما فيها أعظم من حمل عرش بلقيس.**

ومن ذلك أن النّجاشي لما مات ضرب جبريل عليه السلام الجبال بجناحه فتوطأت حتى نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى نعشه فصلّى عليه فيما قيل.

وأعظم من ذلك كله ما في صحيح مسلم في حديث ذكره عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: **(إني صوّرت لي الجنة والنّار، فرأيتهما دون هذا الحائط).**

وأعظم من ذلك حمله على البراق إلى فوق سبع سماوات وإلى فوق سدرة المنتهى وخرق الحجب حتى دنا من ربّه تعالى وتقدس فكان قاب قوسين أو أدنى، فكل ذلك أعظم من حمل عرش بلقيس من مسافة من الأرض قربت أو بعدت.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من تسخير الشياطين له

قال تعالى في قصة سليمان عليه السلام (فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) سورة ص (36-39).

جاء في تفسيرها : سَحَّرْنَا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناؤون والغواصون في البحار، وآخرون، وهم مردة الشياطين، موثقون في الأغلال. هذا الملك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط من شئت وامنع من شئت، لا حساب عليك.

وعمل الملائكة مع محمد ﷺ مع إيمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ واليوم الآخر أعظم وأكمل من عمل الشياطين مع كفرهم بالله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وتمردهم، وما صبروا عليه من التسخير إلا تحكم سليمان عليه الصلاة والسلام فيهم، وخوفهم من عقوبته إيّاهم فلما مات ولم يعلموا بموته تَنُؤوا في (العمل) كما أخبر الله تعالى عنهم، وقد كانوا يوهمون الإنس أنّهم يعلمون الغيب فلبثوا معبدين في العمل ما شاء الله أن يلبثوا، وسليمان عليه الصلاة والسلام مَيِّتٌ مُتَوَكِّئٌ عَلَى مَنَسَاتِهِ فَلَمَّا أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ وَقَعَ فَعَلِمَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ كَانَتْ كَاذِبَةً فِي إِدْعَائِهَا عِلْمَ الْغَيْبِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ وسليمان - عليه السلام - مَيِّتٌ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ.

فأين تسخير هؤلاء المعاندين الكفار المجتهدين في أذى سليمان عليه الصلاة والسلام وغيره من الإنس وانتظار غرّتهم كما يُذكر عن صخرٍ المارد من الكيد والغدر لو قدر على ذلك من إسعاد الملائكة وإعانتهم ونصرهم لمحمد ﷺ وجنده في غير موطن كيوم بدر والأحزاب وغيرهما قال الله

تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: 124 - 126] .

وقال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 9 - 10] .

وقال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال: 12] .

وقد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: (إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَأُضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي فَعَرَفْتُ أَنَّ غَيْرِي قَتَلَهُ) حسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد.

ولما أسر أبو اليسر رضي الله عنه العباس بن عبد المطلب قال له رسول الله ﷺ: (كَيْفَ أَسْرَتْهُ) - وكان العباس أشدَّ بطشاً منه - قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا؛ فقال له رسول الله ﷺ: (لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلِكٌ كَرِيمٌ) أخرجه أحمد ؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند.

المبحث الثامن

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي يحيى عليه السلام من الفضائل

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في شأن الحكم وهو صبي .

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في كونه كان سيداً وحصوراً .

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في شأن الحكم وهو صبي

فإن قيل: إن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام أوتي الحكم صبيّاً كما قال تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيّاً * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) [مريم: 12-15].
وورد أنه عليه السلام كان يبكي من غير ذنب، ويواصل الصّوم.

قيل: ما أعطي سيدنا محمد ﷺ أفضل فإن يحيى - عليه السلام - وُلد في حجر الصالحين والأنبياء عليه السلام ولم يعرف غير عبادة الله تعالى وتوحيده، ومحمد ﷺ تَرَبَّى في مكّة بين قوم جاهليّة أصحاب أصنام وأوثان لا يعرفون عبادة الله تعالى فأعطي الإيمان وعُصم من عبادة الأوثان ومداخلة أهل الشرك والضلال، فلم يعكف معهم على صنم ولا دخل بينهم على وثن وليس عجيباً نسك من ربيّ في حجر النبوة وتردد بين الصالحين ونشأ بين العباد المجتهدين وقد كان أبواه بالمنزلة الرفيعة من العبادة فاعتاد من صغره على الخير كما قيل:

يَنشأ الصغير على ما كان والده إن العروق عليها ينبت الشجر

وقال سيدنا محمد ﷺ: (المرء على دين خليله فانظر من يخال) ولكن العجب من محمد ﷺ الذي نشأ بين أهل الكفر وتربّى بين عبدة الأوثان، ونشأ عند جاهلية جهلاء لا يرون ديناً غير عبادة الأصنام ولا يعرفون غير ذلك، فغلبت العناية الإلهية والتربية الربانية على تأثير المجلس السيّء في المجالس حتى غلبت رائحة مسك المجلس الصّالح على شرر نافح كير الكفر فأطفأه وطفأ نور الإيمان ورّسا وطفئ جمر الشرك ورّسب فكان إذا مرّ بمكان فيه شيء من أوثانهم أعرض وعرج عنه، وألهم من صغره التوحيد وبُغض الأصنام وما كان عليه المشركون؛ فهذا أعظم من حال

يجب عليه الصلاة والسلام، فإنه نشأ بين أبويه يتأدب بأدبهما، يأخذ عبادة ربه عنهما، ولم يكن له جليس إلا أهل الزهد والعبادة، وفرق عظيم بين من أوتي الحكمة وهو في حجر النبوة وكنف أهل العلم والدين وبين من أوتيها وهو بين أهل الكفر والإشراك وعدم من يوحد الله تعالى ويعبده.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في كونه كان سيداً وحضوراً

إن قيل: لقد أثنى الله على يحيى عليه السلام بقوله: (وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) [آل عمران 39] والحصور الذي لا يأتي النساء.

قيل: إن يحيى عليه السلام كان منفرداً بمراعاة شأنه وكان سيدنا محمد ﷺ رسولاً إلى الخلق كافة ليقودهم ويخوشهم إلى الله عز وجل - قولاً وفعلاً؛ فأظهر الله تعالى به الأحوال المختلفة والمقامات العالية المتفاوتة في متصرفاته ليقندي كل الخلق بأفعاله ويتشبه بأوصافه فاقتدى به الصديقون في حالاتهم والشهداء في مراتبهم والصالحون في أحوالهم ليأخذ العالي والداني والمتوسط من سيرته قسطاً وحظاً والنكاح من أعظم حظوظ النفس وأبلغ الشهوات فلهذا أمره الله تعالى بالنكاح وأوجه عليه لما جبل عليه النفوس وطبعها عليه ليتحصنوا به من السفاح.

ولما كان المقصود من النكاح التناسل قال سيدنا محمد ﷺ: (تناكحوا تكثروا فإنني مكاثر

بكم الأمم) واجتمع عنده في وقت تسع نسوة وكان يطوف عليهن في الليلة الواحدة هذا مع توفره على العبادة التي حيرت الخلق فإنه كان يصلي حتى تورم قدماه ويقوم الليل كله بالآية يرددها يناجي بها ربه سبحانه: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الحَكِيمُ) [المائدة: 118] ويواصل في الصوم الأيام والليالي ويقول: (وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ
يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي) متفق عليه ؛ على أنه قال: (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) متفق عليه.

فكان يبالي في الصيام حتى يواصل فيه ومع ذلك فهذا شأنه في القوة على الجماع كما أشرنا
إليه.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله في بيته فقالت: (وَأَيُّكُمْ يطبق ما كان رسول الله
ﷺ يطبق كان عمله ديمةً ﷺ) متفق عليه. والله أعلم.

المبحث التاسع

اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إدريس عليه السلام من الفضائل

إن قيل : قال الله تعالى في ثنائه على سيدنا إدريس عليه السلام : (وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) [مريم: 57 - 58].

قيل : لا ريب أن منزلة محمد ﷺ من الصّدّيقية والنبوة أعظم من منزلة إدريس عليه السلام وأما رفعته إلى المكان العليّ فغيره من الأنبياء رفع إلى أعلى مكانة كما سيأتي في ذكر المعراج والإسراء، وأن محمداً ﷺ علا فوق منزلة إدريس عليه السلام وفوق منزلة من هو فوقه، فإنه رفع فوق سبع سماوات وفوق سدرة المنتهى،

بل رفع إلى مقام دنا من ربّه تعالى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، ورأى من آيات ربّه الكبرى، والحديث في الصحاح والسنن والمسند وغيرها من السّير وكتب العلم مشهور معروف فقد حصل له في الرفع البدني ما لم يحصل لملك مقرب ولا نبيّ مرسل، فأما رفع القدر والمنزلة فقد قال تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح: 4] .

روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال: (قال لي جبريل: قال الله تعالى: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتُ مَعِيَ) فرفع الله تعالى له ﷺ شأنه وأقام برهانه في الدنيا والآخرة بأن قرن اسمه مع اسمه في الشهادة بربوبيّته وتوحيده في مشارق الأرض ومغاربها فليس خطيبٌ ولا مصلٍّ ولا داعٍ إلا ينادي بذكره مع ذكر الله تبارك وتعالى.

الفصل السادس

الخصائص المتعلقة بإرساله ﷺ رحمة للعالمين وكونه أمانة لأصحابه وكونه منه على المؤمنين

الخصوصية الأولى: اختصه الله تعالى بإرساله ﷺ رحمة للعالمين.

رحمته ﷺ بالأمة الإسلامية تتجلى في الدور الثلاثة:

أولاً : من مظاهر رحمته ﷺ بأُمَّته في الدنيا.

ثانياً : من مظاهر رحمة النبي ﷺ بأُمَّته بعد موته وفي الدار البرزخية.

ثالثاً : من مظاهر رحمة النبي ﷺ بأُمَّته في الآخرة.

الخصوصية الثانية: اختصاصه ﷺ بأن جعله الله تعالى منة على أُمَّته.

الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأن الله جعله أمانة لأصحابه.

الخصوصية الأولى

اختصه الله تعالى بإرساله ﷺ رحمة للعالمين

أولاً : الآيات الدالة على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالرحمة :

الآية الأولى : قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:107] .

قال ابن كثير رحمه الله: (يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) أَيَّ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً هُمْ كُلُّهُمْ فَمَنْ قَبْلَ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩] .

الآية الثانية : قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران:159] .

قال أبو المكارم رحمه الله تعالى :

قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) فبأي رحمة من الله سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك فلم تغضب عليهم فيما كان منهم يوم أحد.

وقوله تعالى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) لو كنت خشناً في القول قاسي القلب لا يتأثر فيه شيء، لتفرقوا من حولك ولكن الله جعلك طلقاً لطيفاً براً سمحاً سهلاً هكذا قاله الضحاك؛ فإن القوم لما انهزموا عن النبي عليه السلام يوم أُحُد ثم عادوا لم يخاطبهم

الرسول عليه السلام بالتغليظ أو التشديد ولذلك أثنى الله على عِظَم خلقه ورأفته ورحمته فكيف لا وهو رحمة للعالمين.

ثم ختم الكلام في تفسيرها بقوله : ففي هذه الآية الكريمة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين من تمجيد الله تعالى نبيه عليه السلام لأنه تعالى أثنى عليه ومدحه على كون طبعه الكريم في غاية الرحمة ونهاية الشفقة وكمال اللين على ما شهد به رب العالمين في غير هذا الموضع أيضاً وإنما قلنا إنه على نهاية ما قلنا لأن في مثل هذه المخالفة لا بد أن يتكلم فيها الإنسان بحدة ويؤيد ما قلنا ما الاستفهامية التعجبية في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) على أحد التفسيرين (أقول): في إضافة الرحمة الكائنة فيه عليه السلام إليه سبحانه حيث قال (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) ما يدل على تفخيم شأنه وعلو مكانه قال البيضاوي بيض الله وجهه في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح انتهى.

الآية الثالثة : قال الله تعالى في وصفه ﷺ بأنه رحمة للمؤمنين: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة: 61] .

قال أحد المفسرين : (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) يعطف عليهم ويرق لهم فينجيهم من العذاب بالتزكية والتعليم، ويصلح أمر معاشهم ومعادهم بالبر والصلة وتعليم الأخلاق من الحلم والشفقة، والأمر بالمعروف باتباعهم إياه فيها، ووضع الشرائع الموجبة لنظام أمرهم في الدارين، والتحريض على أبواب البر بالقول والفعل إلى غير ذلك.

وقال الرازي : جعل تعالى هذه الثلاثة كالموجبة لكونه عليه الصلاة والسلام (أُذُنٌ خَيْرٌ) فلنبين كيفية اقتضاء هذه المعاني لتلك الخيرية.

أما الأول: وهو قوله: (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) فلأن كل من آمن بالله خائفاً من الله، والخائف من الله لا يقدم على الإيذاء بالباطل.

وأما الثاني: وهو قوله: (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) فالمعنى أنه يسلم للمؤمنين قولهم والمعنى أنهم إذا توافقوا على قول واحد، سلم لهم ذلك القول، وهذا يناقض كونه سليم القلب سريع الغترار. فإن قيل: لم عدى الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام؟ قلنا: لأن الإيمان المعدى إلى الله المراد منه التصديق الذي هو نقيض الكفر، فعدى بالباء، والإيمان المعدى إلى المؤمنين معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فيتعدى باللام، كما في قوله: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) [يوسف: 17] وقوله: (فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ) [يونس: 83] وقوله (أَنْتُمْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) [الشعراء: 111] وقوله: (ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) [الشعراء: 49].

وأما الثالث: وهو قوله: (وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ) فهذا أيضاً يوجب الخيرية لأنه يجري أمرهم على الظاهر، ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم، ولا يسعى في هتك أستاركم، فثبت أن كل واحد من هذه الأوصاف الثلاثة يوجب كونه (أَذُنْ خَيْرٍ).

وقال ابن عجيبة: تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه وذكر محاسنه، من أجل القربات وأعظم الطاعات لأن تعظيمه ناشئ عن محبته، ومحبته عقد من عقود الإيمان، لا يتم الإيمان إلا بها، والإخلال بهذا الجانب من أعظم المعاصي عند الله، ولذلك قبح كفر المنافقين واليهود، الذين يؤذون جانب النبوة، وما عابه به المنافقون في هذه الآية هو عين الكمال عند أهل الكمال.

وقال القشيري: عابوه بما هو أماره كرمه، ودلالة فضله، فقالوا: إنه لحسن خلقه، يسمع ما يقال له، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ غَرُّ كَرِيمٍ وَالْمُنَافِقُ خَبٌّ لَّيِّمٌ) أخرجه أبو داود.

قالوا: من الفاضل؟ قالوا: الفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ، وأنشدوا:

وَإِذَا الْكَرِيمُ أَتَيْتَهُ بِخَدِيعَةٍ فَرَأَيْتَهُ فِيمَا تَرَوْمُ يُسَارِعُ

فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تَخَادِعْ جَاهِلًا إِنَّ الْكَرِيمَ بِفَضْلِهِ يَتَخَادَعُ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؟) قَالَ: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا؛ وَصَحَّحَهُ شُعَيْبُ الْأَرْنَائِيُّ فِي تَخْرِيجِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَتَخْرِيجِ شَرْحِ السَّنَةِ.

رحمته ﷺ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَتَجَلَّى فِي الدُّورِ الثَّلَاثَةِ: دَارُ الدُّنْيَا وَدَارُ الْبَرْزَخِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ؛ وَسَنُكْتَفِي بِبَعْضِ النُّصُوصِ وَالْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ:

أولاً: من مظاهر رحمته ﷺ بأُمَّتِهِ فِي الدُّنْيَا: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ؛ مِمَّا يَطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمئِذٍ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ مِنْكُمْ مَنْقَرِينَ، فَأَيْكُمْ أُمَّ النَّاسِ، فليُوجِزْ؛ فَإِنْ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرُ، وَالصَّغِيرُ، وَذَا الْحَاجَةِ) متفق عليه.

وقال أنس بن مالك: (ما صليت وراء إمام قط أخف صلاةً، ولا أتم صلاةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا، فَاسْمَعْ بَكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَّجُوزْ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ) (رواه

البخاري. وفيه: دلالة على كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير.

ومن رحمته بأُمّته صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم لا يجعل أيامهم كلها مواعظ:

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخوّلهم بالموعظة، ولا يُكثر عليهم من الوعظ؛ مخافة السّامة عن الأعمش، عن أبي وائل قال: كنا جلوسًا على باب عبد الله، فخرج إلينا، فقال: إنما أخبرت أنكم على الباب، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم أو السّامة عليكم؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السّامة علينا) متفق عليه.

ومما ورد في رحمته ﷺ بالأطفال: أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالصغار، إذا رأى ولده إبراهيم، يأخذه فيقبله ويشمه، كما روى ذلك الإمام البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (مَنْ لا يرحم لا يُرحم) رواه البخاري.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمّه) رواه البخاري.

ومما ورد في رحمته ﷺ دعوته صلى الله عليه وسلم لأُمّته في كل صلاة: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيتُ من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس، قلت: يا رسول الله،

ادعُ الله لي، فقال: (اللهم اغفر لعائشة ما تقدّم من ذنبها وما تأخّر، ما أسرّرت وما أعلنت)، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيسرُك دُعائي؟)، فقالت: وما لي لا يسرّني دعاؤك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (والله إنها لدُعائي لأمتي في كل صلاة) رواه البخاري.

ومما ورد في رحمة الحبيب ﷺ بالخدم والعبيد: عن المعرور قال: لقيتُ أبا ذرٍّ بالرّيزة وعليه حُلّة، وعلى غلامه حُلّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابّيت رجلاً فعيرته بأمّه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذرٍّ، أعيرته بأمّه؟ إنك امرؤ فيك جاهليّة. إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم). رواه البخاري.

ومما ورد في رحمة الحبيب ﷺ بالأعراب: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعينه في شيء قال عكرمة: أراه قال: في دم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله إليهم: أن كفوا).

فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلّغ إلى منزله، دعا الأعرابي إلى البيت، فقال له: (إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت. فرأه رسول الله شيئاً، وقال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: نعم، فجزأك الله من أهل عشيرة خيراً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم.

قال : نَعَمْ . فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ : (إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ جَاءَنَا فَسَأَلَنَا فَأَعْطَيْنَاهُ ، فَقَالَ مَا قَالَ ، وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ فَرَعِمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ ، كَذَلِكَ يَا أَعْرَابِيُّ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ عَشِيرَةٍ خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ ، فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي ، فَأَنَّا أَرْفُقُ بِهَا ، وَأَعْلَمُ بِهَا . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَأَخَذَ لَهَا مِنْ قَتَامِ الْأَرْضِ ، وَدَعَاها حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَجَابَتْ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَإِنَّهُ لَوْ أُطْعِمْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ مَا قَالَ لَدَخَلَ النَّارَ) رواه: البزار، وأبو الشيخ في (الأمثال) وله شواهد.

ومن يتأمل هذا الحديث العظيم، يجد كمال حُسن عِشرته، وسياسته مع خلقِ الله، وشفقته عليهم، ورحمته بهم، ومعاشرته معهم، وكمالِ الحرصِ والجِدِّ على نفعهم، وتَمَامِ مُلاطفته للجاهلين لِحِمْلِهِ لَأَذَاهُمْ، وتحَمُّله عنهم، ولا غرابة في أحواله وصفاته لأَنَّهُ شَكُورٌ لِرَبِّهِ وَالشُّكُورُ لِلَّهِ يَكُونُ فِي غَايَةِ الرَّفْعَةِ وَالْكَمَالِ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وسائر الخِصال.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ: مَهْ مَهْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (لَا تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا لِلْبُولِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ) فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم.

ثانياً : من مظاهر رحمة النبي ﷺ بأُمَّته بعد موتهم وفي الدار البرزخية: تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل

إلى البقيع، فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) رواه مسلم.

من هنا تبين من خلال حديث أمنا عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يُكرّر الزيارة، وهذا من شفقتة وكمال رحمته صلى الله عليه وسلم.

يُخبرنا أن الدعاء ينفع الميت في قبره رحمة بالأموات؛ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم وأحمد.

خوفه ﷺ على الميت من العذاب: ومن رحمته إخوة الإسلام أنه صلى الله عليه وسلم كان يُحذّرنا من أسباب عذاب القبر، بل مرّ ذات يوم على قبرين يُعذّبان فدعا بجريدة رطبة وشقّها نصفين رجاء أن يخفف عنهما العذاب.

ومن مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم ما رأيناه في موقف عجيب له عندما مرّ بقبرين يُعذّبان، فقال: ((إنهما ليُعذّبان، وما يُعذّبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقّها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟! فقال: ((لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا) متفق عليه.

إن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لا تصل فقط إلى الطائعين والمتقين، وإنما تصل إلى عصاة ومذنبين، فالأول كان يمشي بالنميمة، والآخر كان لا يستتر من بوله، وبالتالي لا تستقيم صلاته، ومع ذلك فقلبه يتحرّك لهما، ويضع جريدة رطبة على قبرهما راجياً من الله أن يُخفف عنهما! إنها الرحمة في أروع وأبهى صورها، وصدق رب العالمين إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

ثالثاً : من مظاهر رحمة النبي ﷺ بأُمَّته في الآخرة: ومن صور رحمته صلى الله عليه وسلم بأُمَّته في عرصات يوم القيامة أنه يقول: (أُمَّتِي أُمَّتِي)، كلمة يقولها النبي في موقف ينشغل كل امرئ فيه بنفسه؛ كلٌّ منشغل بنفسه، الأُمُّ لا يهتمُّ وليدها، الخليل يتخلَّى عن خليله، الأنبياء يرفضون التوسُّل إلى الله من أجل البشر؛ بل ينشغلون بأنفسهم، وما هم فيه من هول موقف يوم الدين، أما نبينا فيقول: (يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي). **كما جاء في حديث الشفاعة الطويل :** عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذَن لي، ويلهمني محامد أحمد به لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يَسْمَعُ لك، وَسَلْ تُعْطَ، واشفع تُشَفَّعْ؛ فأقول: يا رب أُمَّتِي، أُمَّتِي) رواه البخاري.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بنا أن ادَّخر دعوته شفاعةً لأُمَّته يوم القيامة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأُمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أُمَّتِي لا يشرك بالله شيئاً) رواه مسلم والترمذي.

وهذا من كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على أُمَّته، واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأن جعله الله تعالى منة على أُمَّته

يقول سبحانه: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران 164].

قال الرازي: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي أنعم عليهم وأحسن إليهم ببعثه هذا الرسول فبعثته - عليه الصلاة والسلام- إحسان إلى كل العالمين ، وذلك لأن وجه الإحسان في بعثته كونه داعياً لهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم إلى ثواب الله ، وهذا عام في حق العالمين ؛ لأنه مبعوث إلى كل العالمين ، كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) [سبأ : 28] إلا أنه لما لم ينتفع بهذا الإنعام إلا أهل الإسلام ، فلهذا التأويل خص تعالى هذه المنة بالمؤمنين ، ونظيره قوله تعالى : (هدى للمتقين) [البقرة : 2] مع أنه هدى لكل ، كما قال : (هدى للناس) [البقرة : 185] وقوله : (إنما أنت منذر من يخشاها) [النازعات : 45] .

قال بعض العلماء : وجه الامتنان ببعثه - عليه الصلاة والسلام- من هذه الجهة أنهم ببعثه يعرفون الله يعرفون المعبود معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته، فيتوجهون إليه وحده دون من سواه يعرفون التوحيد الذي هو الأصل والأساس في النجاة، ويعرفون تفاصيل الصراط المستقيم الموصل إلى الله -تبارك وتعالى-، فبحسب سير العبد على هذا الصراط الذي رسمه لعباده من أجل سلوكه يكون سيرهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، والجزاء من جنس العمل.

فمن هنا يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين ببعث هذا الرسول الأمين: (مَنْ أَنْفُسِهِمْ) أي من جنسهم، أو من العرب خاصة، بعث فيهم رسولاً يعرفون نسبه ونشأته، ويعرفون حاله وأخلاقه وأعماله وصدقه وأمانته، ويفهمون عنه، ويأخذون ويتلقون من غير عناء ولا مشقة؛ فكلامه من جنس كلامهم، ولغته هي لغتهم، فيفقهون قوله، ويفهمون عنه، ويفقهون خطابه.

ونلاحظ هنا أنه سبحانه يؤكد لنا كون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم منة منه على المؤمنين، و مجرد اعتباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم منة يدل على تعظيم الله له؛ لأن الله لا يمن إلا بما هو عظيم، أما تأكيد المنة بـ "لقد" فهو تأكيد لتلك العظمة، وحث للمؤمنين على أن

يذعنوا بكون رسول الله صلى الله عليه و آله وعلى آله وسلم منة، و أن يترجموا هذا الإذعان بالعمل من خلال تقدير و تبجيل و تعظيم تلك المنة و النعمة، و نلاحظ بعد ذلك تعظيمه من جهة ذكر مهامه العظيمة التي يقوم بها، و هي تلاوة الآيات و تزكية المؤمنين و تعليمهم الكتاب و الحكمة و هدايتهم، و هذه مهام عظيمة عددها ربنا هنا مدلاً بها على كون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم منة، و هي إذ تدل على كونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم منة فإنها بالوقت ذاته تدل على عظمة من يقوم بها.

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا : جَلَسْنَا نَدْعُوا اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ ، عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِكَ قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَستَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَإِنَّمَا أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ) رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأن الله جعله أمانة لأصحابه

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه أمانة لأصحابه، أمانة: أمان لأصحابه، أكرمه الله تعالى، وأكرم أصحابه بأن جعل وجوده بينهم أماناً لهم من العذاب، بخلاف الأمم السابقة، فقوم نوح ماذا حصل لهم؟ عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم هود عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم صالح عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، وقوم شعيب عذبوا في حياة نبيهم وأهلكوا، أما النبي عليه الصلاة والسلام من خصائصه أن وجوده عليه الصلاة والسلام في أمة أمان لهم من الفناء والعذاب، فلا يأتي عذاب عام فيهلكهم.

قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) [الأنفال:33] مع أنهم يستحقون العذاب، فهم كفرة مشركون، كفار قريش متجبرون طغاة، ومع ذلك قال: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال:33]، وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام رفع رأسه مرة إلى السماء بعدما صلى بالقوم المغرب، جلس وسألهم ما الذي أجلسهم، قال: ما زلتم هاهنا، قالوا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء - ينتظرون الصلاة بعد الصلاة رباط في سبيل الله - قال: (أحسنتم أو أصبتم، فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، وهذا في غير الصلاة، فقال: (النجوم أمانة للسماء) فما دامت النجوم باقية فالسماوات باقية، يوم القيامة إذا النجوم انكدرت وتناثرت فاعلم أن السماء ستتشقق وستذهب، وتنفطر وتزول، فإذا كانت النجوم موجودة فالسماء بخير وموجودة، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت، فاعلم أن السماء ستذهب (وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي -من البدع- فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) رواه مسلم. ما يوعدون: من التفرق وانفتاح باب البدعة.

الفصل السابع

اختصه الله تعالى بأن أقسم به ﷺ وله تشريفا وتعظيما له ولرسالته وكتابه

الخصوصية الأولى : أقسم الله تعالى بعمره الشريف ﷺ .

الخصوصية الثانية : أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه من المرسلين وعلى صراط مستقيم.

الخصوصية الثالثة : أقسم الله تعالى له بكمال عقله ﷺ تشريفا وتكريما.

الخصوصية الرابعة: أقسم الله تعالى له ﷺ بنفي الضلال عنه تشريفا وتكريما.

الخصوصية الخامسة : أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه ما ودعه ولا قلاه تطمينا له وتكريما.

الخصوصية السادسة : أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه جاء بالقرآن من عند ربه دفاعا عنه.

الخصوصية السابعة : أقسم الله تعالى ببلده الأمين تشريفا وتكريما له ﷺ .

الخصوصية الأولى

أقسم الله تعالى بعمره الشريف ﷺ

في قوله تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) سورة الحج (72).

من أجل خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن الله أقسم بحياته والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه، ولكن المخلوقين لا يجوز أن يقسموا إلا بالخالق، ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، فالإقسام بحياته عليه الصلاة والسلام يدل على شرف حياته وعزتها، ونفاستها ومنزلتها عند المقسم بها وهو الله تعالى.

فقد أقسم الله بعمره وحياته من بين جميع الخلق والأنبياء والرسل في القرآن الكريم ، فمعنى ذلك أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أضاع لحظة في حياته عبثاً ، وقضى كل دقائق عمره وثوانيتها في التفكير وفي عبادة الله عز وجل وطاعته.

والإقسام بحياته صلى الله عليه وسلم يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها تعالى ، وأن حياته صلى الله عليه وسلم لجديرة أن يُقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ، ولم يثبت هذا لغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دائماً إلى يوم الدين.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : (مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ؛ قَالَ تَعَالَى (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الحجر: 72].

قال ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)، يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون)

وقال ابن كثير رحمه الله: (أقسم تعالى بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا شرف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعاً أن هذا قسم من الله بحياة رسوله وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزية لا تعرف؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما "لعمرك أي وحياتك قال وما أقسم الله تعالى بحياة نبي غيره" والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم وأيضاً فإن العمر حياة مخصوصة فهو عمر شريف عظيم أهل أن يقسم لمزيتة على كل عمر من أعمار بني آدم ولا ريب أن عمره وحياته من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات)¹.

الخصوصية الثانية

أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه من المرسلين وعلى صراط مستقيم

قال تعالى: (يَسَ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) سورة يس (1-4).

جاء في التفسير الوسيط: قوله تعالى: (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) قسم منه تعالى بكتابه ذى الحكمة العالية. والهدايات السامية، والتوجيهات السديدة، والتشريعات القويمة، والآداب الحميدة. وقوله سبحانه: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب لهذا القسم. أى: وحق هذا القرآن الحكيم، إنك أيها الرسول الكريم - لمن عبادنا الذين اصطفيناهم لحمل رسالتنا، وتبليغ دعوتنا إلى الناس، لكي يخلصوا العبادة لنا، ولا يشركوا معنا في ذلك غيرنا.

¹ - التبيان في إيمان القرآن - لابن القيم - ص (129) - المكتبة الشاملة .

وجاء هذا الجواب مشتملا على أكثر من مؤكد، للرد على أولئك المشركين الذين استنكروا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في شأنه: (لست مرسلًا).

قال بعض العلماء: واعلم أن الأقسام الواقعة في القرآن. وإن وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه، إلا أن المقصود الأصلي بها تعظيم المقسم به؛ لما فيه من الدلالة على اتصافه تعالى بصفات الكمال، أو على أفعاله العجيبة، أو على قدرته الباهرة فيكون المقصود من الحلف: الاستدلال به على عظم المحلوف عليه، وهو هنا عظم شأن الرسالة.

كأنه قال: إن من أنزل القرآن - وهو من هو في عظم شأنه - هو الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم - ومثل ذلك يقال له في الأقسام التي في السور الآتية.

وقوله تعالى: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) خبر ثان لحرف (إن) في قوله تعالى قبل ذلك: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

أى: إنك - يا محمد صلى الله عليه وسلم - لمن أنبيائنا المرسلين، على طريق واضح قويم، لا اعوجاج فيه ولا اضطراب، ولا ارتفاع فيه ولا انخفاض، بل هو في نهاية الاعتدال والاستقامة.

قال صاحب الكشف: قوله: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) خبر بعد خبر، أوصلة للمرسلين.

فإن قلت: أى حاجة إليه خبرا كان أو صلة، وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟ **قلت:** ليس الغرض بذكره ما ذهب إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته. وإنما الغرض وصفه، ووصف ما جاء به من الشريعة، فجمع بين الوصفين في نظام واحد، كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت، وأيضا فإن التنكير فيه دل على أنه أرسل من بين الصراط المستقيمة، على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه أى: في التضييق والتعظيم.

الخصوصية الثالثة

أقسم الله تعالى له بكمال عقله ﷺ تشريفاً له وتكريماً

في قوله تعالى : (نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم (1-4).

جاء في التفسير الوسيط : الواو في قوله: (وَالْقَلَمِ) للقسم، والمراد بالقلم: جنسه، فهو يشمل كل قلم يكتب به و (ما) في قوله (وَمَا يَسْطُرُونَ) موصولة أو مصدرية. و(يَسْطُرُونَ) مضارع سطر ، يقال: سطر الكتاب سطراً، إذا كتبه، والسطر: الصف من الشجر وغيره، وأصله من السطر بمعنى القطع، لأن صفوف الكتابة تبدو وكأنها قطع متراصة.

وجواب القسم قوله: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ).

أى: وحق القلم الذى يكتب به الكاتبون من مخلوقاتنا المتعددة، إنك - أيها الرسول الكريم - لمبرأ مما اتهمك به أعداؤك من الجنون، وكيف تكون مجنوناً وقد أنعم الله - تعالى - عليك بالنبوة والحكمة.

فالمقصود بالآيات الكريمة تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المشركين، ودفع تهمهم الباطلة دفعا يأتى عليها من القواعد فيهدمها، وإثبات أنه رسول من عنده تعالى.

وأقسم - سبحانه - بالقلم، لعظيم شرفه، وكثرة منافعه، فبه كتبت الكتب السماوية، وبه تكتب العلوم المفيدة.. وبه يحصل التعارف بين الناس..

وصدق الله إذ يقول: (أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) قال القرطبي: أقسم سبحانه بالقلم. لما فيه من البيان كاللسان. وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من السماء مَنْ في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البستي:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدّوه مما يُكسِبُ المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

والمعنى: انتفى عنك الجنون في حال كونك ملتبسا بنعمة ربك أى: منعما عليك بما أنعم من حصافة الرأي، والنبوة..

وفى إضافته صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل مزيد إشعار بالتسلية والقرب والمحبة؛ ومزيد إشعار - أيضا - بنفى ما افتراه الجاهلون من كونه صلى الله عليه وسلم مجنوناً، لأن هذه الصفة لا تجتمع في عبد أنعم الله - تعالى - عليه، وقربه، واصطفاه لحمل رسالته وتبليغ دعوته.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والمقسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه أعداؤه وهو قوله تعالى (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) وأنت إذا طابقت بين هذا القسم والمقسم به وجدته دالاً عليه أظهر دلالة وأبينها فإن ما سطر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر إلا من عقل وافر فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلى درجات العلوم بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الإتيان بها ولا سيما من أُمي لا يقرأ كتاباً ولا يخط يمينه مع كونه في أعلى أنواع الفصاحة سليماً من الاختلاف برياً من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك

من مجنون لا عقل له يميز به ما عسى كثير من الحيوان أن يميزه وهل هذا إلا من أقبح البهتان وأظهر الإفك.

فتأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم عليه ودلالته عليه أتم دلالة ولو أن رجلاً أنشأ رسالة واحدة بديعة منتظمة الأول والآخر متساوية الأجزاء يصدق بعضها بعضاً أو قال قصيدة كذلك أو صنف كتاباً كذلك لشهد له العقلاء بالعقل ولما استجاز أحد رمية بالجنون مع إمكان بل وقوع معارضتها ومشاكلتها والإتيان بمثلها أو أحسن منها.

فكيف يُرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء كلهم قاطبة عن معارضته ومماثلته وعرفهم من الحق مالا تهتدي عقولهم إليه بحيث أذعنت له عقول العقلاء وخضعت له ألباب الأولياء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها إلا التسليم له والانقياد والإذعان طائفة مختارة وهي ترى عقولها أشد فقراً وحاجة إلى ما جاء به ولا كمال لها إلا بما جاء به فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ولهذا فإن أتباعه أعقل الخلق على الإطلاق وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في الفنون إذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه ظهر لك التفاوت بينها ويكفي في عقولهم أنهم عمروا الدنيا بالعلم والعدل والقلوب بالإيمان والتقوى فكيف يكون متبوعهم مجنوناً وهذا حال كتابه وهديه وسيرته وحال أتباعه وهذا إنما حصل له ولأتباعه بنعمة الله عليه وعليهم فنفى عنه الجنون بنعمته عليه.

وجاء في التفسير الوسيط : ثم بشره سبحانه ببشارة ثانية : فقال : (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ).

وقوله : (مَمْنُونٍ) مأخوذ من المن بمعنى القطع، تقول: مننت الحبل، إذا قطعته، ويصح أن يكون من المن، بمعنى أن يعطى الإنسان غيره عطية ثم يفتخر بها عليه، ومنه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) أى: وإن لك - أيها الرسول الكريم - عندنا، لأجرا عظيما لا يعلم مقداره إلا نحن، وهذا الأجر غير مقطوع بل هو متصل ودائم وغير ممنون.

وهذه الجملة الكريمة وما بعدها، معطوفة على جملة جواب القسم، لأنهما من جملة المقسم عليه.
ثم أثنى - سبحانه - عليه بأجمل ثناء وأطيبه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

والخلق - كما يقول الإمام الرازى - ملكه نفسانية، يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة؛ والعظيم: الرفيع القدر، الجليل الشأن، السامى المنزلة.

أى: وإنك - أيها الرسول الكريم - لعل دين عظيم، وعلى خلق كريم، وعلى سلوك قويم، فى كل ما تأتبه وما تتركه من أقوال وأفعال.. والتعبير بلفظ (على) يشعر بتمكنه صلى الله عليه وسلم ورسوخه فى كل خلق كريم. وهذا أبلغ رد على أولئك الجاهلين الذين وصفوه بالجنون، لأن الجنون سفه لا يحسن معه التصرف.

أما الخلق العظيم، فهو أرقى منازل الكمال، فى عظماء الرجال. وإن القلم ليعجز عن بيان ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة، من ثناء من الله - تعالى - على نبيه صلى الله عليه وسلم.

الخصوصية الرابعة

أقسم الله تعالى له ﷺ بنفى الضلال عنه تشريفا له وتكريما

قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) سورة النجم (1-4).

قال المفسرون : والنجم: هو الكوكب الذى يبدو للناظرين، لامعا فى جو السماء ليلا. والمراد به هنا: جنسه، أى: ما يشمل كل نجم بازغ فى السماء، فأل فيه للجنس.

وقيل: أل فيه للعهد والمراد به نجم مخصوص هو: الشعري، وهو نجم كان معروفا عند العرب.

وقد جاء الحديث عنه في آخر السورة، في قوله تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى) قالوا: وكانت قبيلة خزاعة تعبد. **وقيل المراد به: الثريا، فإنه من النجوم المشهورة عند العرب.**

وقيل: المراد به هنا: المقدار النازل من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وجمعه نجوم، وقد فسره بعضهم بذلك في قوله تعالى: (فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) .

ومعنى **هوى**: سقط وغرب؛ يقال هو الشيء يهوى - بكسر الواو - - هوى - بضم الهاء وفتحها - إذا سقط من أعلى إلى أسفل.

قال الألوسي رحمه الله تعالى : وأظهر الأقوال، القول بأن المراد بالنجم، جنس النجم المعروف، فإن أصله اسم جنس لكل كوكب. وعلى القول بالتعيين، فالأظهر القول بأنه الثريا.

ووراء هذين القولين، **القول بأن المراد به:** المقدار النازل من القرآن عنه ؛ وهو قول ابن عباس مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره الفراء.

والمعنى: وحق النجم الذى ترونه بأعينكم - أيها المشركون - عند غروبه وأفوله، وعند رجونا به للشياطين.. إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - الذى أرسلناه إليكم - (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)، ما ضل عن طريق الحق فى أقواله وأفعاله، وما كان رأيه مجانباً للصواب فى أمر من الأمور، وما ينطق بنطق صادر عن هوى نفسه ورأيه، وإنما ينطق بما نوحيه إليه من قرآن كريم، ومن قول حاكم، ومن توجيه سديد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى فإن النجوم التى ترمى الشياطين آيات من آيات الله يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله صلى الله

عليه وسلم ظهر دينه وشرعه وأسمائه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهاوية .

ونفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم الضلال المنافي للهدى والغى المنافي للرشاد ففي ضمن النفي الشهادة له بأنه على الهدى والرشاد فالهدى في علمه والرشاد في علمه وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وفلاحه وبهما وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلفاءه فقال : **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)** فالراشد ضد الغاوي والمهدي ضد الضال وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ولا يشبهه الراشد المهدي بالضال الغاوي إلا على أجهل خلق الله وأعماهم قلباً وأبعدهم من حقيقة الإنسانية والله در القائل:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

الناس أربعة أقسام :

الأول : ضال في علمه غاو في قصده وعلمه وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل .

الثاني : مهتد في علمه غاو في قصده وعمله وهؤلاء هم الأمة الغضبية ومن تشبه بهم وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به

الثالث : ضال في علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر

الرابع : مهتد في علمه راشد في قصده وهؤلاء ورثة الأنبياء وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قدراً وهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه

وتأمل كيف قال سبحانه (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) ولم يقل ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبخاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط وقد نبه على هذا المعنى بقوله (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ) وبقوله (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ).

قال في التفسير الوسيط : وقال سبحانه: (صَاحِبُكُمْ) للإشارة إلى ملازمته - صلى الله عليه وسلم - لهم طوال أربعين سنة قبل البعثة، وأنهم في تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد.. وأنهم لم يخف عليهم حاله بل كانوا مصاحبين له، ومطلعين على سلوكه بينهم، فقولهم بعد بعثته - صلى الله عليه وسلم - إنه ساحر أو مجنون.. هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم قال سبحانه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ينزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدر عن هوى وبهذه الكمال هداه ورشده وقال (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) ولم يقل وما ينطق بالهوى لأن نطقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فتضمن نفي الأمرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال.

ثم قال تعالى : (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة وإن كليهما وحي يوحى.

قال الإمام ابن كثير: قوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) أي: إنما يقول ما أمر بتبليغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان.. فعن عبد الله بن عمرو قال: (كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ

أَسْمِعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَيْتَنِي فَرِيَشٌ عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا :
تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ
ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا
حَقٌّ) أخرجه أبو داود وأحمد واللفظ له وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا أقول إلا حقا فقال بعض أصحابه:
فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: إني لا أقول إلا حقا) أخرجه الترمذي وأحمد واللفظ له وقال
شعيب الأرناؤوط في تخريجه للمسند : إسناده قوي.

الخصوصية الخامسة

أقسم الله تعالى له ﷻ بأنه ما ودعه ولا قلاه تطمينا له وتكريما

قال تعالى : (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) سورة الضحى (1-5).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن ذلك إقسامه سبحانه (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) على
إنعامه على رسوله وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على
صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته
دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار.

فتأمل مطابقة هذا القسم وهو **نور الضحى** الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو **نور
الوحي** الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمداً ربه فأقسم بضوء النهار بعد
ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضا فإن فارق ظلمة الليل عن
ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للحس وهذان للعقل

وأيضاً فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً بل هداهم بضوء النهاء إلى مصالحهم ومعاشهم لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم

فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها.

ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه فالتوديع الترك والقلى البغض فما تركه منذ اعتنى به وأكرمه ولا أبغضه منذ أحبه وأطلق سبحانه أن الآخرة خير له من الأولى وهذا يعم كل حالة يرقه إليها هي خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر وكثرة الاتباع ورفع ذكره وإعلاء كلمته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة وما يعطيه في الجنة وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى وواحد من أمته في النار أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبة بهم فإنه صلوات الله وسلامته عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يجد لرسوله.

قال في التفسير الكبير : (وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) مما يخطر ببالي هو أن يكون المعنى والأحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بأنه سيزيد كل يوم عزاً إلى عز ومنصباً إلى منصب فيقول: لا تظن أنني قليثك بل تكون في كل يوم يأتي فأني أزيدك منصباً وجلالاً).

وقال بعض المفسرين : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) هذه آية متضمنة لأصناف الكرامة

وأنواع السعادة؛ لأنه وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه سبحانه .

اللام إما للقسَم وهو المناسب في مقام التطيب والإرضاء، وإما للإبتداء أُدْخِلْتُ على الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير، ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى.

عن ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى وهو قول عليّ والحسن، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أمتي وأمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد فقل له إِنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك بهم).

وروي عن بعض أهل البيت رضي الله عنه أنه قال: (ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار).

جاء في التفسير الوسيط:

ثم بشره سبحانه ببشارتين عظيمتين، قد بلغتا الدرجة العليا في السمو والرفعة، فقال: (وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) أى: وللدار الآخرة وما أعدّه الله لك فيها من نعيم لا يحيط به وصف، خير لك من دار الدنيا التي أعطيناك فيها ما أعطيناك فيها من نبوة، وكرامة ومنازل عالية، وخلق كريم.

وفضلا عن كل ذلك فأنت - أيها الرسول الكريم - سوف يعطيك ربك من خيري الدنيا والآخرة، كل ما يسعدك ويرضيك، من نصر عظيم، وفتح مبين، وتمكين في الأرض، وإعلاء لكلمة الحق على يدك، وعلى أيدي أصحابك الصادقين، ومنازل عظمى في الآخرة لا يعلم

مقدارها إلا الله - تعالى - ، كالمقام المحمود، والشفاعة، والوسيلة... وبذلك ترضى رضاء تاما بما أعطاك - سبحانه - من نعم ومنن.

فالمراد بالآخرة: الدار الآخرة التي تقابل الدار الأولى، وهى الحياة الدنيا، **وبعضهم جعل المراد بالآخرة،** نهاية أمره صلى الله عليه وسلم فى هذه الدنيا، والمراد بالأولى بداية أمره صلى الله عليه وسلم فى هذه الدنيا، فيكون المعنى: ولنهاية أمرك - أيها الرسول الكريم - خير من بدايته، فإن كل يوم يمضى من عمرك، سيزيدك الله - تعالى - فيه، عزا على عز، ونصرا على نصر، وتأيدا على تأييد... حتى ترى الناس وقد دخلوا فى دين الله أفواجا .. وقد صدق الله - تعالى - لنبيه وعده حيث فتح له مكة، ونشر دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها.

قال الألوسى: وحمل الآخرة على الدار الآخرة المقابلة للدنيا، والأولى على الدار الأولى وهى الدنيا، هو الظاهر.

وقال بعضهم: يحتمل: أن يراد بهما نهاية أمره صلى الله عليه وسلم وبدايته، فاللام فيها للعهد، أو عوض عن المضاف إليه. أى: لنهاية أمرك خيرك من بدايته، فأنت لا تزال تتزايد قوة، وتتصاعد رفعة..

الخصوصية السادسة

أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه جاء بالقرآن من عند ربه دفاعا عنه ﷺ

قال تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهذا أعم قسم وقع فى القرآن فإنه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل فى ذلك الملائكة كلهم والجن والأنس والعرش

والكرسي وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه يصرف الأقسام كما يصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى ومالا يرى آية ودليل على صدق رسوله وأن ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن.

ومن تأمل المخلوقات ما يراه منها وما لا يراه واعتبر ما جاء به الرسول بها ونقل فكرته في مجاري الخلق والأمر ظهر له أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه وهو أصدق الكلام وأنه حق ثابت كما أن سائر الموجودات ما يرى منها ومالا يرى حق كما قال تعالى (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) أي إن كان نطقكم حقيقة وهو أمر موجود لا تمارون فيه ولا تشكون.

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) وهذا رسوله البشري محمد وفي إضافته إليه باسم الرسالة أبين دليل أنه كلام المرسل فمن أنكر أن يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد أنكر حقيقة الرسالة ولو كانت إضافته إليه إضافة إنشاء وابتداء لم يكن رسولاً ولناقض ذلك إضافته إلى رسوله الملكي في سورة التكوين¹.

¹ - فائدة : قال ابن القيم في تكملة تفسيره للآيات : ثم بين سبحانه كذب أعدائه وبحثهم في نسبة كلامه تعالى إلى غيره وأنه لم يتكلم به بل قاله من تلقاء نفسه كما بين كذب من قال (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) فمن زعم أنه قول البشر فقد كفر وسيصليه الله سقر. ثم أخبر سبحانه أنه تنزيل من رب العالمين وذلك يتضمن أموراً:

أحدها أنه تعالى فوق خلقه كلهم وأن القرآن نزل من عنده والثاني أنه تكلم به حقيقة لقوله {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ولو كان غيره هو المتكلم به لكان من ذلك الغير ونظير هذا قوله {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} ونظيره قوله (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) وقوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} وقوله {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وما كان من الله فليس بمخلوق ولا ينتقض هذا بأن الرزق والمطر وما في السماوات والأرض جميعاً منه وهو مخلوق لأن ذلك كله أعيان قائمة بنفسها وصفات وأفعال لتلك الأعيان فإضافتها إلى الله سبحانه وانما منه إضافة خلق كإضافة بيته وعبدته وناقته وروحه وبابه إليه بخلاف كلامه فإنه لا بد أن يقوم بمتكلمه إذ كلام من غير متكلم كسمع من غير سامع وبصره من غير مبصر وذلك عين الخيال فإذا أضيف إلى الرب كان بمنزلة إضافة سمعه وبصره وحياته وقدرته وعلمه ومشيتته إليه ومن زعم أن هذه إضافة مخلوق إلى خالق فقد زعم أن الله لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا مشيئة تقوم به

وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الاشراك وإن زعم أن إضافة السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة إضافة صفة إلى موصوف إضافة الكلام إليه إضافة مخلوق إلى خالق فقد تناقض وخرج عن موجب العقل والفطرة والشرع ولغات الأمم وفرق بين متماثلين حقيقة وعقلاً وشرعاً وفطرة ولغة.

وتأمل كيف إضافه سبحانه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ القول وأضافه إلى نفسه بلفظ الكلام في قوله {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} فإن الرسول يقول للمرسل إليه ما أمر بقوله فيقول قلت كذا وكذا وقلت له ما أمرني أن أقوله كما قال المسيح {مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} والمرسل يقول للرسول قل لهم كذا وكذا كما قال تعالى {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ} {وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} ونظائره فإذا بلغ الرسول ذلك صح أن يقال قال الرسول كذا وهذا قول الرسول أي قاله مبلغاً وهذا قوله مبلغاً عن مرسله ولا يجيء في شيء من ذلك تكلم لهم بكذا وكذا ولا تكلم الرسول بكذا وكذا ولا أنه بكلام رسول كريم ولا في موضع واحد بل قيل للصديق وقد تلى آية هذا كلامك وكلام صاحبك فقال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي هذا كلام الله.

الأمر الثالث ما تضمنه قوله {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إنه ربوبيته الكاملة خلقة تأتي أن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهائهم ولا يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم ما يضرهم بل يتركهم هملاً بمنزلة الأنعام السائمة فمن زعم ذلك لم يقدر رب العالمين قدره ونسبه إلا ما لا يليق به تعالى {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} ثم أقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يتقول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه لما أقره ولعاجله بالإهلاك فإن كمال علمه وقدرته وحكمته تأتي أن يقر من تقول عليه وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم وأظهر في الأرض الفساد والجور والكذب وخالف الخلق فكيف يليق بأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأقدر القادرين أن يقره على ذلك بل كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلاً إن الله أمرني بذلك وأباحه لي بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه بإقراره وبآيات المستلزمة لصدقه التي دلالتها على التصديق.

كدلالة التصديق بالقول وأظهر ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يحصل باجتماع تلك الآيات تصديق فوق تصديق كل آية بمفردها ثم يعجز الخلق عن معارضته ثم يصدقه بكلامه وقوله ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد له بإقراره وفعله وقوله فمن أعظم الخلال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين ورب العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفترى عليه الذي هو شر الخلق على الإطلاق فمن جوز على الله أن يفعل هذا بشر خلقه وأكذبهم فما آمن بالله قطعاً ولا عرف الله ولا هذا هو رب العالمين ولا يحسن نسبة ذلك إلى من له مسكة من عقل وحكمة وحجى ومن فعل ذلك فقد أزرى بنفسه ونادى على جهله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأذكر في هذا مناظرة جرت لي مع بعض اليهود قلت له بعد أن أفضى في نبوة النبي إلى أن قلت له إنكار نبوته يتضمن القدح في رب العالمين وتنقصه بأقبح التنقص فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الآن في تنزيه الرب تعالى فقال كيف تقول مثل هذا الكلام فقلت له بيانه علي فاسمع الآن أنتم تزعمون أنه لم يكن رسولاً وإنما كان ملكاً قاهراً قهر الناس بسيفه حتى دانوا له ومكث ثلاثاً وعشرين سنة يكذب على الله ويقول أوحى إلي ولم يوح إليه وأمرني ولم يأمره ونهاني ولم ينهه وقال الله كذا ولم يقل ذلك وأحل كذا

وحرّم كذا وأوجب كذا وكره كذا ولم يحل ذلك ولا حرّمه ولا أوجبه بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذباً مفترياً على الله وعلى أنبيائه وعلى رسله وملائكته ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض عباده يسفك دمائهم ويأخذ أموالهم ويسترق نساءهم وأبناءهم ولا ذنب لهم إلا الرد عليه ومخالفته وهو في ذلك كله يقول الله أمرني بذلك ولم يأمره ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان الرسل ونسخ شرائعهم وحل نوااميسهم فهذه حاله عندكم فلا يخلو إما أن يكون الرب تعالى عالماً بذلك مطلعاً عليه من حاله يراه ويشاهده أم لا فإن قلتم إن ذلك جميعه غائب عن الله لم يعلم به قد حتم في الرب تعالى ونسبتموه إلى الجهل المفرط إذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ولا علمه ولا رآه وإن قلتم بل كان ذلك بعلمه وإطلاعه ومشاهدته قيل لكم فهل كان قادراً على أن يغير ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا فإن قلتم ليس قادراً على ذلك نسبتموه إلى العجز المنافي للربوبية وكان هذا الإنسان هو وأتباعه أقدر منه على تنفيذ إرادتهم وإن قلتم بل كان قادراً ولكن مكنه ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر أوليائه وأتباع رسله نسبتموه إلى أعظم السفه والظلم والإخلال بالحكمة هذا لو كان مخلى بينه وبين ما فعله فكيف وهو في ذلك كله ناصره ومؤيده ومجيب دعواته.

الخصوصية السابعة

أقسم الله تعالى ببلده الأمين تشريفاً وتكريماً له ﷺ

قال تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) سورة البلد (1-2).

قال الرازي : التفسير الكبير: أجمع المفسرون على أن ذلك البلد هي مكة، واعلم أن فضل مكة معروف، فإن الله تعالى جعلها حرمًا آمنًا، فقال في المسجد الذي فيها (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [آل عمران: 97] وجعل ذلك المسجد قبلة لأهل المشرق والمغرب، فقال: (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) [البقرة: 144] وشرف مقام إبراهيم بقوله: (وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: 125] وأمر الناس بحج ذلك البيت فقال: (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) [آل عمران: 97] وحرم فيه الصيد، وجعل البيت المعمور بإزائه، ودحيت الدنيا من تحته، فهذه الفضائل وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها.

فأما قوله: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) فالمراد منه أمور:

أحدها: وأنت مقيم بهذا البلد نازل فيه حال به، كأنه تعالى عظم مكة من جهة أنه عليه الصلاة والسلام مقيم بها.

وثانيها: الحل بمعنى الحلال، أي أن الكفار يحترمون هذا البلد ولا ينتهكون فيه المحرمات، ثم إنهم مع ذلك ومع إكرام الله تعالى إياك بالنبوة يستحلون إيذاءك ولو تمكنوا منك لقتلوك، فأنت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرم ما يرونه لغيرك، عن شرحبيل: يجرمون أن يقتلوا بها صيداً أو يعضوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك، وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب له من حالهم في عدوانهم له.

وثالثها: قال قتادة: (وَأَنْتَ حِلٌّ) أي لست بآثم، وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت، وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له، وما فتحت على أحد قبله، فأحل ما شاء وحرم ما شاء وفعل ما شاء، فقتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابه وغيرهما، وحرم دار أبي سفيان، ثم قال: "إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل إلا ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختلي خلأها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد." فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لبيوتنا وقبورنا، فقال: (إلا الإذخر) .

فإن قيل: هذه السورة مكية، وقوله: (وَأَنْتَ حِلٌّ) إخبار عن الحال، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة، فكيف الجمع بين الأمرين؟ قلنا: قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ) [الزمر: 30] وكما إذا قلت لمن تعدد الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهذا من الله أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنع عن وعده مانع ورابعها: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) أي وأنت غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيماً منك لهذا البيت، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر بالله، وتكذيب الرسل.

وخامسها: أنه تعالى لما أقسم بهذا البلد دل ذلك على غاية فضل هذا البلد، ثم قال: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) أي وأنت من حل هذه البلدة المعظمة المكرمة، وأهل هذا البلد يعرفون أصلك ونسبك وطهارتك وبراءتك طول عمرك من الأفعال القبيحة، وهذا هو المراد بقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) [الجمعة: 2] وقال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) [التوبة: 128] وقوله: (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ) [يونس: 16] فيكون الغرض شرح منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه من هذا البلد.

**وتكرر القسم ببلده صلى الله عليه وسلم في سورة التين فقال تعالى : (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ
سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ).**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر
أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين
المعروفتين ومنبتتهما وهو أرض بيته المقدس فإنها أكثر البقاع زيتوناً وتيناً وقد قال جماعة من
المفسرين أنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العزة فيهما فإن التين فاكهة مخصصة
من شوائب التنغيص لا عجم له وهو على مقدار اللقمة وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل
في الأدوية ومزاجه من أعدل الأمزجة وطبعه طبع الحياة الحارة والرطوبة وشكله من أحسن
الأشكال.

ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد آدم وترقى في هذا القسم من
الفاضل إلى الأفضل فبدأ بموضع مظهر المسيح ثم ثنى بموضع مظهر الكليم ثم ختمه بموضع مظهر
عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى جاء
الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران فمجيئه من طور سيناء بعثته لموسى بن
عمران وبدأ به على حكم الترتيب الواقع ثم ثنى بنبوة المسيح ثم ختمه بنبوة محمد وجعل نبوة
موسى بمنزلة مجيء الصبح ونبوة المسيح بعده بمنزلة طلوع الشمس وإشراقها ونبوة محمد وعليهما
بعدهما بمنزلة استعلائها وظهورها للعالم.

ولما كان الغالب على بني إسرائيل حكم الحس ذكر ذلك مطابقاً للواقع ولما كان الغالب على
الأمة الكاملة حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي وأقسم بها على بداية الإنسان ونهايته فقال
(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) أي في أحسن صورة وشكل واعتدال معتدل القائمة
مستوى الخلقة كامل الصورة أحسن من كل حيوان سواه والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن

يكون في التأليف والتعديل وذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضة من تراب وخلقه بالمشاهدة من نطفة من ماء وذلك من أعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلمه وصفات كماله ولهذا يكررها كثيراً في القرآن لمكان العبرة بها والاستدلال بأقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد.

وتضمن إقسامه بتلك الأمكنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته عنايته بخلقه بأن أرسل منها رسالاً أنزل عليهم كتبه يعرفون العباد بربهم وحقوقه عليهم وينذرونهم بالله ونقمته ويدعونهم إلى كرامته وثوابه.

الفصل الثامن

خصائصه ﷺ الواردة في سورة الأحزاب

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى وصفه بالنور وبالسراج المنير.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بولايته العامة على المؤمنين.

الخصوصية الثالثة : اقتران أذية الرسول ﷺ بأذية الله تعالى.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى وصفه بالنور وبالسراج المنير

النبي صلى الله عليه وسلم بشر، يتفق في تكوينه البشري مع سائر البشر، ولا يختلف في بنيانه عنهم، فهو من دم ولحم وعظم وما خالطهم، انحدر من أب وأم كسائر البشر، وتمضي عليه سنن الله فيهم، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويشبع حاجاته الغريزية كما يشبعون، وبشريته ثابتة بالكتاب والسنة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110]، فالآية تقرر بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن في الوقت نفسه لا تساويه بالبشر؛ لأنه معصوم من الله سبحانه وتعالى، والشواهد والدلائل التي تثبت ذلك كثيرة ومثبتة في كتب السنة والدلائل. وإذا أمعنا النظر في الآية، نجد أنها تقرر بين بشريته صلى الله عليه وسلم وإيحاء الله له، فقلوه تعالى: (بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ). إثبات للبشرية والمثلية في الجنس والصورة والهيئة، وقوله: (يُوحَىٰ إِلَيَّ).

مناط التكريم والتفضيل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم فضل البشر وارتقى عليهم بما منحه الله سبحانه وتعالى من الرسالة والنبوة، ومع ذلك، لا يخرج هذا التكريم والتفضيل عن وصفه البشري. وكذلك ما يعتريه من بعض الأحوال أثناء تلقي الوحي واتصاله بالملائكة لا يرفع عنه صفة البشرية. وجماع الأمر فيه أنه بشر كملت أخلاقه، واكتملت صفاته، وكرمه الله تعالى على سائر الخلق بالرسالة، فكان سيد البشر أجمعين.

وصدق من قال:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

هل الرسول ﷺ نور؟.

ردت دار الإفتاء المصرية، عبر صفحتها الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، على سؤال ورد: "هل الرسول صلوات الله وسلامه عليه نور؟ وما تفسير الآية التي في سورة المائدة والتي يقول الله عز وجل فيها: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]؟

وقالت دار الإفتاء المصرية: "رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نورٌ بإجماع المسلمين، بل هو نور الأنوار، والسراج المنير الذي نَوَّرَ الله به مُلكه وملكوته كما قال تعالى مخاطبًا لجناحه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46]، فأخبر سبحانه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو نور الله الذي ينير الطريق للسالكين، والأرواح إلى بارئها في معراجها القدسي، وقد قال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]. ف المراد بالنور في هذه الآية هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أحد العلماء :

كان سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو ذلك النور الذي ظهر فجأة في جزيرة العرب بمكة ذلك الموضع الذي ضم أول بيت وضع للناس في الأرض، فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو النور المبين الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وجاء ليحقق السعادة في الدنيا والآخرة لهذه البشرية التي طال شقاؤها بسبب بعدها عن ربها، فدعا أولاً لتوحيد مصدر تلقي التعليمات.

لقد أقام النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الدلائل والبراهين على صدق دعوته، تلك الدعوة التي لا يختلف عليها عقلاء الأرض وهي أن الصانع واحد، وينبغي أن يفرد بالعبادة وحده، كما انفرد بالخلق والإيجاد، فبنى الاعتقاد السليم في الله والكون والإنسان، وكَوَّن النظام الاجتماعي الفريد، وكَوَّن الدولة الإسلامية لكي تنشر الإسلام في شتى بقاع الأرض، كما أقام حضارة ما زالت قائمة إلى يومنا هذا تباهي حضارات العالم بكما لها ونزاهتها.

وقد أثبت القرآن نورانية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) [المائدة: 15]، وقال تعالى: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: 46].

فهو صلى الله عليه وسلم نور ومنير، ولا بأس أن يعتقد المؤمن بأنه صلى الله عليه وسلم نورًا طالما أن الله عز وجل قد وصفه بذلك وسماه نورًا، ولقد ثبت في السنة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون : **(إنه وجهه صلى الله عليه وسلم كالقمر)** رواه النسائي في الكبرى، وقدر أخبر صلى الله عليه وسلم أنه عندما حملت فيه أمه: **(رأت نورًا أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام)** ذكره الطبري في تاريخ، وابن هشام، وصاحب حلية الأولياء.

وأكد أصحابه رضوان الله عليهم أن : **(النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة أضاء منها كل شيء، وعندما مات أظلم منها كل شيء)** رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

إلى غير ذلك من آثار وأحاديث تبين أنه صلى الله عليه وسلم كان نورًا، ولا ينبغي أن ننفي أن ذلك النور كان حسيًا، فليس هناك ما يتعارض مع أنه صلى الله عليه وسلم كان نورًا ومنيرًا،

وأنه صلى الله عليه وسلم له نور حسي مع أصل العقيدة، كما أنه لا يعارض طبيعته البشرية التي أخبر بها القرآن.

أسباب وصف النبي ﷺ بالسراج المنير؟¹ : مما ذكره أهل التأويل في أسباب وصفه صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير:

1 - أن الله تعالى جلّى به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير، ويُهتدى به؛ (ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن السراج المعروف، وإنما سُمي سراجاً؛ بالهدى الذي جاء به، ووضوح أدلته بمنزلة السراج المنير)².

2 - أن أمره صلى الله عليه وسلم ظاهرٌ فيما جاء به من الحق؛ كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجدها إلاّ مكابر ومعاوند³.

3 - أنه صلى الله عليه وسلم كالسراج المنير الذي به تُستنار الأشياء في الظلمة؛ لأنه بُعث وقد طَبَّقَتْ على الأرض ظلمةُ الشرك، فكان كالسراج الذي يظهر في الظلمة⁴.

4 - أنه صلى الله عليه وسلم يُستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، ويُهتدى بأنواره إلى مناهج الرُّشد والهداية، والمقصود: أن يهتدي به مَنْ اتَّبَعَهُ من أُمَّتِهِ التي استجابت لدعوته المباركة⁵.

¹ - السراج المنير (خطبة) - د. محمود بن أحمد الدوسري - شبكة الألوكة.

² - دقائق التفسير، (2/ 470).

³ - تفسير ابن كثير.

⁴ - أحكام القرآن، للجصاص، (5/ 231).

⁵ - تفسر الطبري، (22/ 18)؛ تفسير أبي السعود، (108/ 7).

فهذا تشبيهٌ بليغ - والجملة فيه حالية (سراجاً مُنيراً) أي: أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها، والتي لا تترك للباطل شبهةً إلاّ فضحتّها وأوقفت الناس على دخائلها، كما يُضيء السراج الوقاد ظلمة المكان.

وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من البيان، وإيضاح الاستدلال، وانقشاع ما كان قبله في الأديان¹.

فحين سطعت أنوار الهداية على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُعَدّ للشرائع الأولى أن تتدخل، فرسالته المباركة هيمنة على جميع الرسالات السابقة، على حدّ قول المادح:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بين النورين: النور المعنوي والنور الحسي²:

فالنور المعنوي: هو (نور الهداية)، والنور الحسي: هو (وضاءة وجهه وجماله)، ومن تأمل في كتب الشمائل المحمدية³؛ أو أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في كتب السنة وجدّها تصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنّ (وجهه يتلأأ تَلَأُو القمَر ليلة البدر)⁴، ومما جاء في وصف وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم:

1 - سُئِلَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ) رواه البخاري.

¹ - التحرير والتنوير - لابن عاشور - (22/ 108).

² - السراج المنير (خطبة) - د. محمود بن أحمد الدوسري - شبكة الألوكة.

³ - الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، للترمذي؛ شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن كثير.

⁴ - صفة النبي صلى الله عليه وسلم وجميل أخلاقه، محمد بن عبد الواحد المقدسي، (ص146).

2 - وسئل جابر بن سمرّة - رضي الله عنه - عن صفة وجه النبي، فقل له: (وَجْهَهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا) رواه مسلم.

3 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ)¹.

قوله : (كَأَنَّ الشَّمْسَ): أي: نورها، وفي تشبيهه لمعان أنوار وجهه صلى الله عليه وسلم بلمعان أنوار الشمس.

4 - وعن جابر بن سمرّة رضي الله عنه قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَى الْقَمَرِ؛ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ؛ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ) رواه الدارمي والترمذي.

قوله : (إِضْحِيَانٍ): مُقْمِرٌ مُضِيءٌ، وكأَنَّهُ الضُّحَى بالنهار.

ووجهه كأن الشمس حلت رداءها عليه، نقي اللون لم يتحدّد

¹ - رواه أحمد في (المسند)، (2 / 380)، (ح8930). وحسنه محققو المسند، (14 / 506)، (ح8942).

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بولايته العامة على المؤمنين

قال الله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) [الأحزاب: ٦] .

إن ولاية النبي العامة على المؤمنين لها علاقة وثيقة بمكانة النبي السامية عند الله تعالى وكذلك هي من خصوصياته، ولما منع الإسلام التبني ناسب أن يبين ماهية ولاية النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة لزيد بن حارثة خاصة والمؤمنين عامة، فبين القرآن أن هذه الولاية هي ولاية عامة على كل المؤمنين، وأنه - صلى الله عليه وسلم - أولى بهم من أنفسهم، وعليهم أن يقدموه على أنفسهم، لأنه السبب في إخراجهم من الظلمات إلى النور، فعلاقته - صلى الله عليه وسلم - بالمؤمنين أعظم من أي علاقة فهو رحيم ورؤوف بهم .

وكذلك قررت الآية أمومة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الروحية للمؤمنين وذلك حرمة له صلى الله عليه وسلم وتشريفا لقدره.

وقد جعل الله تعالى ولاية النبي صلى الله عليه وسلم عامة على المؤمنين لأنه يستحق هذه المكانة وهو أولى بهم من أنفسهم في كل أمور الدين والدنيا لأنه أعلم بمصالحهم وأحرص عليهم من أنفسهم فهو كما وصفه الله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 129] ، فقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين حرص الوالد على مصلحة ولده وعطف الأم ورحمتها بأولادها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مُؤْمِنٍ إِلَّا وأنا أُولَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ اِقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ) (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مِنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ)؛ وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم) .

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) .

وهذه الولاية العامة تكون في الدنيا ولها أثر عظيم في الآخرة، **أما في الدنيا** فقد بينتها الأحاديث السابقة، **وأما أثرها في الآخرة** فهي تتضح بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين .

وقد قرن الله تعالى بين ذكر ولاية النبي العامة على المؤمنين وبين جعل أزواجه أمهات للمؤمنين في قوله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) للدلالة على أن كل من اتصل بهذا النبي بصلة ما صارت له أهمية واحترام، وأولى من تكون له هذه المكانة والأهمية هن أزواجه، فجعلن الله تعالى أمهات للمؤمنين من حيث حرمة الزواج بهن بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن حيث احترامهن وتقديرهن .

وقد غلط القرآن العقوبة لمن لا يحترم أمهات المؤمنين فيرمي إحداهن بفاحشة أو سوء لأن في ذلك إيذاء مباشرًا للنبي، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ

لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور: 23] ، فهذه الآية نزلت في عائشة خاصة وفي أمهات المؤمنين عامة، فرضي الله عنهن أجمعين.¹

وقال أبو المكارم رحمه الله تعالى : قوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم؛ بخلاف النفس فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها - أي النفس - وشفقتهم عليه صلى الله عليه وسلم أتم من شفقتهم عليها.

قوله تعالى : (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفائدة تحريم نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته تعظيم أمره وتفخيم شأنه ففي الكلام تنويه بتعظيم أمره وتشريفه من وجهين: حيث أمر المؤمنين أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وذلك تشريف ظاهر، وحرّم عليهم أزواجه عليه السلام في حياته ووفاته وهذا فضل باهر، والظاهر أنه من خصائصه عليه السلام.

الخصوصية الثالثة

اقتران أذية الرسول ﷺ بأذية الله تعالى

يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) [الأحزاب: ٥٧ - ٦٩] .

¹ - مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه في سورة الأحزاب - للدكتور عبد الله الخطيب - بتصرف.

إذا بان شرف رسول الله ومكانته عند الله تعالى وعند الملأ الأعلى، وفضل المصلي والمسلم عليه، فعندئذ يعرف عظم ذنب من يذمه أو يؤذيه باستحقاقه اللعنة التي هي أشد المحذورات؛ لأن البعد من الله لا يرجى معه خير؛ ولهذا قال الله تعالى محذرا ومنبها: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ) بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة عذابًا يذلم ويهينهم فيه بالخلود فيه، فإيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر التي تستوجب الطرد من رحمة الله تعالى، ولم يتعرض أحد في التاريخ للأذى كرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ وما نراه اليوم من التناول على مقام النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته سواء بالرسوم الساخرة التي رسمها بعض المغرضين في الدمارك أم غيرها من الأساليب، فإنه دليل على ما نقوله، وبذلك نعلم حكمة إظهار مقامه الحقيقي عند الله تعالى، وإثم من اعتدى عليه، وبشاعة عمله، ويصور هذا التعبير (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) .

الحساسية بإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنما هو إيذاء لذات الله جل وعلا، فما أبشع وما أشنع هذا العمل .

ولما ذكر الله تعالى المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله ﷺ والمؤمنين بأنواع عديدة من الأذى وتوعدهم بأصناف من العذاب منها تسليط النبي عليهم بالقتل أو النفي من المدينة المنورة، لما ذكر الله تعالى ذلك؛ حذر المؤمنين من التعرض لإيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم سيدنا موسى عليه السلام حتى لا ينالهم ما نال المنافقين والكفار من العذاب .

وتدل هذه الآية على وجوب توقير النبي ﷺ والابتعاد عن إيذائه، وقد التزم أصحاب النبي بذلك أشد التزام، وقد حصل للنبي إيذاء من بعض المنافقين أو الغافلين فعن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: قَسَمَ النبي - صلى الله عليه وسلم - قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُريدَ بها وَجْهٌ

اللَّهُ، فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ (فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) .

ولما كانت السورة في بيان فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - وبيان مقامه العظيم، ناسب أن يؤكد على المؤمنين كيف يعظمونه بالابتعاد عن إيذائه، وبأن يقولوا في حقه ما يناسب مقامه الجليل، وأن يعلموا أن جزاء طاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الفوز العظيم بجنت عرضها السموات والأرض¹.

¹ -المرجع السابق

الفصل التاسع

خصائصه ﷺ الواردة في سورة الفتح

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بالفتح الديني والدنيوي.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بتمام النعمة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بالهداية الكاملة إلى الصراط المستقيم.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بالنصر العزيز الذي يحصل لبني قبله.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أنابه عنه في البيعة يوم الحديبية.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بالفتح الديني والدنيوي

قال الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) سورة الفتح (1-3).

الفتح عبارة : عن الظفر بالبلدة عنوةً أو صلحاً، بحرب أو بدون، فإنه ما لم يقع الظفر مُنْعَلِقٌ، مأخوذ من: فتح باب الدار. وإسناده إلى نون العظمة لإسناد الفعل إلى الله تعالى خلقاً وإيجاداً.

اختلف أهل التفسير في معنى هذا الفتح على أقوال :

الفتح هو صلح الحديبية : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) [الفتح: 1]، قَالَ: الْحَدِيثُ، قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا، فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [الفتح: 5].

وقال الشعبي رحمه الله تعالى : في قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) قال: هو فتح الحديبية، لقد أصاب بها ما لم يُصَب في غزوة.

وقال الزهري رحمه الله تعالى: لقد كان الحديبية أعظم الفتوح؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه؛ فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف.

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام. ثم قال : (هو قول الأكثر) يعني تفسير الفتح بصلح الحديبية¹.

وقال المفسرون : كان في فتح الحديبية آية عظيمة، وهي أنه نزح ماؤها حتى لم يبقَ فيها قطرة، فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجَّه فيها، فدرت بالماء، حتى شرب جميع من كان معه، وقيل: جاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد.

ووجه الخصوصية في هذه الآية لخير البرية: ما جاء في روح البيان في تفسير القرآن :

وقال بعض الاكابر اعلم ان فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة:

أولها : الفتح القريب: وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والانوار اليقينية وقد شاركه - صلى الله عليه وسلم - في ذلك اكثر المؤمنين.

ثانيها : الفتح المبين : بظهور أنوار الروح وترقى القلب الى مقامه وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب فتستتر صفاتها المظلمة بالانوار القلبية وتتنفى بالكلية وذلك معنى قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فالسابقة الهيئات المظلمة على فتح باب القلب والمتأخرة

¹ - وفي الآية أقوال أخر أذكرها هنا إكمالا للفائدة:

القول الثاني : قال قوم : المراد فتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك.

القول الثالث : قال آخرون: إنه فتح خيبر. وفي فتح خيبر نزلت: (وَأَنَابَهُمْ فَتَحْنَا قَرِيْبًا)، ولا اختلاف في ذلك. وكان فتح خيبر عند مالك على رأس ست سنين من الهجرة بعد منصرفهم من الحديبية، وهو الفتح الذي أثنى الله فيه أهل بيعة الرضوان، فلم يغزُ خيبر غيرهم.

القول الرابع : هو جميع ما فتح له صلى الله عليه وسلم، من الإسلام، والدعوة، والنبوة، والحجة، والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كافة؛ إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا هو شعبة من شعبه، وفرع من فروع.

القول الخامس : المراد بالفتح في هذه الآية: الحكم والقضاء. كما في قوله: (أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) [الأعراف: 89] فكانه قال: إنا قضينا لك قضاءً مبيناً، أي: ظاهراً واضحاً مكشوفاً. ذكره الشوكاني.

الهيئات النورانية المكتسبة بالانوار القلبية التي تظهر في التلوينات فيخفى حالها ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وان انتفت الاولى لأن مقام القلب لا يكمل الا بعد الترقى الى مقام الروح واستيلاء أنواره على القلب فيظهر تلوين القلب وينتفى تلوين النفس بالكلية ويحصل في هذا الفتح مغانم المشاهدات الروحية والمسامرات السرية.

وثالثها : الفتح المطلق : المشار اليه بقوله (إذا جاء نصر الله والفتح) وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق في عين الجمع بالشهود الذاتى.

وقال ابن عجيبة : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) بأن كشفنا لك عن أسرار ذاتنا، وأنوار صفاتنا، وجمال أفعالنا، فشاهدتنا بنا؛ وهذا من باب الإشارة لا من باب التفسير.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال تعالى : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ):

قال الآلوسي في روح المعاني : الأمر في قوله تعالى: (وَأَسْتَغْفِرُ لِدَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) قيل على معنى الثبات أيضاً، وجعل الاستغفار كناية عما يلزمه من التواضع وهضم النفس والاعتراف بالتقصير لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم أو مغفور لا مصر ذاهل عن الاستغفار.

وقيل : التحقيق أنه توطئة لما بعده من الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات؛ ولعل الأولى إبقاؤه على الحقيقة من دون جعله توطئة، والنبي ﷺ كان يكثر الاستغفار، أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان عن الأغر المزني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة).

وأخرج النسائي وابن ماجه وغيرهما عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : **(ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة).**

وأخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: **(إنا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة)** إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة.

والذنب بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام ترك ما هو الأولى بمنصبه الجليل: ورب شيء حسنة من شخص سيئة من آخر كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين¹؛ وقد ذكروا أن لبنينا صلى الله عليه وسلم في كل لحظة عروجاً إلى مقام أعلى مما كان فيه فيكون ما عرج منه في نظره الشريف ذنباً بالنسبة إلى ما عرج إليه فيستغفر منه، وحملوا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **(إنه ليغان على قلبي)** الحديث وفيه أقوال أخر.

قال الشعراوي رحمه الله تعالى :

وقوله سبحانه: **(وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)** [محمد: 19] فهل يعني هذا أن للرسول ذنباً يجب الاستغفار منه؟ هذه من المسائل التي دار حولها جدل كثير، والمعنى هنا: إذا سهت نفسك فأذنبت فاستغفر لا أنه أذنب بالفعل، يقول له ربه: إذا حصل منك ذنب فاستغفر له، وكذلك استغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وفي آية أخرى قال تعالى: **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)** وكلمة **(لِيَغْفِرَ)** من غفر والغفر هو الستر، وسرّ الذنب إما أن يكون بعده بمنع العقوبة

¹ - (حسنات الأبرار سيئات المقربين) هذه الجملة ليست حديثاً نبوياً وإنما هي كلام الجنيد ومعناها: " أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك الخرمات وهذا الاختصار سيئة في طريق المقربين، ومعنى كونه سيئة أن يخرج صحابه عن مقام المقربين " جامع الرسائل لابن تيمية (251/1) باختصار.

عليه أو يستر الذنب قبل أن يحدث فلا يحدث أصلاً، هذا معنى (مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) ما تقدم يستر عقوبته، فذكر الذنب في حق الرسول رغم أنه معصوم. والعلماء حينما بحثوا مثل هذه الآيات قالوا: هي من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ومعلوم أن المقربين درجة من درجات الطاعة والامتثال لله أعلى من درجة الأبرار، لأن الأبرار هم الذين يطيعون الله ويفعلون الخيرات وينفذون الأوامر.

أما المقربون فهم الذين يزيدون على ذلك تقرباً إلى الله، حتى في عُرف الناس المقرب منك هو الصديق الملازم لك الذي لا يفارقه ويحبك ويخاف عليك.

كذلك المقرب من الله، له قانون آخر في التعامل غير قانون الأبرار، ومقياس آخر للحسنات والسيئات يناسب درجة قرب من ربه عز وجل.

ترى لو أنك مثلاً مرضت لا قدر الله وجاءك أحد معارفك وزارك في مرضك ولو مرة واحدة ماذا تفعل؟ تشكره وترى أنه أدى الواجب.

أما صديقك المقرب لو زارك مرة واحدة مثله ماذا تفعل؟ تعاتبه وتلومه لأنك كنت تنتظر منه أكثر من زيارة، هذا هو معنى: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

إذن: الحسنة من الإنسان العادي قد تُعدُّ سيئة بالنسبة للنبي ﷺ ، فالنبي ﷺ مقرب وللمقرب حساب آخر، ولهذه القربى ثمن، وكان الله يقول لك: حافظ على هذه الدرجة من القرب مني، وإياك أن يحدث منك ولو شيء بسيط بالنسبة لغيرك.

أو أن سيدنا رسول الله ﷺ كما قال: (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) فقلوه (عن أمتي) يعني: أنه غير داخل في هذا الحكم، فلا يجوز منه النسيان الذي يجوز من غيره والنسيان في حقه إذن يُعدُّ ذنباً.

لذلك لما صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة رباعية وسلّم منها بعد ركعتين قال له أحد الصحابة وهو ذو اليمين: **(أَقْصَرْتُ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، قَالَ: بَلْ بَعْضُ ذَلِكَ كَانَ" .**

انظر عظمة الصحابي في السؤال، وعظمة رسول الله في الرد، وعظمة الإيمان الذي ربّي هؤلاء.

إِذْن: من الممكن أن ينسى رسول الله ويُعد نسيانه ذنباً لماذا؟ لأنه رسولٌ وصاحبُ رسالة مكلفٌ بتبليغها وإشراقات النبوة لا تفارقه فكيف ينسى؟ لذلك لما سأل أحد العامة العالم العابد المنقطع لله وقال له: ما حكم مَنْ سها في الصلاة؟ قال له: عندنا أم عندكم؟ قال: بل عندنا. قال: يسجد للسهو، قال: وعندكم؟ قال: نقتله.

ولماذا نذهب بعيداً وقصة معصية سيدنا آدم معروفة للجميع، قال تعالى - في حق آدم عليه السلام **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)** [طه: 121] فسمى نسيان آدم معصية، لماذا؟

قالوا: لأن آدم خلقه الله بالمباشرة، خلقه الله بنفسه ونفخ فيه من روحه، فله ميزة في الخلق ليست لغيره، ولم يكلف إلا تكليفاً واحداً هو عدم الأكل من الشجرة، فأَيُّ شيء ينساه وأي شيء يذكره وهو أمر واحد.

لذلك كان النسيان في حقه معصية، لأنه نبي رسول وهو أبو البشر، لذلك معصية آدم جاءت لحكمة لأنه أبو البشر، والبشر على قسمين: معصوم وغير معصوم، المعصوم هم الرسل. وغير المعصوم هم بقية الخلق فلا بد أن يتمثل في آدم القسمان.

فحينما يخاطب الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ويقول له: **(وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ)** [محمد: 19] أي: من النسيان الذي تجاوزتُ عنه لأمتك استغفر أنت منه لأنه لا يغفر لك كما يغفر لأمتك.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بتمام النعمة

قال تعالى: (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) قال ابن عجيبة: بإعلاء الدين، وضم الملك إلى النبوة، وغيرها مما أفاض عليه من النعم الدينية والدنيوية، ويُتِمُّ نعمته عليك أيضاً بالجمع بين شهود الربوبية، والقيام بآداب العبودية، ودلالة الخلق على شهود قيام الديمومية.

قال القشيري: قوله تعالى: (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) يتم نعمته عليك بالنبوة، وبوفاء العاقبة، ويسقط الشريعة، وبشفاعته لأمته، وبرؤية الله غداً، وبإظهار دينه على الأديان، وبأنه سيد ولد آدم، وبأنه أَوْقَسَمَ بحياته، وخصَّه بالعيان. وبسماع كلامه سبحانه ليلة المعراج، وبأن بَعَثَهُ إلى سائر الأمم.. وغير ذلك من مناقبه.

قال في حقائق التفسير: قال جعفر الصادق: من تمام نعمته على نبيه صلى الله عليه وسلم أن جعله حبيباً وأقسم بحياته ونسخ به شرائع الرسل وعرج به إلى المحل الأدنى وحفظ في المعراج حتى ما زاغ وما طغى وبعثه إلى الأسود والأبيض وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شافعاً مشفعاً وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد فهذا وأمثاله من تمام النعمة عليه وعلى أمته به وبمكانه.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بالهداية الكاملة إلى الصراط المستقيم

قوله تعالى: (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) يثبتك على الصراط المستقيم، ويزيدك هدايةً على هداية، ويهدي بك الخلق إلى الحق؛ والاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح، لكن حاصل بعد ذلك من اتضح سبيل الحق، واستقامة مناهجه، ما لم يكن حاصلًا قبل.

قال ابن عطاء: يهـدى بك الخلق إلى الطريق المستقيم وهو الطريق إلى الحق من جعله إمامه قاده إلى الحق ومن لم يقتد به في طلب الطريق إلى الحق ضلّ في طلبه وأخطأ طريق رشده.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بالنصر العزيز الذي يحصل لبني قبله

قوله تعالى : (وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ) أي: يُظهر دينك، ويُعزّك، فإظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات، ولإظهار كمال العناية، بشأن النصر، كما يُعرب عنه تأكيداً بقوله: (نَصراً عزيزاً) أي: نصراً فيه عزة ومنعه، أو: قوياً منيعاً، على وصف المصدر بوصف صاحبه، مجازاً، للمبالغة، أو: عزيزاً صاحبه. قال في عرائس البيان في حقائق القرآن: قوله تعالى : (وَيَهْدِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) قال ابو يزيد في قوله ويهديك صراطاً مستقيماً هو السبل الى قربه ليلة المعراج حيث تاخر جبرئيل عليه السلام ولم يكن ذلك محله فهـدى الرسول صلى الله عليه وسلم الى السبيل الحق وهو الصراط المستقيم وقال ابن عطا لما بلغ الى سرّة المنتهى قدم النبي صلى الله عليه وسلم واخر جبرئيل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبرئيل تتركني في هذا الموضع يهـدى بك الخلق الى الطريق المستقيم وهو الطريق الى الحق من نجعله امامه قاده الى الخلق ومن لم يقتد به في طلب الطريق الى الحق ضلّ في طلبه واخطأ طريق الى الحق من جعله امامه قاده الى الخلق ومن لم يقتد به في طلب الطريق الى الحق ضلّ في طلبه واخطأ طريق رشده.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أنابه عنه في البيعة يوم الحديبية

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَزِيدْ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا) سورة الفتح (10).

قال ابن كثير : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ أَجَنَّةٌ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 111].

ثم قال : وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال: كان أبي ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قال: فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها، فإن كان تبينت لكم فأنتم أعلم، وقال أبو بكر الحميدي: حدثنا سفيان، حدثنا أبو الزبير، حدثنا جابر رضي الله عنه قال: لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، وجدنا رجلاً منا يقال له: الجذع ابن قيس مختبئاً تحت إبط بعيره، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به.

وقال الحميدي أيضاً: حدثنا سفيان عن عمرو: أنه سمع جابراً رضي الله عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنتم خير أهل الأرض اليوم). قال جابر رضي الله عنه: لو كنت أبصر، لأريتكم موضع الشجرة، قال سفيان: إنهم اختلفوا في موضعها. أخرجاه من حديث سفيان،

وقال الإمام أحمد: عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة).**

قال السعدي : هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي : بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من

لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم (يُبَايِعُونَ اللَّهَ) ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أي: كأهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها.

ولهذا قال: (فَمَنْ نَكَثَ) فلم يف بما عاهد الله عليه (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) أي: لأن وبال ذلك راجع إليه، وعقوبته واصله له، (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ) أي: أتى به كاملاً موفراً، (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه.

قال الحافظ ابن حجر - وهو يتحدث عنبيعة صلح الرضوان -: (والسبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عثمان؛ ليعلم قريشاً أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً، ففي غيبة عثمان شاع عندهم أن المشركين تعرّضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ تحت الشجرة على ألا يفروا، وذلك في غيبة عثمان، وقيل: بل جاء الخبر بأن عثمان قُتل، فكان ذلك سبب البيعة)¹؛ ا.هـ.

وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جميع الصحابة الذين كانوا معه بالحديبية، (لَمَّا أَشِيعَ أَنَّ عثمان قد قُتل، ولم يتخلف عن تلك البيعة إلا الجد بن قيس، فإنه اختبأ تحت بطن بعيره)؛ صحيح مسلم.

¹ - فتح الباري 59/7، ص/448، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام 315/2، تاريخ الأمم والملوك 631/2، دلائل النبوة البيهقي 134/4، البداية والنهاية لابن كثير 189/4، الجامع لأحكام القرآن 276/16.

وقد سُئل الصحابة رضي الله عنهم على أي شيء كانت بيعتهم؟ فكانت الإجابة بما يلي:

1 -أجاب سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بأنهم بايعوا على الموت، فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية؟ قال: (على الموت)؛ رواه البخاري .

وروى أيضاً: بإسناده إلى عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحرة أتاه آتٍ، فقال له: **إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت، فقال: لا أباع على ذلك أحدًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ متفق عليه.**

2 -وأجاب معقل بن يسار وجابر بن عبدالله رضي الله عنهما بأنهم بايعوا على عدم الفرار:

روى الإمام مسلم بإسناده إلى معقل بن يسار قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: (لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على ألا نفر)؛ رواه مسلم .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار؛ لأن المراد بالمبايعة على الموت ألا يفروا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد"؛ فتح الباري 6/118.

وقال أبو المكارم في المدحة الكبرى : أنه سبحانه فتح له فتحاً لم يكن ذلك لغيره من الأنبياء.

ومنها : أنه غفر له ما تقدم وما تأخر على ما عرفت تفصيله من البر والتشريف ومنها أنه أشار إلى تمام نعمته على وجه يمتاز به عن الكل كما بينت سابقاً.

ومنها : أنه تعالى جعل بيعته عليه السلام بيعته تعالى وعهده عليه السلام عهده تعالى لتعظيم شأن المبایع صلى الله عليه وسلم.

ومنها : أنه تعالى دعاه إلى مشاهدته ولقائه بالهداية وفي هذه السورة الكريمة تشریفات وكرامات أكثر مما ذكرنا بل كلها كذلك لكن اقتصرنا على ما ذكرنا لأن في القليل ما يدل على الكثير.

قال ابن عطاء رحمه الله تعالى : جمع الله لنبيه في هذه السورة نعمًا مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة واتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام التحقق بالحق والنصر وهو من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب واتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية هي الدعوة الى المشاهدة والنصرة هي رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع الى ما سواه نسأل الله أن ينصرنا ببذل الوجود المجازى في وجوده الحقيقي.

الفصل العاشر

اختصاصه ﷺ بأن الله أمده بالملائكة في غزواته وجعلها تشتاق لرؤيته ﷺ

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أمده بالملائكة في غزواته ﷺ.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ باستئذان ملك القطر ربه ليسلم عليه ﷺ.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن الملائكة تتشرف بنصره على كل من عاداه.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بنزول إسرافيل عليه السلام ليبشره ببشارتين.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بنزول ملك الجبال عليه السلام لينصره على أعدائه.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الملائكة كانت تمشي خلفه وعن يمينه توقيراً له.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أمدّه بالملائكة في غزواته ﷺ

قال الله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) [يس: 28].

قال الزمخشري : فإن قلت : فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق ؟ فقال : فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وقال : بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

وقال الرازي : قلت : إنما كان يكفي ملك واحد ، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل ، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ، ولكن الله فضل محمدا - صلى الله عليه وسلم - بكل شيء على سائر الأنبياء وأولي العزم من الرسل ، فضلا عن حبيب النجار ، وأولاده من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحدا ، فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء ، وكأنه أشار بقوله : وما أنزلنا . وما كنا منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك ، وما كنا نفعل لغيرك .

ونزول الملائكة نصرة للحبيب ﷺ كانت في أروع غزوات :

1/ في غزوة بدر الكبرى: قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُدْعِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: 123 - 126].

وقال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ فَتَنَزَّلُوا إِلَيْهِ سَاقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال: 12].

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فجاءه الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: (صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة).

وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه عن أبي أمامة بن سهل قال: قال لي أبي: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أهدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن رفاعه بن رافع عن أبيه، وكان أبوه من هل بدر: قال: (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة).

2/ في غزوة أحد: روى الشيخان في صحيحهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض، كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد.

زاد الإمام مسلم في روايته عنه رضي الله عنه قال: يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. [4]

3/ في غزوة الأحزاب: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ولولا أن جعل الله رسوله رحمه للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33]، فسلط عليهم هواء فوق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من لاهوى، وهو أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغیظهم وخنقهم، لم ينالوا خيرا لا في الدنيا، مهما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة، وهمتهم بقتله، واستئصال جيشه، ومن هم بشيء، وصدق هم بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله).

4/ في غزوة حنين: قال تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [التوبة: 25، 26].

وروى الإمام الذهبي في السيرة النبوية بسند جيد عن عبد الرحمن مولى أم برثن، عمن شهد حنيناً كافراً، قال: لما التقينا والمسلمون لم يقوموا لنا حلب شاة، فجئنا نحش سيفونا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا غشيناه إذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه، فقالوا: شأهت الوجوه، فارجعوا، فهزمنا.

وروى الإمام أحمد في مسنده والطيالسي في مسنده بسند حسن لغيره عن يعلي بن عطاء قال: فحدثني أبناؤهم، عن آبائهم، أنهم قالوا: (وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الحديد، فهزمهم الله).

ملاحظة عامة: لم تقاتل الملائكة في غزوة قط إلا في غزوة برد الكبرى، وإنما كان نزولها في أحد، والخندق، وحنين لتخويف الكفار، وإلقاء الرعب في قلوبهم.

روى ابن إسحاق في السيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ باستئذان ملك القطر ربه ليسلم عليه ﷺ

عن عامر بن واثلة أبو الطفيل رضي الله عنه قال: (استأذن ملك القطر أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة، فقال: لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن علي رضي الله عنهما، فدخل فقالت أم سلمة: هو الحسين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعيه فجعل يعلو رقبة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعبث به والملك ينظر، فقال الملك: أُنحبه يا محمد؟ قال: إي والله، إني لأحبه، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان، فقال بيده، فتناول كفاً من تراب، فأخذت أم سلمة التراب، فصرته في خمارها، فكانوا يرون أن ذلك التراب من كربلاء) رواه الطبراني وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (15115): إسناده حسن.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بُنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بَحْرَفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ) رواه مسلم.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأن الملائكة تتشرف بنصره على كل من عاداه

قال تعالى: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) سورة التحريم (4).

قال أبو السعود في كتابه إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :

قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) أي فلن يعدم من يظاھرُهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ ناصرُهُ وجبريلُ قريبُهُ ومن صلح من المؤمنين أتباعُهُ وأعوانُهُ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أراد بصالح المؤمنين أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقد روي ذلك مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فإنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري، كيف لا وإن جبريل ظهيرٌ له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهم له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيراً في قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً بالتقديم بخلاف ما إذا أُريدَ به جنس الصالحين كما هو المشهور.

قوله (وَالْمَلَائِكَةُ) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بَعْدَ ذَلِكَ) قيل أي بعد نُصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم - جبريل - وصالح المؤمنين (ظهير) أي فوج مظاهر له كأئمتهم يد واحدة على من يُعاديهِ فماذا يفيدُ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه.

وما ينبئُ عنه قوله تعالى (بَعْدَ ذَلِكَ) من فضل نُصرتهم على نُصرة غيرهم من حيث إن نصرة الكل نصرة الله تعالى، وإن نصرتَهُ تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نُصرتِهِ.

هذا ما قالوه ولعلَّ الأنسب أن يجعل ذلك إشارةً إلى مظاهره صالح المؤمنين خاصة، ويكون بياناً بعدية مظاهره الملائكة تداركاً لما يُوهمه الترتيب الذكري من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهره صالح المؤمنين: وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام إيداناً بعلو رتبة مظاهرهم وبعده منزلتها وخبراً لفصلها عن مظاهره جبريل عليه السلام.

ومما ورد في دفاع الملائكة عنه ما جاء في قصة امرأة أبي لهب : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)، أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلَوْلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمَا أَبَيْنَا وَدِينَهُ فَلَيْنَا وَأَمْرُهُ عَصَيْنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ.

فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلْتُ وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا لَنْ تَرَانِي"، وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: (قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشُ أَنَّ ابْنَهُ سَيِّدُهُ).

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: (قال لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحييت لا تؤذيك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه سيحال بيني وبينها"، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك؟ فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمصدق، فلما ولت قال أبو بكر رحمة الله عليه: ما رأيتك؟

قال: (لا ما زال مَلَكٌ يَستَرنِي حتَّى ولت) رواه البزار في مسنده وقال : وهذا الحديث حسن الإسناد. وكذا حسَّنه ابن حجر في فتح الباري .

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بنزول إسرائيل عليه السلام ليبشره ببشارتين

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (بينما رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم عنده جبريلُ إذ سمع نقيضًا من فوقه ، فرفعَ جبريلُ بصره إلى السماءِ فقال : هذا بابٌ فُتِحَ من السماءِ ما فُتِحَ قطُّ قال : فنزل منه مَلَكٌ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فقال: أَبَشِرْ بنورينِ أوتيتُهُما لم يؤكِّهما نبيٌّ قبلكَ فاتحةِ الكتابِ وخواتيمِ سورةِ البقرةِ لن تقرأَ حرفًا منهما إلَّا أُعْطِيَتْهُ) رواه مسلم.

قال السوطي : في رسالته لبس اليلب في الجواب عن إيراد حلب : (قال جماعة من العلماء : هذا الملك هو إسرائيل).

وقال أبو النجاح الميني في منظومته :

عليه إسرائيلُ حقاً أُهبطاً ولم يكنْ على نبيِّ هبطاً

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بنزول ملك الجبال عليه السلام لينصره على أعدائه

عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالتُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ،

فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه البخاري.

قال العلماء : قوله (إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ) أي إذا أردت أن أقلب عليهم الأخشبين لقلعتي، والأخشب كل جبل غليظ، والأخشبان هما جبلان يضافان إلى مكة مرة، وإلى مئى أخرى، وهما واحد.

وقيل: الأخشبان: الجبلان المطبقان بمكة، وهما أبو قُبَيْسٍ، والآخر قُعَيْقَعَانُ؛ جبل بمكة وجهه إلى أبي قُبَيْسٍ، أو الجبل الأحمر الذي يُشْرِفُ على قُعَيْقَعَانٍ، وهنا تجلّت رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبر مَلَكَ الْجِبَالِ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ الْعَذَابَ لِقَوْمِهِ وَإِنْ اسْتَحَقُّوا لَكُفْرِهِمْ، بَلْ إِنَّهُ يَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، فَيُؤَخِّدُهُ مُنْفَرِدًا، أَوْ يُطِيعُهُ مُخْلِصًا لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

وقد كان ما رجاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث دخلت مكة والطائف في دين الله سبحانه، وحسن إسلامهم، وكان منهم مسلمون موحدون بالله، وقادة عظماء وسعوا رُقعة الدولة الإسلامية.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن الملائكة كانت تمشي خلفه وعن يمينه توقيراً له ﷺ

عن جابر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه: (امشوا أمامي، واخلوا ظهري للملائكة) أخرجه أحمد والدارمي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تمشوا بين يديّ ، ولا خلفي ، فإنّ هذا مقام الملائكة) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي.

قال العلماء : (إنّ الملائكة كانوا يمشون خلف النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنّ الملائكة تحرسه، وقيل: يمشون خلفه إعظاماً له، وإكراماً من الله عز وجلّ.

وهذا من التعظيم والتشريف له صلى الله عليه وسلم من الملائكة، ويكون أيضاً تعظيماً من أصحابه رضي الله عنهم للملائكة الذين يمشون خلفه، وحراسة الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم لا تُعارض قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67]؛ لأنّ من عصمة الله له أن يؤكّل له جنداً من الملائكة الأعلى¹.

¹ - الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية.

الفصل الحادي عشر

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قرن اسمه تعالى باسمه ﷺ في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

مدخل : بيان جواز قرن اسمه الشريف باسمه صلى الله عليه وسلم باسم الجلالة.

الخصوصية الأولى : اختصاصه بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه صلى الله عليه وسلم في الآيات القرآنية.

الخصوصية الثانية : اختصاصه بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية.

مدخل

بيان جواز قرن اسمه الشريف باسمه ﷺ باسم الجلالة

أستفتح هذا الفصل بملاحظة أبدأها أحد الباحثين فيما يتعلق بقول العوام وهم يقرنون ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر الله تعالى (الله ورسوله) ؛ ثم دلل على صحة هذا الاقتران بعدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فقال :

(قد رأيت بعض المعاصرين ممن ينتسب للعلم يشمئز ويُنْفَر عندما يقرن اسم الله تعالى باسم رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن ينهي أن يكتب اسم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بجوار اسم الله تعالى، بحجة المحافظة على جناب التوحيد، وكأنهم أحرص على التوحيد من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قرن الله سبحانه وتعالى اسمه باسم رسوله الكريم فيما لا يحصى من آيات القرآن الكريم، وقرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه باسم الله تعالى فيما لا يحصى من الأحاديث، وكذا فعل الصحابة والسلف رضي الله عنهم، وسيأتي ذكر طائفة من تلك الآيات والأحاديث والآثار إن شاء الله؛ وبالتأمل في ذلك نعلم المكانة العظيمة التي أولاهها الله لهذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم)¹.

قلت : وقد نص عدد من العلماء على أن هذا الاقتران من خصائصه العظيمة صلى الله عليه وسلم، فعلى سبيل المثال :

¹ - دراسة في اقتران اسم الله تعالى باسم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم - للشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الخصائص الكبرى : (قَالَ - أَبُو نَعِيم - : وَمِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ إِسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كِتَابِهِ عِنْدَ ذِكْرِ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا فَقَالَ تَعَالَى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)..**إلخ.**

وقال الصالحى في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد:

الثالثة والتسعون - أي من خصائصه - وبأنه تعالى قرن اسمه صلى الله عليه وسلم باسمه في كتابه في ثمانية مواضع¹ كما سيأتي بيانها في البند التالي.

وقد تنبه إلى ذلك الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ

وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخُمْسِ الْمَوْذُنُ: أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

¹ - تتبعها بعض الباحثين فوصلت إلى الثلاثين موضعاً ومنها ما رُود في الكتاب المشار إليه آنفاً: دراسة في اقتران اسم الله تعالى باسم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخصوصية الأولى

اختصاصه بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه ﷺ في الآيات القرآنية

1/ في الإيمان : قال الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) وقال الله تعالى (وآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) [الحديد ٧] فجمع بينهما بواو العطف المشتركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق غيره صلى الله عليه وسلم؛ ففي سنن أبي داود عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يقولن أحدكم: ما شاء الله، وشاء فلان، ولكن: ما شاء الله، ثم شاء فلان)** فالواو تقتضي الجمع دون الترتيب على الصحيح وثم: تقتضي الترتيب مع التراخي .

2/ الطاعة : قال الله تبارك وتعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [آل عمران 132]؛ وقال عز وجل: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [آل عمران ٣٢]؛ وقال عز وجل: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء ٨٠] .

3/ المحبة : قال الله جل جلاله: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة/24] .

وقال الله جل جلاله: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) [آل عمران ٣١] فجعل عز وجل علامة محبته اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى عنه وشرط مع ذلك محبته إياهم ومغفرة ذنوبهم .

4/ في المعصية: قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) [النساء/14] .

5/ في العزة : قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) [المنافقون ٨] أي الامتناع وجلالة القدرة .

6/ في الولاية : قال الله تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة/55، 56] .

7/ في الاستجابة : قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال/24] .

8/ في التسمية : قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرْؤُفٌ رَحِيمٌ) [الحديد ٩] وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) [التوبة ١٢٨] ولهذه تنمة تقدمت في آخر باب أسمائه الشريفة .

9/ في الرضى : قال الله عز وجل: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) [التوبة ٦٢] فالله رفع بالابتداء ورسوله عطف عليه وأحق أن يرضوه الخبر فإن قيل: جاز رد الضمير الواحد في الله وفي رسوله أحق أن يرضوه ولم يقل يرضوهما، فالجواب أن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم رضا الله، فترك، لأنه دال عليه مع الاتحاد.

10/ في القضاء : قال الله عز وجل: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب/36] .

11/ التقديم بين يدي الله ورسوله: قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات/1].

12/ نصره الله ورسوله: قال الله عز وجل: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر/8].

13/ النصح لله ورسوله: قال الله عز وجل: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 91].

14/ يقنت لله ورسوله: قال الله عز وجل: (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) [الأحزاب: 31].

15/ تُردن الله ورسوله: قال الله عز وجل: (وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب/29، 30].

16/ وعدنا الله ورسوله: قال الله عز وجل: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب/22].

17/ دُعوا إلى الله ورسوله: قال الله عز وجل: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) [النور/48].

وقال الله عز وجل: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [النور/51].

18/ مهاجرا إلى الله ورسوله: قال الله عز وجل: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء/100].

19/ الإيذان بحرب من الله ورسوله : قال الله عز وجل: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة/279، 280].

20/ لا تخونوا الله والرسول: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال/27].

21/ يحاربون الله ورسوله : قال الله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة/33].

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [التوبة/107، 108].

22/ ما حَرَّمَ الله ورسوله: قال الله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة/29].

23/ ومن يشاقق الله ورسوله : قال الله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الأنفال/13].

24/ براءة من الله ورسوله : قال الله تعالى : (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [التوبة/1].

25/ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : قال الله تعالى (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) [التوبة/3].

26/ سيؤتينا الله من فضله ورسوله : قال الله تعالى : (وَلَوْ أَكَّهْمَ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) [التوبة/59].

27/ التحذير من الإيذاء : قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) [الأحزاب/57].

28/ يجادون الله ورسوله : قال الله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُجَادِدِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) [التوبة/63].

وقال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) [المجادلة/5].

29/ أغناهم الله ورسوله: قال الله تعالى : (وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [التوبة/74، 75].

30/ الأنفال لله والرسول : قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [الأنفال/1].

الخصوصية الثانية

اختصاصه بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه ﷺ في الأحاديث النبوية

هذه طائفة من الأحاديث التي قرن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيها اسمه باسم الله تعالى أو حصل الاقتران في حضرته¹:

1/ يقاتل عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

في الموطأ ومسلم أبي داود : عن أبي قتادة قال : (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة قال فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين قال فاستدرت له حتى أتيت من ورائه فضربت بالسيف على حبل عاتقه فأقبل عليّ فضمني ضمةً وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقلت له ما بال الناس قال أمر الله ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه).

قال : (فقمْتُ ثم قلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال ذلك الثانية من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه). قال : (فقمْتُ ثم قلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال ذلك الثالثة فقمْتُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما لك يا أبا قتادة قال فافتصمت عليه القصّة) فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتل عندي فأرضه منه فقال أبو بكر الصديق

¹ - نقلا من كتاب دراسة في اقتران اسم الله تعالى باسم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم - للشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي (بتصرف) وللشيخ عبد الفتاح بحث بعنوان: (حكم قول (الله ورسوله أعلم) بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم منشور على النت .

(لاها الله إِذَا يعمدُ إلى أسدٍ من أسدِ الله يقاتلُ عنِ الله وعنِ رسولِهِ فيعطيكِ سلبَهُ) فقالَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : (صدقَ فأعطِهِ إيَّاهُ).

فقالَ أبو قتادةَ : (فأعطانيهِ فبعثَ الدَّرْعَ فابتعتُ بِهِ مخرفاً في بني سلمةَ فَإِنَّهُ لأوَّلُ مالٍ تأثَّلْتُهُ في الإسلامِ). **الشاهد قول أبي بكر رضي الله عنه :** (يقاتلُ عنِ الله وعنِ رسولِهِ فيعطيكِ سلبَهُ).

2/ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أرحم بنا : في الموطأ (2 / 982): عن أميمة بنت رقيقة أنها قالت: أتيتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في نسوةٍ يُبايعنَهُ فقلنَ: (نُبايعُكَ يا رسولَ الله على ألا نُشركَ باللهِ شيئاً ولا نُسرقَ ولا نزنيَ ولا نقتلَ أولادنا ولا نأتيَ بهتانٍ نفتريه بينَ أيدينا وأرجلنا ولا نعصيكِ في معروفٍ) فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: (فيما استطعنَّ وأطقنَّ) قالت: فقلنَّ: الله ورسولُهُ أرحمُ بنا مِن أنفسنا هلُمَّ نُبَايعُكَ يا رسولَ الله فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: (إني لا أصافحُ النِّساءَ إِنَّمَا قولي لمئةِ امرأةٍ كقولي لامرأةٍ واحدةٍ أو مثلِ قولي لامرأةٍ واحدةٍ)¹.

3/ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليه مما سواهما : في صحيح البخاري ومسلم : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ).

¹ - قال شعيب الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان - حديث رقم : (4553): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

4/ **عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم** : في الموطأ (2 / 546): عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : **(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله).**

5/ **الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم (في حياته)** : في الموطأ (1 / 167): عن النعمان بن مرة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : **(ما تَرَوْنَ في السَّارِقِ وَالشَّارِبِ والزَّانِي ؟ وذلك قبل أن يُنْزَلَ فيهم ، قالوا: (الله ورسوله أعلم) ، قال: (هُنَّ فَوَاحِشٌ وفيهنَّ عقوبةٌ ، وأساءُ السرقةِ الذي يسرقُ صلاتَهُ ، قالوا: كيف يسرقُ صلاتَهُ يا رسولَ الله ؟ قال: لا يَتِمُّ رُكُوعُهَا ولا سُجُودُهَا)¹.**

6/ **الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم (لما في الضمائر):** في صحيح البخاري [4 / 1603] في قصة كعب بن مالك: **(فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال: (الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى) فقد قال أبو قتادة: (الله ورسوله أعلم لما في قلب كعب بن مالك).**

وفي صحيح البخاري أيضا [5 / 2063] في قصة عتبان بن مالك: **(فقال بعضهم - عن مالك بن الدخشن -: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله, قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقل ذلك ألا تراه قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم)؛ قد قال الصحابي: الله ورسوله أعلم؛ لما في قلب مالك بن الدخشم.**

7/ **الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم (في الأمور الكونية):** في سنن الترمذي ومسنند الإمام أحمد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :بينما نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جالسٌ

¹ - قال ابن عبد البر في الاستذكار (320/2) : متصل ويستند من وجوه صحاح.

وأصحابه إذ أتى عليهم سحابٌ فقال نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هل تدرون ما هذا؟) فقالوا الله ورسوله أعلم قال: (هذا العنانُ هذهِ روايا الأرضِ يسوقه الله تبارك وتعالى إلى قومٍ لا يشكرونه ولا يدعونَه).

قال: (هل تدرون ما فوقكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإنها الرقيعُ سقفٌ محفوظٌ وموجٌ مكفوفٌ ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها؟) قالوا : الله ورسوله أعلم قالى : (بينكم وبينها مسيرةُ خمسمئةِ سنةٍ ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال : (فإنَّ فوقَ ذلك سماءَيْنِ ما بينهما مسيرةُ خمسمئةِ عامٍ حتى عدَّ سبعَ سماواتٍ ما بين كلِّ سماءينِ ما بين السماء والأرضِ ثم قال : (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال : (فإنَّ فوقَ ذلك العرشِ وبينه وبين السماءِ بعد ما بين السماءينِ ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الأرضُ ثم قال : (هل تدرون ما الذي بعد ذلك؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال (فإنَّ تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرةُ خمسمئةِ سنةٍ حتى عدَّ سبعَ أرضينِ بين كلِّ أرضينِ مسيرةُ خمسمئةِ سنةٍ) ثم قال : (والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أنكم دليتم رجلاً بجبلٍ إلى الأرضِ السفلى لهُبط على الله ثم قرأ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)¹ .

وفي صحيح البخاري أيضا [3 / 1170] : عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: (تدري أين تذهب؟). قلت: الله ورسوله أعلم قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل

¹ - قال الإمام أبو بكر ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذى (356/6) : منقطع الحسن كمتصله صحيح المعاني وكل حرف منه مستند من طرق صحاح.

منها وتستأذن فلا يؤذن لها) فقد قال أبو ذر: (الله ورسوله أعلم) لمكان ذهاب الشمس عند الغروب وهو من الأمور الكونية.

وفي المعجم الأوسط للطبراني [9 / 52]: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه - في حديث طويل - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أتدرون ما قال هذا الجمل؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (هذا جملٌ جاءني يستعديني على سيده)¹.

8/ هجرته إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم: في صحيح البخاري (ج 1 / ص 94): عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

9/ أغناه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم: في صحيح البخاري (ج 5 / ص 316): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله).

¹ - وقامه قال صلى الله عليه وسلم (هذا جملٌ جاءني يستعديني على سيده يزعم أنه كان يحزُّ عليه منذ سنين حتى إذا أجريته وأعجفته وكبر سنُّه أراد أن ينحّره اذهب يا جابر إلى صاحبه فائت به) فقلتُ: يا رسول الله ما أعرفُ صاحبه؟ قال: (إنه سيدُّك عليه قال فخرج بين يديه معنفاً حتى وقف بي في مجلس بني خَطْمَةَ فقلتُ أين ربُّ هذا الجمل قالوا هذا جملُ فلان بن فلان فجنَّته فقلتُ: أحبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فخرج معي حتى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (جملُك يستعدي عليك زعم أنك حرَّثت عليه زماناً حتى أجريته وأعجفته وكبر سنُّه أردت أن تنحّره) فقال (والذي بعثك بالحق إن ذلك كذلك) فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (بغيبه) قال: نعم يا رسول الله فابتاعه منه ثمَّ سيَّبه في الشجر حتى نصب سناماً فكان إذا اعتلَّ على بعض المهاجرين أو الأنصار من نواضحهم شيء أعطاه إيَّاه فمكث بذلك زماناً). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/9): فيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد وبقيته رجاله ثقات.

10/ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حرم: في صحيح البخاري (ج 7 / ص 484):

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام).

11/ آذى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم : في صحيح البخاري (ج 8 / ص 427):

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لكعب بن الأشرف؟ (فإنه قد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم).

12/ حتى تلقوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم : في صحيح البخاري (ج 10 / ص

400): في حديث أنس بن مالك الطويل : قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا فقال: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَوْضِ).

13/ خان الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

في صحيح البخاري (ج 12 / ص 378): فقال عمر رضي الله عنه : (يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه).

14/ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم آمنٌ : في صحيح البخاري - (ج 13 / ص

224): عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : (لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: كُلَّمَا قَالَ

شيئاً، قالوا: الله ورسوله آمن، قال: لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكُم؟ لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكتُ وادي الأنصار وشعبها، الأنصارُ شعارٌ، والناسُ دثارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض).

15/ صدقة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم : في صحيح البخاري (ج 20 / ص 389) عن كعب بن مالك الطويل: (فقال في آخر حديثه: إن من توبتي أني أخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك).

وفي مسند أحمد (ج 31 / ص 378): أن الحسين بن السائب بن أبي لبابة أخبر أن أبا لبابة بن عبد المنذر لما تاب الله عليه قال: (يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي وأساكنك وإني أخلع من مالي صدقة لله ولرسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يجزئ عنك الثلث).

وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم (ج 18 / ص 395): عن أبي بكر بن حزم ، أن عبد الله بن زيد بن عبد ربه جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (يا رسول الله ، إن حائطي هذا صدقة وهو لله ولرسوله ، فجاء أبواه فقالا : يا رسول الله كان قوام عيشنا ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهما ، ثم ماتا فورثه ابنهما بعدهما) ؛هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

الفصل الثاني عشر

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة

للنبي صلى الله عليه وسلم عند ربه مقام عظيم، وقدر جليل، فاق كل الخلائق أجمعين، فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، ولا يعرف حقيقته وعظيم قدره إلا خالقه سبحانه وتعالى .. والمتأمل في آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية الصحيحة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي . صلى الله عليه وسلم . وعظم قدره عند ربه . عز وجل .، فقد حباه الله وامتن عليه وأكرمه بخصائص كثيرة في الدنيا والآخرة، دلت على جليل قدره وشرف منزلته عند ربه، قال الله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (الحج:75).

ومن هذه الخصائص قوله تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (الشرح:4) فرفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من أجل النعم، وأعظم الخصوصيات، ومن الشوائب الحميدة، التي تدل على حب الله تعالى لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، **وقال قتادة:** رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: (وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال: يقول له: ما ذُكِرْتُ إلا ذُكِرْتُ معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق

الأرض ومغاربها، ولو أن رجلا عبد الله جل ثناؤه ، وصدّق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافرا).

وقال الشيخ السعدي: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) أي: أعلينا لك قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يُذكر الله إلا ذَكَرَ معه رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، كما في دخول الإسلام، وفي الأذان والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلّى الله بها ذكر رسوله محمد . صلى الله عليه وسلم .، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته).

ومن صور ووجوه رفع ذِكره ﷺ¹:

1/ اقتران اسمه صلى الله عليه وسلم مع اسم الله - سبحانه -، وهو أعظم وأجل أوجه رفع الذكر، ولا يمكن أن نستوعب عظيم هذا الأمر، إلا إذا علمنا ووقر في قلوبنا عظيم شأن الله . عز وجل -، الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، العالم بكل شيء، المقدر لكل أمر، النافذ حكمه في كل أحد، قال تعالى واصفا قدرته وعظمته: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) الزمر: (67) ، وقال تعالى واصفا إحاطته بعلم كل شيء: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام: 59) ، فهل بعد هذا التكريم من الله . عز وجل لرسوله . صلى الله عليه وسلم . والرفع والإعلاء والتشريف من رتبة أعلى؟.

¹ - نقلا عن موقع الشبكة الإسلامية.

2/ **ذِكْرُهُ . صلى الله عليه وسلم . في الملأ الأعلى**، وذلك بصلاة الله تعالى والملائكة عليه، بالثناء والذكر الحسن، بل ينسحب هذا الثناء والذكر الحسن إلى المؤمنين ببركة صلاتهم عليه، لقوله . صلى الله عليه وسلم : (من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرا) رواه مسلم.

3/ **حفظ الله لعرضه . صلى الله عليه وسلم . من سب ولعن كفار قريش**، فعن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم!، يشتمون مُذمِّمًا، ويلعنون مُذمِّمًا، وأنا محمد) رواه البخاري.

من كمال رفع الذكر أن يذكر الإنسان بكل الصفات الحميدة، وأن يُسَرِّأ من كل سب ولعن، وقد أثبت الحديث أن الذي صرف عنه . صلى الله عليه وسلم . السب واللعن هو الله سبحانه وتعالى، وأن أمر صرف هذا اللعن والسب مع حرص كفار قريش عليه، من الأمور العظيمة التي يُتعجب منها، وما يتعجب منه يجب الوقوف عنده للتأمل والتدبر.

4/ **ومن كمال رفع ذكره : أن الله تعالى أمر بعدم التسوية بين دعائه ودعاء غيره**، قال تعالى: (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) (النور: من الآية 63) .

قال ابن كثير: (قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله . عزَّ وجلَّ . عن ذلك، إعظاماً لنبيه . صلى الله عليه وسلم .، قال: فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، وقال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيه . صلى الله عليه وسلم .، وأن يُبَجَّل، وأن يعظم، وأن يسود، وقال مقاتل في قوله: (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) يقول: لا تسموه إذا دعوتوه يا محمد، ولا تقولوا: يا ابن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله) .

5/ ومن كمال رفع ذكره صلى الله عليه وسلم : أن جعل الله - سبحانه وتعالى - كتابه أحسن الكتب، قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (الزمر: 23)، بل جعل كتابه . صلى الله عليه وسلم . مهيمنا على بقية الكتب، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة: 48).

6/ ومن كمال رفع ذكره صلى الله عليه وسلم : أن خصه الله . عز وجل . بأزكى الخلق، وأثنى عليه به في كتابه العزيز، فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4) ؛ وكل ذلك وغيره من تمام رفع ذكره صلى الله عليه وسلم .

7/ ومن أجلّ مظاهر رفع ذكره صلى الله عليه وسلم أن الله - عز وجل - قد أبطل كل شبهات الكافرين وأكاذيبهم حوله صلى الله عليه وسلم ، فما من شبهة أثارها الكفار أو أكذوبة مثل الجنون والسحر، وادعاء كتابة القرآن من عنده أو من غيره من البشر، إلا وأقام القرآن الكريم . ومن بعده علماء السلف والخلف . الحجج الدامغة على كذبها وفريتها.

8/ ومن أجلّ مظاهر رفع ذكره صلى الله عليه وسلم في الآخرة : أن أعطاه الله تعالى المقام المحمود وهو الشفاعة الكبرى كما قال تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإسراء: ٧٩] يعني: يجعل لك الشفاعة في يوم القيامة، وسيكون ذلك سبباً في رفع مقامك وشهرتك عند الناس واعتراف الأمم السابقة بفضلك وبميزتك التي فضلك الله بها. هذا هو المشهور في تفسير المقام المحمود.

الفصل الثالث عشر

اختصاصه بكثرة أسمائه الشريفة ﷺ

إن من خصائص النبي ﷺ التي أكرمها الله بها كثرة الأسماء التي يُسمَّى بها؛ ولقد صنف العلماء في جمع أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مصنفات كثيرة ، تزيد على الأربعة عشر مصنفًا ، وخصص المصنفون في السير والشمائل أبوابًا لبيان أسمائه صلى الله عليه وسلم ، كما فعل القاضي عياض في " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " (228/1) في " فصل في أسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته " انتهى. وأفرد لها الحافظ ابن عساكر بابًا في " تاريخ دمشق " .

وقد اختلف العلماء في أسماء كثيرة، هل تصح نسبتها إلى النبي ﷺ أو لا؟ فأدى ذلك إلى اختلافهم في تعداد هذه الأسماء.

وقد كان من أهم أسباب الخلاف، أن بعض العلماء رأى كل وصف وصف به النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من أسمائه، فعد من أسمائه مثلاً: الشاهد، المبشر، النذير، الداعي، السراج المنير، وذلك لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: 46 - 45] .

قال النووي رحمه الله: (بعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز)¹ اهـ

وقال السيوطي رحمه الله: (وأكثرها صفات)².

وقال ابن القيم رحمه الله: (وأسماءه عليه الصلاة والسلام كلها نعوت ليست أعلامًا محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال)¹.

¹ - تهذيب الأسماء واللغات. (22 / 1) .

² - تنوير الحوالك. (263 / 2) .

ثم قال رحمه الله تعالى: (أسماءه - صلى الله عليه وسلم - نوعان؟

أحدهما خاص: لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمُقَفِّي، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل: ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبد، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة².

قال السندي رحمه الله تعالى: (وكثرة الأسماء تدل على عِظَمِ الْمِسْمَى، فلذا يقال عند التحقير: هذا شيء لا يُعرف له اسم ونحوه، وقد جاء أنه - صلى الله عليه وسلم - له أسماء أخرى، فلعله خص هذه لشهرتها)³.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (ومن أسمائه في القرآن باتفاق: الشاهد المبشر النذير المبين الداعي إلى الله السراج المنير والمذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد والأمين والمزمل والمدثر).

شرح (42) من أسمائه الشريفة ﷺ:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جبير ابن مطعم -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ).**

¹ - زاد المعاد لابن القيم. (85 - 84 / 1).

² - زاد المعاد لابن القيم. (86 / 1).

³ - شرح السندي للمسنند. (490 / 9).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح برقم 2355 - : (والذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها لم يُسم بها أحد قبلي، أو معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: (أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ).

1/ محمد ﷺ: هو اسم مفعول من حمد، إذا كان كثير الخصال التي يُحمد عليها؛ يذكر السيوطي - في كتابه الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة -(أن قريشاً لم تنس أن تسأل شيخها - عبد المطلب - لم عدل عن أسماء آبائه وسمى حفيده محمداً؟ فقال: أردت أن يحمد الله في السماء ويحمده الناس في الأرض).

ومحمدٌ اسمه الأشهر الذي سَمَّاهُ الله به في غير آية من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

ومحمدٌ ﷺ اسمه الأسبق الذي سَمَّاهُ الله به في التوراة، على ما حَقَّقَهُ وارتضاه ابن القيم في كتابيه السَّابِقين، خلافاً لما ذهب إليه أبو قاسم السُّهيلي والقاضي عياض على ما نشير إليه.

ويعتبر اسم "محمد" من أشهر هذه الأسماء، وهو اسم منقول من الصفة، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه صلى الله عليه وسلم:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمدٌ

وقد ذكر ابن القيم تعليلاً جميلاً لتسميته بهذا الاسم، فقال: تسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتمل عليه من مسماه وهو الحمد، فإنه صلى الله عليه وسلم محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وإن كفر به بعضهم، فإن ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل، وإن كابر عقله جحوداً أو عناداً أو جهلاً باتصافه بها، ولو علم اتصافه بها لحمده، فإنه يُحمَد من اتصف بصفات الكمال، ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد له.

وهو ﷺ اختص من مسمى الحمد بما لم يجتمع لغيره؛ فإنه اسمه محمد وأحمد، وأمه الحمّادون، يحمّدون الله في السراء والضراء، وصلاته وصلاة أمته مفتّحة بالحمد، وخطبته مفتّحة بالحمد، وكتابه مفتّح بالحمد، هكذا عند الله في اللوح المحفوظ أن خلفاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتّحاً بالحمد، ويده صلى الله عليه وسلم لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدي ربه عز وجل للشفاعة، ويؤذن له فيها، يحمّد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذٍ، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغطه به الأولون والآخرون.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]. وإذا قام في ذلك المقام، حمده حينئذٍ أهل الموقف كلهم؛ مسلمهم وكافرهم، أولهم وآخرهم، و هو محمود صلى الله عليه وسلم بما ملأ الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض، واستنقذهم من أسر الشياطين، ومن الشرك بالله والكفر به والجهل به، حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة. ابن القيم، جلاء الأفهام 1/ 88، 89.

2/ أحمد ﷺ: فهو الذي يلي محمدًا في فضله وسبقه وشهرته، حتى كأنه هو، في كل معنى يتصل به أو يرمز إليه، ولا عجب إذا كان كلاهما منقولًا من الحمد؛ فهو يتضمنُ الثناء على المحمود، كما يتضمنُ محبته وإجلاله وتعظيمه واتباعه في كل ما جاء به.

وإذا غلب على الأول أنه المحمود حمدًا بعد حمد، عند الله وعند ملائكته وعند إخوانه المرسلين من قبله، وعند أهل الأرض جميعًا - بله الجاحدين والجاهلين منهم - وعند الأمم قاطبةً في موقف الحشر؛ فقد غلب على الثاني أنه أحقُّ الناس وأولاهم بأن يُحمد هذا الحمد، فالاسمان كلاهما واقعان - كما اختار ابن القيم - على صيغة المفعول، والفرق بينهما أنَّ محمدًا كثيرُ الخصال التي يُحمد عليها، وأحمد هو الذي يُحمد بحقِّ أكثر مما يُحمد غيره؛ فمرّدُ الأول إلى الكثرة والكمية؛ ومرّدُ الثاني إلى الصِّفة والكيفيّة، وأيًا ما كان الأمر، فقد أُوتي صلى الله عليه وسلم من خصال الثناء والحمد ما لم يُؤت أحد؛ فكان أعظم من محمد، وأجل من محمد، وسبحان من لا ينتهي عطاؤه عند حد.

وأحمد هو الاسم الذي سمّاه الله به في الإنجيل على لسان عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ إذ قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]، تلك تسميته وبشارته في الإنجيل بلا خلافٍ ولا ريبٍ.

فائدة : الفرق بين محمد وأحمد من وجهين:

الوجه الأول : أن محمدًا هو المحمود حمدًا بعد حمد فهو دال على كثرة حمد الحامدين له، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحمد تفضيل من الحمد يدل على أنه الحمد الذي يستحقه

أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد زيادة حمد في الكمية وأحمد زيادة في الكيفية ، فيُحمد صلى الله عليه وسلم أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر .

والوجه الثاني : أن محمداً هو المحمود حمداً متكرراً كما تقدم، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدلّ أحد الاسمين وهو محمد على كونه محموداً ودل الاسم الثاني وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه .

وأما قوله الماحي والحاشر والمقفي والعاقب، فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم:

3/ الماحي ﷺ: هو الذي محاه الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محى بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون رباً ولا معاداً، وبين عباد الكواكب، وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء، ولا يقرون بها، فمحاه الله - سبحانه - برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

4/ الحاشر ﷺ: فالحشر هو الضم والجمع، فهو الذي يحشر الناس على قدمه، فكأنه بُعث ليحشر الناس، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه؛ لأنه أوّل مَنْ تنشقُّ عنه الأرض، ثمَّ الناس على أثره يُحشرون، وإليه في المحشر يُلجؤون، وبه عند الفزع الأكبر إلى ربّهم يتوسّلون، وهنالك يتجلّى مقامه المحمود الذي يحمد له الأوّلون والآخرون.

5/ العاقب ﷺ: الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي عقب الأنبياء، جاء بعقبهم.

وقد تظاهرت الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة من صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة، على أنه أتى عَقَبَ جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنَّ به انتهاء النبوة وحُسن الختام. كما سبق ذكرها عند الكلام خصوصية ختم النبوة.

6/ الملقفي ﷺ: فكَذَلِكَ هُوَ الَّذِي قَفَى عَلَى آثَارِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، فَالْمَقْفِي الَّذِي قَفَى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الرِّسْلِ، فَكَانَ خَاتَمَهُمْ وَآخِرَهُمْ.

7/ المتوكل ﷺ: فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ ابْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي التَّوَرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوَرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الأحزاب: 45] وَحِزًّا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفَطْرٍ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا).

8/ نبي التوبة صلى الله عليه وسلم: فَهُوَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ بِهِ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ تَوْبَةً لَمْ يَحْصِلْ مِثْلُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَهُ، وَكَانَ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ اسْتِغْفَارًا وَتَوْبَةً، حَتَّى كَانُوا يَعْدُونَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)¹.

¹ - سنن أبي داود برقم 1516، وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في صحيح سنن أبي داود (1/ 283) برقم 1342.

وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم، وأسرع قبولاً، وأسهل تناولاً، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

9/ نبي الملحمة ﷺ: فهو الذي بعث لجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قط، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

10/ نبي الرحمة ﷺ: فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله، وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

11/ الفاتح ﷺ: فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجأ، وفتح به الأعين العمي، والآذان الصم، والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة، والقلوب، والأسماع، والأبصار، والأمصار.

12-13/ الضحوك القتال ﷺ: وهما اسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس، ولا مقطب، ولا غضوب، ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

14/ البشير صلى الله عليه وسلم: فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب، وقد سماه الله، عبده في مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ

يَدْعُوهُ) [الجن: 19]، وقوله: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ) [الفرقان: 1]، وقوله: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) [النجم: 10]، وقوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) [البقرة: 23].

15/ عبد الله ﷺ: قد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها قوله : (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) سورة الجن (20) وقوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ) سورة الفرقان (1).

16/ سيد ولد آدم ﷺ: ثبت عنه في الصحيح أنه قال (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم؛ وفي رواية (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ) رواه ابن ماجه؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه. **قال العلماء :** وَالسَّيِّدُ: هُوَ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الْخَيْرِ.

وقيل: هُوَ الَّذِي يُفَزَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، فيقومُ بِأُمُورِهِمْ، وَيَتَحَمَّلُ مَكَارِهِهِمْ وَيُدْفَعُهَا عَنْهُمْ، وَالتَّقْيِيدُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا نَازَعَهُ فِي السِّيَادَةِ مُلُوكُ الْكُفَّارِ وَرُعَمَاءُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُودُّهُ بِلا مُنَازَعٍ وَلَا مُعَانِدٍ؛ وَذَلِكَ لِمَا لَهُ مِنْ مَقَامِ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى الَّتِي يَتَقَدَّمُ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا ثَبَتَ فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحِينَ.

17/ السراج المنير ﷺ: قال السعدي : كونه (سِرَاجًا مُنِيرًا) وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضللاً إلى الصراط المستقيم. فأصبح أهل الاستقامة، قد وضع لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة.

وسمى الشمس سراجًا وهاجًا، والمنير هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهاج: فإن فيه نوع إحراق وتوهج¹.

قال صاحب الكشف: جلى الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ظلمات الشرك، فاهتدى به الضالون، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به. أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمد بنور السراج نور الأبصار. ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه - أى: زيتته - ودقت فتيلته.

18-19 / الصادق الأمين ﷺ: هو أحق العالمين بهذين الاسمين، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء، وأمين من في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

وقد كان أهل مكة يلقبونه بهذه الصفات قبل البعثة؛ جاء في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم لما بدأ يجهر بدعوته سأل الناس: **(لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا).** وفي رواية: **(ما جربنا عليك كذبًا).**

وفي قصة بناء الكعبة المذكورة في كتب السيرة والحديث أن قريشًا لما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، تنازعت القبائل أيها يضعه موضعه، حتى كادوا يقتتلون، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم، فكان صلى الله عليه وسلم هو أول داخل، فرضوا به جميعًا وقالوا: هذا محمد، هذا الصادق الأمين، رضينا به، فحكموه ... وأصل قصة بناء الكعبة وحضور النبي صلى الله عليه وسلم لها في الصحيحين وغيرهما.

¹¹ - زاد المعاد لابن القيم - رحمه الله - (1/ 91 - 94) باختصار وتصرف.

وقال كعب بن زهير قبل إسلامه يخاطب أخاه بجيرا وكان مسلماً:

سقاك بها المأمون كأساً رويةً فأهلك المأمون منها وعلكاً

ويقصد بالمأمون: النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا يلقبونه الصادق الأمين.

وجاء في كتاب: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة: وكان صلى الله عليه وسلم مثلاً كاملاً للأمانة وأداء الحقوق لأربابها، والصدق في الحديث، لم تحص عنه خيانة ولا كذبة قط، ولقد اشتهر بأمانته منذ صغره حتى لقب بالأمين، ولما بلغ هرقل ملك الروم كتاب النبي داعياً له إلى الإسلام طلب ناساً من قومه يسألهم عنه، فجيء له برهط فيهم: أبو سفيان بن حرب فكان مما قال له: (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟) قال: لا، قال هرقل: (ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله!!) .

ولما هاجر إلى المدينة ترك علياً بمكة ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها؛ لذلك كانوا يلقبونه الصادق و بالأمين.

20- 21/ شاهدٌ وشَهِيدٌ ﷺ: ومعناها متقاربٌ، يدلُّ على مَنْ يَشْهَدُ على نفسه أو على غيره، أيَّ إِنَّ النَّبِيَّ، عليه الصلاة والسلام، سَيَشْهَدُ، يومَ القيامة، على أُمَّتِهِ وعلى الأنبياء من قَبْلِهِ، ويُدلي بتلك الشهادة بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا من مظاهر الشَّرَفِ والعِزَّةِ.

يقول الله تعالى في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وهو أصدق القائلين: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرِّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)، (البقرة: 143)، ويقول أيضاً: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (الأحزاب: 45).

قال السعدي رحمه الله تعالى : (شاهدًا) لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدا على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدا لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه.

22/ المبشّر ﷺ: ورد في قوله تعالى : (يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الأحزاب: 45).

قال السعدي رحمه الله تعالى : (وَمُبَشِّرًا) من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والأخروي، ومنذرا من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والندارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل.

23/ النذير ﷺ: قال تعالى: (يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الأحزاب: 45) أي ومنذرا للكافرين بسوء العاقبة، بسبب إعراضهم عن الحق الذي جئتهم به من عند الخالق عز وجل.

24/ الداعي إلى الله ﷺ: قال تعالى: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) سورة الأحزاب: (46).

قال السعدي : (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى ربهم، ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

25/ المصطفى ﷺ :

في اللغة : مأخوذ من الاصطفاء، وهو تناول صفوة الشيء. هو يعني المختار، أو المنتقى، كما يعني الاصطفاء وحسن الاختيار.

وشرعاً : جاء في صحيح مسلم باب الفضائل قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

واصطفاه الله لبعض عبادہ معناه أن يوجده صافياً نقياً يختاره على غيره لفضيلة فيه، والصفوة بكسر الصاد خيار الشيء وخلاصته وإنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المصطفى، لأنه مصفى من جميع الأدراں وقيل إنه سمي بهذا الاسم لأنه المختار لغاية القرب من ربه جل جلاله، وفي معنى إسم المصطفى اسم المختار. لأن الله قد أختاره للرسالة العامة والدعوة الباقية. واختصه بالشرف والعز والمجد.

26/ الخاتم ﷺ :

معناه لغة : جاء في مادة ختم في لسان العرب لابن منظور : خَتَمَهُ يَخْتِمُهُ خَتْماً وَخِتَاماً : طَبَعَهُ، فهو مَخْتومٌ وَمُخْتَمٌ، شُدِّدَ للمبالغة، والخاتِمُ الفاعِلُ.

ويقال : فلان خَتَمَ عليك بابهُ أَعْرَضَ عنك. وَخَتَمَ فلان لك بابه إذا أَثْرَكَ على غيرك. وَخِتَامُ الْقَوْمِ وَخَاتِمُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ: آخِرُهُمْ. وبذلك فسيدينا محمد ﷺ ، خاتِمُ الأنبياء وخاتمهم، عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وشرعاً : ساق الصالحى الشامى فى كتابه سبل الهدى والرشاد، نقلا عن ابن عسافر قوله : وأما الخاتم بالفتح فمعناه أنه أحسن الأنبياء خلقا وخلقاً، ولأنه ﷺ جمال الأنبياء صلى الله عليه وآله وعليهم فهو كالخاتم الذى يتجمل به.

وقيل : لما انقبضت النبوة وتمت كان كالخاتم الذى يختم به الكتاب عند الفراغ. وأما الخاتم بالكسر فمعناه آخر الأنبياء فهو اسم فاعل من قولك ختمت الشيء أى أتممته وبلغت آخره¹.

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين).**

وذكر العلماء فى حكمة كونه ﷺ خاتم النبيين أوجها:

منها : أن يكون الختم بالرحمة، ومنها أن الله تعالى أراد ألا يطول مكث أمته تحت الأرض إكراماً له.

ومنها : أنا اطلعنا، معشر أمته، على أحوال الأمم الماضية، فجعلت أمته آخر الأمم لئلا يطلع أحد على أحوالهم تكريماً له ﷺ.

ومنها : أنه لو كان بعده نبي لكان ناسخاً لشريعته، ومن شرفه أن تكون شريعته ناسخة لكل الشرائع غير منسوخة. ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام فإنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ لا بشريعته،

¹ - سبل الهدى والرشاد، فى سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامى، ج 1، ص 558، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1993.

لأنها قد نسخت . ومن هنا يُعلم أن معنى كونه لا نبي بعده أي لا نبي يبعث أو ينبأ أو يخلق، وإن كان عيسى موجودا بعده¹.

27/ النبي ﷺ:

تعريف النبي في اللغة: مشتق من النبأ، وهو الخبر؛ قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: 1 - 2]. وإنما سُمي النبي نبياً لأنه مُنبأ؛ أي: مُخبر من الله عز وجل أي: يُوحى الله إليه نبأً من شرعه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [التحريم: 3]، وهو أيضاً مُنبئ؛ أي: مُخبر عن الله عز وجل بما يُوحى الله إليه من أمره وشرعه؛ قال تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49].

وقيل: النبي مشتق من النبوة، وهي الشرف؛ أي: المكان المرتفع من الأرض، فمرتفعات الأرض أشرفها، فإنَّ العرب تُطلق لفظ (النبي) على العلم من أعلام الأرض التي يُهتدى بها؛ لشرفها وإشرافها على ما سواها.

تعريف النبي في الاصطلاح: إنسان حرٌّ ذكرٌ أُوحِيَ إليه بشرع، وُبُعِثَ إلى قومٍ مؤمنين بشرعٍ سابق، فهو الذي ينبئه الله تعالى أي: يوحى إليه أن يعمل بشريعة من قبله، ويبعثه الله إلى قومٍ مؤمنين بشريعة سابقة لئذكرهم ما نسوه، وليبطل ما ابتدعوه، ويصحح ما أخطؤوا فيه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قُدوةً لهم في اتباع الرسول السابق، فهو يحكم بشريعة من قبله، ولا ينزل عليه كتابٌ، وقد يُوحى إليه وحيٌّ خاص في واقعة مُعَيَّنة.

¹ - مقال بعنوان اسمه الخاتم صلى الله عليه وسلم - رشيد حليم - موقع مدرسة الإمام المجدد عبد السلام ياسين

28/ الرسول ﷺ :

معنى الرسول لغةً: هو شخص مبعوث بمهمة معينة، والإرسال هو: التوجيه، ومنه قوله الله - تعالى - على لسان ملكة سبأ: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ). [سورة النمل، آية: 35] لذلك سُمِّيَ الرُّسُل بهذا الاسم لأنَّ الله -تعالى- وَجَّهَهُمْ وأَرْسَلَهُمْ.

الرسول شرعاً: إنسان حرٌّ ذكرٌ أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغه لقومٍ كافرين، أو لم تبلغهم رسالةً سابقة، فهو الذي ينبئه الله بوحيه الشرعي ثم يُوجِّهه إلى مَنْ خالف أمره، أو على قومٍ لم يأثم نذيرٌ من قبله.

29/ الأُمِّيُّ ﷺ: نسبة إلى أم القرى "مكة". أو إلى أمه؛ لبقائه على أصل الخلقة في عدم تعلم الكتابة.

30/ القَاسِمُ ﷺ: ومعناه: الجامع لمكارم الأخلاق، الكامل فيها. أو الجامع لشمل الناس؛ بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم.

31/ القاسم ﷺ: لما ورد عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ) رواه البخاري.

ومعنى قوله : (وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ) وَإِنَّمَا أَنَا أَقْسِمُ مَا أُمِرْتُ بِقِسْمَتِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أُمِرْتُ بِهِ؛ فالأمرُ كُلُّها بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقْدِيرِهِ، وَالْإِنْسَانُ مُصَرَّفٌ مَرْبُوبٌ، فَالْمَالُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْعِبَادُ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاسِمٌ بِإِذْنِهِ مَا لَهُ بَيْنَكُمْ، فَمَنْ قَسَمَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْكِتَابِ، وَكَذَا مَنْ قَسَمَ لَهُ قَلِيلًا؛ فَلَا يَزِدَادُ لِأَحَدٍ فِي رِزْقِهِ، كَمَا لَا يَزِدَادُ فِي أَجَلِهِ، وَسَبَبُ قَوْلِهِ لَذَلِكَ تَطْيِيبُ قُلُوبِ النَّاسِ؛ لِمَفَاضِلِهِ بَعْضَ النَّاسِ بِالْعَطَاءِ.

32/ المزمّل: من تَزَمَّلَ الرجل بثيابه. أي: تَدَثَّر. من قوله عندما أنزل عليه: "زَمِّلُونِي".

33/ المَدَّثَر: وهو ما يُدَثَّر به الإنسان فوق الشعار، قاله صاحب "المجمل" من قوله عندما أنزل عليه: "زَمِّلُونِي".

34/ الحبيب: أي: أحبه الله تعالى محبة زائدة على محبته غيره، ومحبته تعالى عباده عبارة عن إرادته بهم الخير.

35/ الخطيب: لأنه خطيب الأنبياء يوم القيامة.

36/ حريص عليكم: وصف الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بأعظم الأوصاف التي تدل على رحمته بأمته وحرصه عليها، فقال سبحانه: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: 28) من الحرص على الخير؛ أي: هدايتهم وإنقاذهم؛ وكان هذا الحرص النبوي . للناس عامة ولأمته خاصة . نابغاً من شفقتة ورحمته، فمن نعم الله علينا وعلى البشرية جميعاً بعثة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الذي قال الله تعالى عنه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107) .

37/ رؤوف رحيم: مشتقان من أسمائه تعالى؛ وقد وردا في الآية السابقة .

38/ الطيب: من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: 26].

39/ الصاحب: من قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: 2].

40/ الصالح: من قول الأنبياء في ليلة المعراج: مرحباً بالأخ الصالح.

41/ الأجود: لأنه كان أجود الناس. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ،

وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ
بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) رواه البخاري.

42/ الشكور: من قوله ﷺ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا". حيث قام حتى تورمت قدماه.

فائدتان :

الفائدة الأولى : قد نظم المادح الشهير يحيى بن يوسف الصرصري بعض أسمائه الشريفة
صلى الله عليه وسلم في قصيدة طويلة إليك بعضها :

يا لك من ليلة قُربٍ طال فيها سمري

لو سمح الدهر بما قضيت فيها وطري

جاد شعاب الابطح المكى صوب المطر

وبارك الرحمن في صباح ليل مقمر

يسفر عن وادي العقيق لقرين السفر

مبشرا بطالع السعد بخير البشر

بالعربي الهاشمي ذي الجبين الأزهر

بالمصطفى الأمي والمطيب المطهر

بالمتوكل الأمين الصادق المبرر

بالحاشر العاقب والشافع يوم المحشر

بalfاتح الخاتم للرسل مقفى الأثر

بالقثم الضحوك والقتال ماحي النكر

بالرؤف الرحيم والمزمل المدثر

وبالسراج الشاهد الهادي البشير المنذر

محمد بن هاشم بن غالب بن مضر

خير الأنام كلهم باديهم والحضر

السيد المفضل المعزز الموقر

الطاهر المنصور والمؤيد المظفر

الفائدة الثانية : كلام مختصر منقول من مقدمة النبھاني لمنظومته المسماة ب (لنظومة أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل) ؛ واقتباس من بعض أبياتها.

قال رحمه الله تعالى : تنبيهات :

الأول : قسمتها ثلاثة أقسام ليستريح القارئ ويشغل مع السامعين بقراءة الصلاة الإبراهيمية أو قراءة المولد النبوي إن كانوا مجتمعين لقراءته وتؤكد قراءتها في ليالي الجمعة وتحسن في كل الأوقات فرادى وجماعات.

الثاني : عدد الأسماء المنظومة بهذه المزدوجة وهي العربية والمعربية 824 اسماً ولم يجمع هذا العدد أحد قبل هذا ولم أنظم معها الأعجميات كالبارقليط ولا الحروف مثل "المر" إلا "طه" و"يس" لشهرتهما.

الثالث : اعلم أن بعض الأسماء لم يدخل في النظم باللفظ الذي ذكره لإخلال ذلك بالفصاحة أو لعدم مساعدة الوزن أو لسبب آخر وذلك قليل وأكثرها مذكور بلفظه وكل اسم وقع فيه التصرف سأذكره في آخر الصفحة التي ذكر فيها على الحروف المذكورة بعد المزدوجة ولم أترك شيئاً مما ذكره سوى العائل والراضع لأن الإعتراض على عدهما قوى .

الرابع: قد التزمت في الشطر الخامس أن يذكر فيه ضمير النبي صلى الله عليه وسلم لتتمكن الصلاة عليه كما التزمت عدم تكرار الاسماء وعدم زيادة علامات غيرها إلا في النادر ولم التزم لفظ أل في بعض ما ذكره من الصفات اقتداء بالامام الجزولي رحمه الله تعالى في دلائل الخيرات.

ومما جاء فيها:

قال في أولها :

الحمد لله الغني الأحد	الواحد الفرد العلي الصمد
السيد المطلق خير سيد	مولي أسامي عبده محمد
خير الوري ذاتاً ووصفاً وسماً	صلى عليه ربنا وسلمنا
صلى عليه ربنا وشرفنا	والآل والصحب وكل الحنفا
وبعد فاسمع يا محب المصطفى	نظم أساميه تجد فيها الشفا
نظمت منها فيه ما قد علما	صلى عليه ربنا وسلمنا
أبلغتها الثماني المئينا	بالنظم والنيف والعشرينا
نظمتها عقداً له ثميناً	زين صدر عصرنا تزيننا

بحسنه فاق اللآلي قيماً
صلى عليه ربنا وسلمما
سميتها بأحسن الوسائل
في نظم أسماء النبي الكامل

ثم قال رحمه الله تعالى :

نظمتها في سبعة أيام
هذبتها في نحو نصف عام
حتى غدت في غاية الإحكام
نعم المسمى نعمت الأسامي
عليه مولاه بما قد أنعما
صلى عليه ربنا وسلمما

ثم قال رحمه الله تعالى :

محمد خير امرئ ذكَّار
خير شكور شاكر شكار
خير نبي صالح مختار
وصاحب الرداء والإزار
علامة العرب بما قد علما
صلى عليه ربنا وسلمما
محمد أحسن زاه زاهر
زين بما باهر ناصر
مطهر مطهر طاهر
وهو الطهور وأبو الطاهر
قد طهر الله به من أسلما
صلى عليه ربنا وسلمما
محمد الناس وخير الناس
وأحسن الناس إمام الناس
وأشجع الناس وأتقى الناس
وأكرم الناس وأوفى الناس

أكرمهم في كل وصف كرما	صلى عليه ربنا وسلمنا
محمد المقسط روح القسط	وهو الرضى الراضى بغير سخط
وللعطايا صاحب ومعطي	وناطق بالحق ليس يخطي
لأنه وحي بحق ألهما	صلى عليه ربنا وسلمنا
محمد حق وحق الحق	الدامغ الباطل روح الحق
وأصدق الناس وعين الصدق	وقدم الصدق وخير الخلق
من كل خلق الله أعاى قدما	صلى عليه ربنا وسلمنا
محمد السابق خير سابق	السابق الفائق عبد الخالق
الندب سعد الخلق والخلائق	وحجة الله على الخلائق
من لم يطعه حل في جهنما	صلى عليه ربنا وسلمنا
محمد القاسم للأرزاق	وصاحب المعراج والبراق
وراكب الناقة والبراق	متمم مكارم الأخلاق
وللكرام قد أتى متمماً	صلى عليه ربنا وسلمنا
محمد المدثر المزمّل	مسرى به موحى إليه مرسل
عليه متلو مصلى منزل	عليه مقصوص هو المرتل

صلى عليه ربنا وسلمنا

كم رتل الذكر وكم ترنما

الناسك المبارك المبتهل

محمد المتربص المتوكل

وآل وللسل إمام أول

الخاشع التنزيل والمبتل

صلى عليه ربنا وسلمنا

وكلهم به اقتدى له انتمى

الفصل الرابع عشر

اختصاصه ﷺ بذكر جميع أعضائه في القرآن وبجمال صورته الظاهرة وشدة هيئته

الخصوصية الأولى : اختصاصه بأن الله تعالى ذكر أعضائه ﷺ في القرآن الكريم.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن ربه تعالى كمل صورته الخلقية الظاهرة.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أعطاه الله قوة بدنية معجزة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى حسن الصوت وعلوه إلى درجة الإعجاز.

الخصوصية الأولى

اختصاصه بأن الله تعالى ذكر أعضائه ﷺ في القرآن الكريم

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الخصائص الكبرى : (قَالَ ابْنُ سَبْعٍ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَهُ فِي كِتَابِهِ عَضُوا عَضُوا).

وقال الصالحى في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: (السادسة والتسعون : - أي من خصائصه صلى الله عليه وسلم - وبأنه تعالى وصفه في كتابه عَضُوا عَضُوا ؛ فقال تعالى : في وجهه ﷺ: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ) [البقرة ١٤٤].

وقال تعالى في عينيه ﷺ: (وَلَا تُدْنِ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ) [طه ١٣١] .

وقال تعالى في لسانه ﷺ: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) [الدخان ٥٨].

وقال تعالى في يده وعنقه ﷺ: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء ٢٩].

وقال تعالى في صدره وظهره ﷺ: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ) [الشرح ١، ٢، ٣] .

وقال تعالى في قلبه ﷺ: (نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ) [البقرة ٩٧] .

وقال تعالى في خلقه ﷺ (إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم ٤] .

قلت : وأضيف : وقال تعالى في فؤاده ﷺ: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم (11).

وقال تعالى في الشاء على عقله ﷺ: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) النجم (2).

وقال تعالى في الشاء على منطقته ﷺ: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) النجم (3).

وقال تعالى في الشاء على بصره ﷺ: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) النجم (17).

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بأن ربه تعالى كمل صورته الخلقية الظاهرة

لقد ذكر بعض أهل العلم أن الكمال المعبر في البشر يكون من أربعة أوجه: **كمال الخلق، وكمال الخلق، وفضائل الأقوال، وفضائل الأعمال.**

وهذه الكمالات الأربعة قد اجتمعت في نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أحسن اجتماع وأوفاه، وأحسنه وأسماه.

وحديثنا هنا حول كمال خلقه عليه الصلاة والسلام، فقد كان أحسن الناس وأحلاهم، وأجملهم وأبهاهم، وقرؤوا ما قالت أمّ معبد الخزاعية رضي الله عنها في وصفه؛ فلقد وصفت وجهه، ومنطقه، وشعره، وقامته، وهيئته، فكان مما قالت عنه: إنه "ظاهر الوضاعة، أبلج الوجه، حسن الخلق، وسيم قسيم... إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، فضل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نضمن يتحدثن... غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا."

وقرؤوا كذلك وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نعته عليه الصلاة والسلام؛ فقد وصف اعتدال قامته، وحسن جسمه، ووجهه وكفيه وقدميه، وجمال لون بشرته، وأهداب عينيه وكتفيه.

وقد عرق عليه الصلاة والسلام مرة وهو عند عائشة رضي الله عنها يخصف نعلًا، وهي تغزل غزلًا، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فلما رآته جُهِتَتْ وقالت - كما في البخاري - : والله لو رءاك أبو كبير الهذلي، لَعَلِمَ أنك أحقُّ بشعره من غيرك:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

ومن كمال خلقه صلى الله عليه وسلم: كمال الهيبة التي تبدو عليه، فمن نظر إليه هابه وعظمه، وأجله وفحّمه، دون أن يكون ذلك منه عن كبرٍ وتعاضم.

وهنا ننقل ما ذكره العلامة القاضي أبو الحسن الماوردي : يعدد نتائج جمال صورته صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

1 -السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم : فكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت من هيئته رسل كسرى مع ارتياضهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان صلى الله عليه وسلم في أنفسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وهو صلى الله عليه وسلم لم يتناول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا.

2 -الطلاقة الموجبة للإخلاص ، والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة ، فقد كان محبوبا واستحكمت محبته في القلوب والنفوس حتى لم يقله مصاحب ولا تباعد عنه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ.

3 -حسب القبول الجالب لممايلة القلوب ، حتى تسرع إلى طاعته وتدعن لموافقته . فكان قبول منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته.

4- ميل النفوس إلى متابعته وانقيادها إلى موافقته وثباتها على شدائده .

ذلك بعض ما يتعلق بكمال وجمال بدنه الشريف إجمالا ولكننا نريد في هذه السانحة أن نتحدث عن جمال طلعه البهية فأقول مما جاء في النقول :

وكان أصحابه رضوان الله عليهم يقولون: لربما نظرنا إلى القمر ليلة البدر فنقول: هو أحسن في أعيننا من القمر، وقد وصفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال:

أمينُ مصطفىٍ للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلامُ

ووجه النبي صلى الله عليه وسلم في جماله وإشراقه ونوره وصفائه كان مثل الشمس والقمر، قالت الربيعة بنت معوذ رضي الله عنها: (لو رأيته رأيت الشمس طالعة).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه) رواه الترمذي وصححه الألباني.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان - مضيئة مقمرة - وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر) رواه الترمذي وصححه الألباني.

وجاء في وصف أم مَعْبِدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بخيمتها مهاجراً فقالت: (ظاهر الوضوء، أبلغ الوجه).

الوضوء: الحُسْن والنِّظَافَة والبَهْجَة، أَبْلَجُ الْوَجْهِ: قال البغوي: (تريد مُشْرِقَ الْوَجْهِ مضيئه).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً) رواه البخاري. وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: (وكان إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر) رواه البخاري.

وقد سئل جابر رضي الله عنه: (أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً) رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : "كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول، فردَّ عليه فقال: بل مثل القمر أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال: بل فوق ذلك، وعدَّل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان.. وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة: **(أن رجلاً قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديرًا)**، وإنما قال مستديرًا للتنبيه على أنه جمع الصفتين، لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول أو اللمعان فردّه المسئول ردًّا بليغًا، ولما جرى التعارف في أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبًا الإشراق، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحظة دون غيرهما، أتى بقوله: وكان مستديرًا، إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معا: الحسن والاستدارة.

قال الطيبي: (شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم). وكما وصف الصحابة رضوان الله عليهم وجه النبي صلى الله عليه في حياته، فقد وصفوه كذلك عند مرضه ووفاته، فعن أنس رضي عنه الله قال: **(فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة (في مرض موته) ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف)** رواه البخاري.

قال النووي: "عبارة عن الجمال البارِع، وحسن البشرة، وصفاء الوجه واستنارته". وإذا كان هذا الصفاء والجمال وحسن البشرة في يوم مرضه ووفاته، فكيف كان أيام شبابه وصحته صلى الله عليه وسلم؟! لقد عاش نبينا صلى الله عليه وسلم طيباً ومات طيباً، كما قال أبو بكر رضي الله عنه: **(بأي أنت وأمي، طُبْتُ حَيًّا وميتاً)** رواه البخاري.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقَتْ مُبَرَّرًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

فائدة: من المعلوم والثابت أن يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيَ يَوْسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ) رواه مسلم. ولكنه مع ذلك ما فاق جماله جمالاً وحُسن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر: "وهذا ظاهره أن يوسف عليه السلام كان أحسن من جميع الناس، لكن روى الترمذي من حديث أنس: (ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً، وأحسنهم صوتاً)، فعلى هذا فيُحمل حديث المعراج على أن المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤيده قول من قال: إن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه."

وفي بدائع الفوائد لابن القيم: "قول النبي صلى الله عليه وسلم عن يوسف عليه السلام: (أوتي شطر الحسن) قالت طائفة المراد منه: أن يوسف أوتي شطر الحسن الذي أوتيته محمد صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية في الحسن، ويوسف بلغ شطر تلك الغاية."

وفي شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: "قال ابن المنير وغيره في حديث: (أُعْطِيَ يَوْسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ)، يتبادر إلى بعض الأفهام أن الناس يشتركون في البعض الآخر، وليس كذلك، بل المراد أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيته نبينا صلى الله عليه وسلم، فإنه بلغ الغاية ويوسف شطرها."

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أعطاه الله قوة بدنية معجزة

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عرض على ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف الإسلام، ودعاه إلى الله، وكان ركانة من أشد

العرب لم يُصرع قطُّ، فقال: لا أسلم حتى تدعو الشجرة فتقبل إليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وهو بظهر مكة للشجرة: **أقبلني بإذن الله، وكانت طلحة - شجرة - أو سمرة فأقبلت،** وركانة يقول: ما رأيت كاليوم سحرًا أعظم من هذا مُرّها فلترجع، فقال لها رسول الله صلى الله عليه: **ارجعي بإذن الله، فرجعت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:** **أسلم،** قال: لا والله حتى تدعو نصفها فيقبل إليك ويبقى نصفها في موضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لنصفها: أقبل بإذن الله، فأقبل** وركانة يقول: ما رأيت كاليوم سحرًا أعظم من هذا مُرّها فلترجع، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ارجعي بإذن الله، فرجعت** إلى مكانها، فقال له رسول الله صلى الله عليه: **أسلم،** فقال له ركانة: لا، حتى تصارعني فإن صرعتني أسلمت، وإن صرعتك كفت عن هذا المنطق، قال: **فصارعه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه وأسلم ركانة بعد ذلك**؛ رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وعن أنس بن مالك قال: **(كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنَّ إحدى عشرة)** قال قتادة - أحد الرواة - قلت لأنس: أوكأن يطيقه، قال: **(كنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين)**، وقال سعيد عن قتادة: إن أنسًا حدثهم تسع نسوة) رواه البخاري.

وما أجمل قول الشاعر:

ملاً الوجود محاسناً وسناء	وفضائلاً ومناقباً شماء
وأتى إلى الأيام رحمة راحمٍ	كشفت بنور ضيائها الظلّماء
حسّنت به الدنيا وزان سماءها	أندأؤه وكسا القلوب رواء
من غاره انبعثت أشعة شمسه	فتوهّج الكونُ البهيم ضياء

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى حسن الصوت وعلوه إلى درجة الإعجاز

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ في العشاء: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1]، فما سمع أحداً أحسن صوتاً منه؛ رواه البخاري.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْطَرُونَ﴾ [الطور: 35 - 37]، كاد قلبي أن يطير)؛ رواه البخاري.

وعن عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمئى، فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا، وَكُنَّا جُمُوعٌ قَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ)؛ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

ثالثاً : شدة هيئته صلى الله عليه وسلم على نفوس كل من رآه ¹:

الهيبة: لها معنيان في اللغة: الإجلال، والمخافة. وهي بالمعنى الأول، عندما يكون مبعثها الحب والتقدير والاحترام. وهي بالمعنى الثاني، عندما يكون مبعثها الخوف، من جراء حالة مصطنعة يحيط بعض الظلمة أنفسهم بها. ولقد كان صلى الله عليه وسلم مهيباً بالمعنى الأول الذي وصفه به عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى.

¹ - مقال هيبة النبي صلى الله عليه وسلم - أ. صالح بن أحمد الشامي - شبكة الألوكة.

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يومًا بالصدقة، فجاءت زينب امرأة عبد الله بن مسعود تسأله: هل يجزئ عنها أن تتصدق على زوجها؟ ووقفت بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبت من بلال أن يكفيها هذه المهمة، وقالت: **(وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة)** أخرجه الشيخان.

وهذا أبو مسعود البدرى يضرب غلامًا له بالسوط، قال: فسمعت صوتًا من خلفي: "اعلم أبا مسعود، لله أقدر عليك، منك عليه" فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني وهو يقول: "اعلم أبا مسعود.." فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسقط من يدي السوط، من هيئته، وقلت: هو حر لوجه الله، فقال: **(أما لو لم تفعل للفحتك النار)** أخرجه مسلم.

وفي حديث ذو اليدين : بشأن السهو في الصلاة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر أو العصر، فسلم عن ركعتين، **(وخرج فقام على خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها، وخرج الناس فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه... ثم كلمه ذو اليدين) متفق عليه.**

وهكذا كان أقرب الناس إليه - أبو بكر وعمر - أعظمهم هيبة له ؛على أن هذه الهيبة، الناتجة عن الحب والتقدير والاحترام، لم تكن مانعة الناس من الحديث معه والقرب منه، وبخاصة أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

ويحدثنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن ذلك فيقول: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش، يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن فلما استأذن عمر، قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: (عجبت من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب" فقال عمر: فأنت يا رسول الله، كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم) متفق عليه.

وواضح من قولهن: "أنت أفظ وأغلظ" أن هيبتهن لعمر فيها بعض المعنى الثاني للهيئة بينما تظل هيئته صلى الله عليه وسلم في دائرة المعنى الأول.

الفصل الخامس عشر

اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات والدلائل الباهرات الحسية والمعنوية

مدخل : بيان حقيقة المعجزة.

المبحث الأول : المعجزات الحسية:

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بتسليم الحجر عليه قبل البعثة.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بانشقاق القمر آية له.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بشهادة الشجر له بالنبوة والرسالة.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بحنين الجذع له واشتياقه له.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ تكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان .

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بتحريك الجبل فرحاً به ﷺ.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بسقوط الأصنام بمجرد إشارته ﷺ.

المبحث الثاني : معجزاته المعنوية ﷺ :

الخصوصية الأولى : أخلاقه العظيمة ﷺ.

الخصوصية الثانية : إن ما جاء به الرسول ﷺ من تشريع يدل أنه أرسل للعالمين

الخصوصية الثالثة : أنه ﷺ قد نشأ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ومات كذلك.

الخصوصية الرابعة : اختُصَّ ﷺ باختيار أصحابه.

الخصوصية الخامسة : لقد أوقع الله حبه ﷺ العظيم في قلوب جميع من آمنوا به وصحبوه.

الخصوصية السادسة : لم يحفظ التاريخ سيرة رجل في العالم كما حفظ سيرته ﷺ.

الخصوصية السابعة : لم يوجد رجل في الأرض كلها لا يزال المؤمنون يقتدون به ﷺ في كل حركاته وسكناته.

الخصوصية الثامنة : لم يوجد على ظهر الأرض من نال من الحب والتكريم والتعظيم مثله ﷺ.

مدخل

بيان حقيقة المعجزة

المعجزة : هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي من أنبيائه ليتحدى بها قومه، وسميت بذلك لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وهي بمثابة صدق هذا العبد في كل ما أخبر به عن الله، كما قال شيخ الإسلام.

ولم يرد لفظ المعجزة في القرآن الكريم، وإنما الوارد هو لفظ الآية، وهي العلامة الدالة على الشيء، وقد أيد الله جميع الأنبياء بمعجزات منها ما ذكر في القرآن أو في السنة، ومنها ما لم يذكر.

قال الشافعي رحمه الله : (ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقلت أعطى عيسى إحياء الموتى فقال : أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حين بني له المنبر حين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك) هذا لفظه رضي الله عنه.

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله : وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي في الحقيقة معجزة لخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن كلا منهم بشر بمبعثه ، وأمر بمتابعته ، كما قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ

ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَّرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران : 82 ، 81] ¹.

وقال ابن كثير أيضاً: قال شيخنا العلامة أبو المعالي محمد بن علي الأنصاري الزملاكي ومن خطّه نقلت: (وبيان أنّ كل معجزة لنبيّ فلنبيّنا أمثالها إذا تمّ يستدعي كلاماً طويلاً وتفصيلاً لا يسعه مجلدات عديدة) البداية والنهاية (6/259) .

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: (قال العلماء: ما أُوتي نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم نظيرها أو أعظم منها) ².

أقسام المعجزات النبوية: تنقسم إلى قسمين : معنوية وحسية:

¹ - البداية والنهاية. (6/308)

² - الخصائص الكبرى - للسيوطي (2/304)

المبحث الأول

المعجزات الحسّية

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بتسليم الحجر عليه قبل البعثة.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بانشقاق القمر آيةً له.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بشهادة الشجر له بالنبوة والرسالة.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بحنين الجذع له واشتياقه له.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ تكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان .

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بتحريك الجبل فرحاً به ﷺ.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بسقوط الأصنام بمجرد إشارته ﷺ.

المعجزات الحسّية : وهي كثيرة جدا، وهي كلها من خصائصه التي اختصه الله تعالى بها دون النبيين عليهم السلام ونحن نكتفي بنزر يسير منها حسب ما يقتضيه المقام:

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات الحسّية

لقد بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل عليهم السلام معجزة، وأبهرهم آية، فله من الدلائل والمعجزات ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ.

ثم اختلفوا في عددها فمنهم من أوصلها إلى ثلاثة آلاف كما قال ابن حجر، ومنهم من قال دون ذلك، **حتى قال البيهقي:** (إنها بلغت ألفا)، **وقال ابن تيمية:** (كان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته . صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات).

وقال ابن حجر: (وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنها تزيد على ألف ومائتي).

وقال الرازي : إن الله سبحانه ذكر تشريف موسى بتسع آيات بينات ، فلأن يحصل التشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات الكثيرة كان أولى .

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بتسليم الحجر عليه قبل البعثة

عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)** رواه مسلم.

وعن علي رضي الله عنه قال : (كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله) رواه الترمذي .

قال العز بن عبد السلام في كتابه بداية السؤل : (ولم يثبت لواحدٍ من الأنبياء مثل ذلك).

الخصوية الثالثة

اختصاصه ﷺ بانشقاق القمر آية له

من المعجزات التي أئد الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، معجزة انشقاق القمر إلى شقين، حتى رأى بعض الصحابة جبل حراء بينهما. وكان وقوع هذه المعجزة قبل الهجرة النبوية عندما طلب منه كفار مكة آية تدل على صدق دعوته؛

قال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) القمر (1-2).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرقتين فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اشهدوا). البخاري).

وعنه أيضاً - قال: (انشق القمر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فصار فرقتين، فقال لنا: اشهدوا، اشهدوا) البخاري .

ولقد كان كفار قريش يظنون أن كل معجزة من النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يصنعها ويأتي بها، وليس الله هو الذي يأتي بها، فأرادوا أن يتحدوه فطلبوا منه آية سماوية. واتفقوا

على انشقاق القمر، وتواعدوا معه على ليلة فلما جاء الميعاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انظروا، فنظروا جميعاً فرأوا أن القمر انشق شقتين، نزلت كل واحدة وحدها، فقال صلى الله عليه وسلم: اشهدوا. فقالوا: لقد سحر الأرض والسماء، إن هذا سحر مستمر).

وحينما انشق القمر وقال الكافرون: سحرنا محمد. قال بعضهم: إن كان قد سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فاسألوا أهل الآفاق وأهل الأسفار هل رأوا ذلك فلما سألوهم قالوا: نعم رأينا.

ونقل عن الخطابي قوله: (انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "وقد استبعد هذا كثير من الملحدة، وبعض أهل الملة ، من حيث إنه لو كان كذلك ، للزم مشاركة جميع أهل الأرض في إدراك ذلك ؟

والجواب: أن هذا إنما كان يلزم، لو استوى أهل الأرض في إدراك مطالعه في وقت واحد، وليس الأمر كذلك، فإنه يطلع على قوم ، قبل طلوعه على آخرين.

وأيضاً: فإنما كان يلزم ذلك ، لو طال زمان الانشقاق، وتوفرت الدواعي على الاعتناء بالنظر إليه، ولم يكن شيء من ذلك، وإنما كان ذلك في زمن قصير ، شاهده من نبيّه له... ثم إنها كانت آية ليلية، وعادة الناس في الليل كونهم في بيوتهم نائمين، ومعرضين عن الالتفات إلى السماء إلا الآحاد منهم، وقد يكون منهم من شاهد ذلك، فظنه سحاباً حائلاً، أو خيالاً حائلاً... وعلى الجملة : فالموانع من ذلك لا تنحصر، ولا تنضب.

والذى يحسم مادة الخلاف بين أهل ملتنا أن نقول: لا بعد في أن يكون الله تعالى خرق العادة في ذلك الوقت، فصرف جميع أهل الأرض عن الالتفات إلى القمر في تلك الساعة ، لتختص مشاهدة تلك الآية بأهل مكة ، كما اختصوا بمشاهدة آياته؛ كحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وكلام الشجر، إلى غير ذلك من الخوارق التي شاهدها، ونقلوها إلى غيرهم).¹

وقد أظهرت بعض الدراسات الحديثة التي اعتنت بدراسة سطح القمر أنه يوجد به آثار انشقاق وانقسام، مما كان له أثر في إسلام البعض لما علم أن القرآن تكلم عن ذلك قبل قرون ، فسبحان الذي أظهر الدلائل والآيات الدالة على ألوهيته وعظيم خلقه).

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بشهادة الشجر له بالنبوة والرسالة

وروى البزار والبيهقي عن عمر، ان ثلاثة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين قالوا: كان الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم قد حزن حزناً شديداً من تكذيب الكفار له (قال: اللهم! أرني آية لا أبالي من كذّبي بعدها). وفي رواية أنس (ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا: أتحب ان أريك آية. قال: نعم! فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي، فقال: أدع تلك الشجرة، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال: مُرها فلترجع، فعادت الى مكانها) إسناده حسن .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فدنا منه اعراي، فقال: يا اعراي: اين تريد؟ قال: الى أهلي. قال: هل لك الى خير؟ قال:

¹ -المفهم فيما أشكل من صحيح مسلم - للعلامة القرطبي - 404 - 403 / 7) .

وما هو؟ قال: تشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله. قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة، وهي بشاطئ الوادي، فاقبلت اتخذ الأرض، حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال. ثم رجعت الى مكانها) صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال : أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى انتهى إليه فقام بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ارجع إلي مكانك فرجع إلي مكانه فأسلم الأعرابي) رواه أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم. وهو صحيح الإسناد.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بحنين الجذع له واشتياقه له

عن جابر رضي الله عنه : (كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جَذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجَذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ) رواه البخاري.

صَوْتِ الْعِشَارِ: النَّاقَةُ الَّتِي بَلَغَتْ فِي حَمْلِهَا الشَّهْرَ الْعَاشِرَ، وَهُوَ صَوْتُ كَصَوْتِ الْحَتِينِ وَالْحُزْنِ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَتْ الصَّوْتُ. **قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -** : (وَلَمْ يَثْبُتْ لَوَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ ذَلِكَ).

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بتكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان رضي الله عنه

عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: كاتب يا سلمان، فكاتبني صاحبي على ثلثمائة نخلة أحبيها له بالفقير وأربعين أوقية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أعينوا أحاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى إذا اجتمعت لي ثلثمائة ودية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأني فأكون أنا أضعها بيدي، قال: ففقرت لها وأعاني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئت فآخبرته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها، فجعلنا نقرّب إليه الودي، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما مات منها ودية واحدة، فأدّيت النخل وبقي عليّ المال، فأني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟! قال: فدعيت له، قال: خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟! قال: (خُذها؛ فإن الله سيؤدّي بها عنك)، قال: (فأخذتها، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد) أخرجه أحمد واللفظ له، والبخاري والطحاوي في شرح مشكل الآثار؛ وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند: إسناده حسن.

الخصوصية السابعة

اختصاصه بتحريك الجبل فرحاً به صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال: (اثبت، عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان) رواه البخاري.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مثله وفيه (ومعه أبو بكر وعمر وعثمان عليّ وطلحة والزبير) فقال: (اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد).

الخصوصية الثامنة

اختصاصه بسقوط الأصنام بمجرد إشارته صلى الله عليه وسلم

عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلى كل صنم بعصا، فقال: (جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إِنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً) [سورة الإسراء 81] (جاء الحقُّ وَمَا يُبْدِئُ الباطِلُ وَمَا يُعِيدُ)) [سبأ: 49] رواه الشيخان.

وفي لفظ: (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فأخذ بقوسه فجعل يهوي إلى صنم صنم وهو يهوي حتى مرَّ عليها كلّها).

وفي ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثَّواب أو العقابا

فائدة: قال أبو نجاح رحمه الله تعالى :

ومعجزاتُ ذا النبيِّ أكثرُ مِنْ معجزاتهم كما قد قرَّروا

فقلِّلَ ألفٌ عدَّها معروفًا وقيل بل ثلاثةُ ألُوفًا

المبحث الثاني

معجزاته المعنوية ﷺ

الخصوصية الأولى : أخلاقه العظيمة ﷺ.

الخصوصية الثانية : إن ما جاء به الرسول ﷺ من تشريع يدل أنه أرسل للعالمين

الخصوصية الثالثة : أنه ﷺ قد نشأ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ومات كذلك.

الخصوصية الرابعة : اختُصَّ ﷺ باختيار أصحابه.

الخصوصية الخامسة : أوقع الله حبه ﷺ العظيم في قلوب جميع من آمنوا به وصحبوه.

الخصوصية السادسة : لم يحفظ التاريخ سيرة رجل في العالم كما حفظ سيرته ﷺ.

الخصوصية السابعة : لم يوجد رجل في الأرض كلها لا يزال المؤمنون يقتدون به ﷺ في كل حركاته وسكناته.

الخصوصية الثامنة : لم يوجد على ظهر الأرض من نال من الحب والتكريم والتعظيم مثله ﷺ.

الخصوصية الأولى

أخلاقه العظيمة ﷺ

قال العلماء : نشأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أول أمره إلى آخر لحظة من لحظاته متحلياً بكل خلق كريم، مبتعداً عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس، وأفصحهم لساناً، وأقواهم بياناً، وأكثرهم حياءً، يُضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف، أدبه الله فأحسن تأديبه، فكان أرجح الناس عقلاً، وأكثرهم أدباً، وأوفرهم حلماً، وأكملهم قوة وشجاعة، وأصدقهم حديثاً، وأوسعهم رحمة وشفقة، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم منزلة، ويكفيه شهادة ربه عز وجل له بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:4).

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول - صلى الله عليه وسلم - : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) متفق عليه.

وكيف لا يشهد له العدو والصديق بمكارم الأخلاق، وقد هذبه القرآن وربّاه، ولما سأل سعد بن هشام ، أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن خلق النبي - صلى الله عليه وسلم -؟، قالت له: (ألست تقرأ القرآن؟)، قال: بلى، قالت: فإن خلق النبي - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن) رواه مسلم .

وكان حسن أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - يشمل ويعم جميع من حوله، فكان - صلى الله عليه وسلم - يعامل زوجته بالإكرام، والود والحب، والتلطف والمداعبة، ويقول: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي ، وكان يعين أهله ويساعدهم، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيّط ثوبه، ويخصف نعله) رواه أحمد.

فكان عطوفا ودودا طوال حياته مع أهله، حتى مع مرضعته حليلة السعدية . رضي الله عنها،
كان يفرش لها رداءه، ويعطيها من الإبل ما يغنيها في السنة الجذباء.

وكذلك كان مع أصحابه يؤلفهم ولا ينفهم، ويتفقدهم ويعودهم، ويعطي كل من جالسه نصيبه
من العناية والاهتمام، حتى يظن جلسه أنه ليس أحداً أكرم منه، وكان لا يواجه أحداً منهم بما
يكره.

وكان . صلى الله عليه وسلم . مع كثرة أعبائه ومسئوليته، يداعب طفلاً ويسأله عن عصفور لديه،
فعن أنس . رضي الله عنه . قال : (**كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان
لي أخ يقال له أبو عمير، كان يقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير**) رواه البخاري . النغير
: طائر صغير يشبه العصفور .

بل شمل عطفه وودده وحسن خلقه الحيوان، فكان يقرب للهرة الإناء لتشرب .

ومن حياته وسيرته صلى الله عليه وسلم . نرى حسن أخلاقه حتى مع أعدائه، فعن عائشة .
رضي الله عنها .: (أن يهود أتوا النبي . صلى الله عليه وسلم .، فقالوا السام – الموت – عليكم،
فقالت عائشة . رضي الله عنها .: عليكم، ولعنكم الله وغضب الله عليكم، فقال . صلى الله عليه
وسلم . : (**مهلا يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، قالت: أولم تسمع ما
قالوا؟، قال: أولم تسمعي ما قلت؟، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم
في**) رواه البخاري .

بل انظر إلى شفقتة . صلى الله عليه وسلم . مع من آذاه.. فعن ابن مسعود . رضي الله عنه .
قال: (**كأني أنظر إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يحكي نبيا من الأنبياء (يعني نفسه)،**

ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) رواه البخاري.

وحينما تعرض له أهل الطائف بالضرب والإيذاء، جاءه ملك الجبال ليطبق عليهم الجبلين، فرفض النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقال : **(بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)** رواه البخاري .

قال القاضي عياض رحمه الله: وأما الأخلاق المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه جزء من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق، فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وسيرة الرسول وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آيات).

وبالجملة فكل خلق محمود يليق بالإنسان فله - صلى الله عليه وسلم - منه القسط الأكبر، والخط الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك القاضي والداني، والعدو والصدیق، ومن ثم كانت مكارم الأخلاق، سمة بارزة في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وفعله وسيرته .

الخصوصية الثانية

إن ما جاء به الرسول ﷺ من تشريع يدل أنه أرسل للعالمين

ما أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم من تغيير في العالم كله ، يجعل المرء يوقن أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من عنده بل هو من عند الله ، وإن تفاني أصحابه وحرصهم على اتباع سنته، والتزام ما لم يفرض عليهم التزامه ، وتفانيهم في سبيل دعوته ، وفدائهم له بحياتهم ، وتفضيله على آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأزواجهم خير دلائل على نبوة الرسول وتحديثه بما كان وما سيكون مما أوحى إليه وغير ذلك من الدلائل القاطعة ، كل ذلك يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا فضلاً على أنه أتى بدين عظيم في بنائه العقائدي والتشريعي: فإنه وصف الله بما لا يستطيع كل الفلاسفة والحكماء أن يأتوا بوصفٍ لله ينزهونه به كما أخبر به هذا النبي عليه الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى بل لا يمكن أن يتصور عقل للبشر أن يصل إلى وصفٍ موجودٍ في كمال القدرة والعلم والعظمة والهيمنة على الخلق والإحاطة بكل صغيرة وكبيرة في الكون، هذا مع الرحمة الكاملة، كما جاء وصفُ الله على لسان هذا النبي صلى الله عليه وسلم. وليس في مقدور أحد من البشر أن يضع تشريعاً كاملاً لكل أعمال الإنسان في الأرض يقوم على العدل والقسطاس، والرحمة، والإنصاف كالتشريع الذي جاء به هذا النبي الكريم.

إن البناء التشريعي والعقائدي للإسلام يشبه البناء الهندسي البديع للسموات والأرض وكل ذلك يدل على أن من خلق السموات والأرض هو الذي أنزل هذا التشريع العظيم والدين القويم... إن درجة الإعجاز في التشريع الإلهي المنزل على محمد كدرجة الإعجاز في الخلق الإلهي للسموات والأرض... فكما أن البشر لا يستطيعون خلق هذا الكون فكذلك البشر لا

يستطيعون الإتيان بتشريع كتشريع الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وكما أن كل شيء في موضعه الصحيح في الخلق فإن تشريع الله أنزل على محمد في كل جزء منه في مكانه الصحيح من حيث ما يجب أن يكون عليه عمل الإنسان وكل زيادة أو حذف أو اشتراط أو إلغاء هو عبث وتخريب وتدمير لبنائه المعجز.

الخصوصية الثالثة

أن النبي ﷺ نشأ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ومات كذلك

لقد بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، لقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: 48].

وكونه عليه الصلاة والسلام أمياً يعد معجزة من معجزاته الدالة على صدقه، وأن ما جاء به من عند الله تعالى لا من عند نفسه، لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) [الأعراف: 157].

ومعنى الآية : لو أنك قارئ وكاتب لقالوا: هذا القرآن من الثقافات التي اطلع عليها وقرأها وتعلمها من الكتب، ثم جاء وكتب لنا هذا القرآن، فقال: أنت معروف من أول أمرك، لا قراءة ولا كتابة، فأنت أمي؛ لأن هذا يكون أبلغ، حتى القرآن لا يمكن لأحد أن يقول: تعلمه من غيره، وأنه كان يقرأ كتب ثقافات، فهو لا يعرف القراءة أصلاً، لا يوجد إلا مصدر واحد هو: الوحي، من أين تبيته هذه الأخبار؟ أخبار السابقين بهذه التفصيلات، لا يعرف يقرأ ولا يكتب، فهذه ليست منقصة بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام، بل بالعكس هي في حقه كمال، فلو كان يعرف القراءة والكتابة، كان فتح باباً كبيراً للافتراء عليه.

فالآية واضحة تمام الوضوح، ظاهرة كمال الظهور أنه كان نبياً أمياً، وتكاد تطبق مجامع اللغة وعلماء اللغة على أن (الأمي) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب.

قال الإمام الرازي: (فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون، والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً، قال أهل التحقيق: وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه: **الأول:** أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه، ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، فإنه لا بد أن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب، كان يقرأ يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير، فكان ذلك من المعجزات وإليه الإشارة بقوله تعالى: (سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى) [الأعلى: 6]،

والثاني: أنه لو كان يحسن الخط والقراءة، لصار متهماً في أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات).

ولو تتبعنا معظم ما كتبه المفسرون في تفسير (الأمي)، فإننا لا نجدهم يخرجون عن هذا التفسير، ومع ذلك يحاول المتشككون أن يأتوا بتفسيرات بعيدة غريبة لكلمة (الأمي) مثل أنه منسوب إلى أم القرى، أو أنه منسوب إلى الأمة، فهل من يدعي أن هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (أمي)، أعلم من علماء اللغة العارفين بمعانيها، أو أعلم من المفسرين الذين يكادون يتفقون على أن معنى (الأمي) أنه هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، فهل خفي عن كل هؤلاء العلماء المعنى الحقيقي لكلمة

(أُمي) طيلة هذه السنين، حتى يأتي هذا المتشكك لكي يكشف النقاب عن معناها الحقيقي؟ إن هذا لشيء في منطق العقول عجيب.

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة:2].

وقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آل عمران:164].

ولو كان عليه الصلاة والسلام قارئاً كاتباً لادَّعى المشركون أن ما جاء به من اختراعه ومن بنيات أفكاره.

وعن عائشة رضي الله عنها - في حديث بدء الوحي - قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة حتى جاءه الحق و هو في غار حراء فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال لي اقرأ ، قال : قلت ما أنا بقارئ) متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: (إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة لَا نَكْتُب وَلَا نحسب، الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) رواه البخاري.

وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام لا يقول الشعر: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) [يس:69] فهو لم يكن عالماً لا بصنوفه ولا بأنواعه، ولذلك لما أراد أن يستشهد ببيت كسره

وقدّم وأخر، ولما قال شيئاً قال رجزاً يسيراً، وشعراً غير مقصود، وشيئاً أتى وجرى على اللسان من غير قصد، مثل قوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

هذا من محور الشعر وليس من القصائد، وإذا جاء بيت أو بيتين من أبيات غيره كسرهما وكسر الوزن: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) [يس:69].

الخصوصية الرابعة

اختصّ النبي ﷺ باختيار أصحابه

إن تعالى شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم بأن اختار له خيرة الأصحاب ولذلك زكاهم الله سبحانه وتعالى وأثنى عليهم، كما أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة كما وردت الآثار عن الأخيار بالثناء عليهم ومعرفة فضلهم ومنزلتهم في الأمة:

فمما جاء في القرآن الكريم :

قال تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح:29].

وقال تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة:117].

وَرَكَّى أَصْحَابَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [التوبة:100].

ومما جاء في الأحاديث النبوية:

1/ في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ).

2/ وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً).

3/ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بَغْضُ الْأَنْصَارِ). رواه البخاري.

4/ عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحْبَبَهُمْ فَبِحَبِي أَحِبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) رواه الإمام أحمد.

5/ عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) رواه مسلم.

ومما جاء في الآثار:¹

1/ قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه)².

وقال أيضًا مخاطبًا أصحابه: (أنتم أكثر صلاة، وأكثر صيامًا، وأكثر جهادًا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة)³.

¹ - لقد ألف العلماء عددا كبيرا في بيان فضائل الصحابة ومناقبهم والدفاع عنهم ؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر : تحت عنوان : (فضائل الصحابة) كتب عدد من العلماء منهم : الإمام أحمد بن حنبل ؛ والإمام أحمد بن شعيب النسائي ؛ وعبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن فطيس؛ وأبو القاسم عمر بن علي الديلمي. وهناك كتب أخرى تحمل عناوين متعددة ؛ منها : غيث السحابة في فضل الصحابة - تأليف: يوسف بن محمد العبادي ؛ الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم - تأليف: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد الزبيدي ؛ در السحابة في مناقب الصحابة والقرابة - تأليف: محمد بن علي الشوكاني ؛ فضائل الصحابة ومناقبهم - تأليف: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ؛ وغيرها.

وهناك كتب أخرى في الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم ؛ منها: العواصم من القواصم - تأليف: القاضي أبو بكر بن العربي ؛ والنهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب - تأليف: الحافظ ضياء الدين المقدسي؛ ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ والصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال والزندقة - تأليف: ابن حجر الهيتمي. وغيرها.

² - أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (6 / 84)، برقم 3600، والبغوي في "شرح السنة" (1 / 214)، برقم (105) وقال محققو المسند: إسناده حسن.

³ - الجامع لشعب الإيمان - للبيهقي (15 / 145)، برقم 10152، وقال محققه: إسناده صحيح.

2/ وقال الحسن البصري - رحمه الله -: (إنَّ أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أكياساً، عملوا صالحاً، وأكلوا طيباً، وقدموا فضلاً، لم يُنافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاظمت في أنفسهم حسنة عملوها، ولا تصاغت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها)¹.

ونقول ختاماً : أهل السنة والجماعة يُحِبُّون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويفضِّلونهم على جميع الخلق بعد الأنبياء بل نصوا على ذلك في كتب العقيدة.

قال الطحاوي رحمه الله: (ونحب أصحاب رسول الله - ﷺ -، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد استوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق)².

واعلن أنَّ محبتهم من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبة الله، وهم يُثَنُّون - أهل السنة والجماعة - على الصحابة، ويترَضُّون عنهم، ويستغفرون لهم؛ وذلك للأمور التالية:

¹ - الجامع لشعب الإيمان - للبيهقي (15/ 144)، برقم 10149، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

² - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للعلامة اللالكائي.

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: **(خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).**

ثانياً: هم الوساطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة؛ من الصدق والنصح والأخلاق والآداب، التي لا توجد عند غيرهم¹.

الخصوصية الخامسة

أوقع الله حبه العظيم في قلوب جميع من آمنوا به وصحبوه ﷺ

لقد أحبه الصحابة رضي الله عنهم حبا عظيما حتى إن أحدهم كان يفديه بنفسه وأمه وأبيه. وما زال الذين آمنوا به لليوم يعظمونه ويحبونه، ويتمنى الواحد منهم أن يراه مرة واحدة ولو قدَّم في سبيل ذلك أهله وماله.

قال الذهبي - رحمه الله - في "سير أعلام النبلاء"، وهي جميلة رائعة، والذهبي إمام من أهل السنة، وجهبذ من جهايزة النقد من أئمة الجرح والتعديل، لا يقول كلاماً عاطفياً دون أن يكون له الأساس والعلم، يقول في ترجمة عبيدة بن عمر السلماني - من التابعين من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه - يقول: قال محمد: قلت لعبيدة: إن عندنا من شعر رسول الله -

¹ - مقال : فضل الصحابة - د. أمين بن عبد الله الشقاوي - شبكة الألوكة الشرعية.

صلى الله عليه وسلم - شيئًا من قَبْلِ أنس بن مالك، فقال: لئن يكون عندي منه شعرة أحب إليّ من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

أي أحب إليّ من كل ذهب وفضة في الأرض، قال الذهبي: "قلت: هذا القول من عبدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس."

ورحم الله القائل :

بأبي وأمي أنت يا خير الورى	وصلاة ربي والسلام مُعطرا
يا خاتم الرسل الكرام محمد	بالوحي والقرآن كنتَ مُطهرا
لك يا رسول الله صدق محبة	وبفيضها شهد اللسان وعبرا
لك يا رسول الله صدق محبة	فاقت محبة من على وجه الثرى
لك يا رسول الله صدق محبة	لا تنتهي أبداً ولن تتغيرا

نماذج متعددة في محبته صلى الله عليه وسلم :

من الشباب: علي بن أبي طالب ونومه في فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أن أراد المشركون قتله، وسئل علي بن أبي طالب: كيف كان حبكم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.

من الرجال: قصة قتل زيد بن الدثنة، قال ابن إسحاق: اجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي

هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي، قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً، كحب أصحاب محمد محمداً.

أخرج الطبراني وحسنه عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة، خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) [النساء: 69].

من النساء: أخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيهِ؛ حتى أنظر إليه.

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مُصيبة بعدك جَلَل.

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقيل بيت أم أنس بن مالك - رضي الله عنهما - فغرق، فجاءت بقارورة، فجعلت تأخذ العرق فيها، فاستيقظ - عليه الصلاة والسلام - فقال: (يا أمّ سليم، ما هذا الذي تصنعين؟) قالت: عرقك نجعله في طيننا، وهو أطيب عندنا من الطّيب.

وأخيراً : أبشّر أيها المحب، أنتَ مع مَنْ تُحِب: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
(جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب
قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال: المرء مع مَنْ أحب) رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (متى الساعة؟ قال:
ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنّي أحبّ الله
ورسوله، فقال: أنت مع من أحببت) رواه البخاري.

قال أنس رضي الله عنه: (فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن
أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم". وقال الصحابة رضوان الله عليهم: "ما
فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث) وذلك لشدة حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم.

أبرُّ بني الدنيا وأعظمُ من شكرٍ	وأكرم مخلوقٍ على سائر البشرِ
به الله قد أهدى إلى الناس رحمةً	وبه ضياءُ الحق في الكون قد ظهر
تبارك ربي إذ أعد محمداً	وزكاه بالتقوى وبالعلم والخبر
فباتوا اعتقاد الحق من أخلاقه	وخير عباد الله أقدر من صبر
جهيراً بأمر الله يدعوا مبشراً	وينصح من لاقاه بالآي والنذر
حلى بإصلاح الفساد ومرشداً	إلى سبل الخيرات في البدو والحضر
دعا الناس للتوحيد والحب والوفا	وجاد بالحسنى وأقنع بالأثر

وأقدم مقدام وأحلم من قدر

ذر الهمة القعساء بعض صفاته

فأنبت نبتاً طيب الأصل والثمر

رعاه إله الكون خير رعاية

الخصوصية السادسة

لم يحفظ التاريخ سيرة رجل في العالم كما حفظ سيرته ﷺ

لما كان سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء الأرض كلها ولم تعرف الأرض كلها رجلاً يذكره المؤمنون في كل صباح ومساء ويسلمون ويصلون عليه مرات عديدة كل يوم، وذلك بملء قلوبهم، ومحبة أنفسهم.

قال العلماء : لأهمية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في حياة الصحابة وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا يتواصون بتعلمها وتعليمها لأبنائهم، فكان زين العابدين بن علي بن الحسين يقول: (كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن).

وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله تعالى: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها).

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يُمزج بالرقائق والنظر في سيرة السلف الصالح، وأصلح سيرة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم".

وقال أيضاً: (وأصل الأصول العلم، وأنفع العلوم النظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (لأنعام:90).

وكان الزهري رحمه الله تعالى يقول : (علم المغازي والسرايا علم الدنيا والآخرة).

وقال سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل).

وقال ابن القيم في كتابه - زاد المعاد في هدي خير العباد - : (ومن هاهنا تعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل.. وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاحها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل، ومستكثر، ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى - في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - : (تعلق بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكام كثيرة، فيجب كتبها والحفظ لها". وقال الشيخ علي الطنطاوي في كتابه "رجال من التاريخ": يجب على كل رب أسرة أن يكون في بيته كتاب جامع من كتب السيرة النبوية، وأن يقرأ فيه دائماً، وأن يتلو منه على أهله وأولاده، وأن يجعل لذلك ساعة كل يوم، لينشئوا على معرفة سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فإن سيرته ينبوع الصافي لطالب الفقه، والدليل الهادي لباغي الصلاح، والمثل الأعلى للأسلوب البليغ، والدستور الشامل لكل شعب الخير).

وقال أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى: (إن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم رضي الله عنهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية

تقتبس منها شعلة الإيمان وتشتعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفائها وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذ الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها).

وقال الدكتور محمد أبو شهبه رحمه الله تعالى - في كتابه "السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة-: (إن خير ما يتدارسه المسلمون، ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويعنى به الباحثون والكاتبون دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلّم ومثقف، ومهذب ومؤدّب، وأصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات، الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم، ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة - عقل وحكمة -، وإمامة وقيادة، وعدل ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد).

الخصوصية السابعة

لم يوجد رجل في الأرض كلها لا يزال المؤمنون يقتدون به في كل حركاته وسكناته ﷺ

فينامون كما كان ينام، ويتطهرون كما كان يتطهر وضوءاً وغسلاً، ويلتزمون في طعامهم وشرابهم وملبسهم، وحياتهم كلها بالتعاليم التي نشرها بينهم، والسيرة التي سار عليها في حياته... فالمؤمنون بهذا النبي الكريم في كل جيل منذ وقته وإلى يومنا هذا يلتزمون تعاليم هذا الرسول التزاماً كاملاً، حتى إن بعضهم ليتبع هذا النبي ويحب أن يقتدي به في الأمور الخاصة التي لم يتعبد لهم الله بها، كأن يجوبوا نوع الطعام الذي كان يحبه هذا الرسول، ويلبسوا نوع اللباس الذي كان يلبسها ؛ هذا فضلاً أن يكرروا الأذكار والأوراد والأدعية التي كان يقولها في كل أعماله في اليوم واللييلة كالسلام ودعاء دخول المنزل والخروج منه، ودخول المسجد، والخروج منه، ودخول الخلاء

والخروج منه، والنوم واليقظة، ورؤية الهلال، ورؤية الفاكهة الجديدة، والذكر عند الطعام والشراب واللباس والركوب، والسفر، والقدوم.. الخ. هذا فضلاً على أنهم يؤدون كل عبادتهم من صلاة وصوم وزكاة وحج، كما علمهم هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم... وكما كان يؤديها تماماً في كل حركاتها وسكناتها حتى أدق تفصيلاتها. وهذا جميعه يجعل المؤمنون به يعيشون حياتهم كلها وهذا الرسول الكريم هو أسوتهم وقدوتهم، وكأنه ماثل أمامهم في كل حركاتهم وسكناتهم.

الخصوصية الثامنة

لم يوجد على ظهر الأرض من نال من الحب والتكريم والتعظيم مثله ﷺ

لقد اتبع هذا النبي الكريم أناس من كافة الأجناس والألوان والشعوب، وفي كل بقاع الأرض، وفي كل الزمن منذ يومه وإلى يومنا هذا، وقد سبق لكثير من هؤلاء الذين اتبعوا هذا النبي أن كانوا نصارى، أو يهوداً، أو مشركين، أو وثنيين، أو لادينيين، وقد كان منهم من أهل الرأي والحكمة والنظر والبصيرة الذين اتبعوا هذا النبي الكريم بعد أن شاهدوا آيات صدقه، ودلائل معجزاته ولم يكن اتباعه إكراهاً أو جبراً أو تقليداً للأباء والأمهات. بل إن كثيراً من أتباع هذا النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبعوه في وقت ضعف الإسلام وقلة المسلمين، وكثرة الاضطهاد لأتباعه في الأرض، ولم يكن اتباع معظم الناس لهذا النبي لأنهم سيحصلون من وراء ذلك على منافع مادية عاجلة، بل إن كثيراً منهم قد تعرض لأقسى أنواع الأذى والاضطهاد لاتباعه دين هذا النبي، ومع ذلك لم يردهم ذلك عن دينه. إن كل هذا يدل دلالة واضحة لكل ذي عقل على أن هذا النبي كان رسول الله حقاً، ولم يكن رجلاً ادعى النبوة أو قال على الله بغير علم.

قال الأستاذ عبد الدائم الكحيل : لقد بدأ الإسلام قبل 1400 سنة برجل واحد هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح عدد المسلمين اليوم أكثر من ألف وأربع مئة مليون مسلم!!

فما هو سرّ هذا الانتشار المذهل، وماذا تقول الإحصائيات العالمية عن أعداد المسلمين اليوم في العالم؟

يوجد اليوم أكثر من 4200 ديانة في العالم!

(1) وتدل الإحصائيات على أن الدين الإسلامي هو الأسرع انتشاراً بين جميع الأديان في العالم! ففي عام 1999 بلغ عدد المسلمين في العالم 1200 مليون مسلم

(2) إن الإسلام ينتشر اليوم في جميع قارات العالم، فقد بلغ عدد المسلمين في عام 1997 في القارات الست.

(3) في آسيا 780 مليون.

(4) في أفريقيا 308 مليون.

(5) في أوروبا 32 مليون.

(6) في أمريكا 7 مليون.

(7) في أستراليا 385 ألف.

(8) **تطور نسبة المسلمين في العالم :** كان عدد المسلمين في العالم عام 1900 أقل من نصف عدد المسيحيين، ولكن في عام 2025 سوف يصبح عدد المسلمين أكبر من عدد المسيحيين بسبب النمو الكبير للديانة الإسلامية.(4)

ففي عام 1900 بلغت نسبة المسلمين في العالم 12.4 % ، أما المسيحية فقد بلغت نسبتها 26.9 %

وفي عام 1980 بلغت نسبة المسلمين في العالم 16.5 % ، أما المسيحية فقد بلغت نسبتها 30. %

وفي عام 2000 بلغت نسبة المسلمين في العالم 19.2 % ، أما المسيحية فقد بلغت نسبتها 29.9. %

أما في عام 2025 سوف تبلغ نسبة المسلمين في العالم 30 % ، أما المسيحية فستكون نسبتها 25. %

من هنا نستنتج أن الإسلام ينمو كل سنة بنسبة 2.9 بالمئة، وهذه أعلى نسبة للنمو في العالم ! (5).

كيف تحدث النبي الكريم عن هذا الأمر؟

هنالك معجزة نبوية مذهلة تحدث من خلالها الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وبين أن الإسلام سينتشر في جميع أجزاء الأرض. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(سيبلغ هذا الأمر - أي الإسلام - ما بلغ الليل والنهار).**

ومعنى ذلك أن كل منطقة من الأرض يصلها الليل والنهار سوف يبلغها الإسلام، وهذا ما حدث فعلاً لأن جميع الدول اليوم فيها مسلمون.

وإذا تذكرنا بأن هذا الحديث قد نطق به النبي الكريم في مرحلة ضعف المسلمين وقلة عددهم، في ظروف لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتشر في بقاع الأرض كافة ندرك عندها عظمة المعجزة. لقد جاء هذا الحديث الشريف ليؤاسي المؤمنين على ضعفهم وقلة عددهم، ولو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولاً من عند الله لما تجرأ أن يخبر أصحابه بأن الإسلام سينتشر في كافة

أنحاء الأرض، إذ كيف يضمن ذلك؟ ولكن الله تعالى الذي يعلم الغيب هو الذي أخبره بهذه الحقيقة ليحدث بها أصحابه قبل ألف وأربع مئة سنة، ولتكون بشرى نصر بالنسبة إليهم، ولتكون دليلاً على نبوته في هذا العصر!

ومن دلائل هذه المعجزة أن النبي الكريم قرن بين انتشار الإسلام وبين الليل والنهار، وهذه المقارنة دقيقة وصحيحة. فكما أن الليل والنهار يبلغ كل نقطة من نقاط الكرة الأرضية، كذلك فإن الإسلام قد بلغ كل نقطة على سطح الأرض، وهذا ما لا يمكن تخيله في ذلك الزمن.

مع ملاحظة أنه لم يكن أحد يعلم حدود الليل والنهار، ولم يكن أحد يعلم أن الأرض كروية، ولم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتشر في جميع دول العالم. ولذلك يمكن القول بأن هذا الحديث يمثل معجزة علمية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

كيف تحدث القرآن عن هذا الأمر؟ يقول تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [الصف: 8-9].

وتأمل معي كلمة (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)، ألا تدل على أن الإسلام سيكون الديانة الأولى في العالم؟ وهذا ما سيحدث قريباً إن شاء الله تعالى.

فالإحصائيات تخبرنا بأنه عام 2025 سيكون الإسلام هو الدين الأول من حيث العدد على مستوى العالم، وهذا الكلام ليس فيه مبالغة، بل هي أرقام حقيقية لا ريب فيها. هذه الأرقام جاءت من علماء غير مسلمين أجروا هذه الإحصائيات¹.

¹ - مقال معجزة انتشار الإسلام بعنوان - موقع أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيلتكبير حجم الخط حجم الخط الافتراضي تصغير.

فائدة : قال العلامة أبو النجاح أحمد بن علي المنيني (توفي : 1172) في منظومته مواهب
المجيب في نظم خصائص الحبيب:

وقد حوى نبينا جميع ما	حبا الإله الانبياء العظمى
من معجزات وفضائل سمت	وفيه لا في غيره قد جمعت
قيل : ومع كثرتها فقد حوت	معنى به عن غيرها تميزت
نحو اختراع الجسم إذ لم يتفق	لغيره اختراع جسم متسق

الفصل السادس عشر

اختصاصه ﷺ ببعض الخصائص في شريعته الخاتمة

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله حجب الشياطين عن السموات لبعثه.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بإعطائه حق التشريع دون غيره من المرسلين.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن شرعه مؤبد إلى يوم القيامة وناسخ لجميع الشرائع قبله.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ أن شاتمته يقتل سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أحل الغنائم له ولأمته.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بالاصطفاء من الغنيمه.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بأنه أحل له القتال في مكة ساعة من نهار.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بالنصر بالربيع مسيرة شهر.

الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن جعلت له ولأمته الأرض مسجدًا وطهورًا.

الخصوصية الحادية عشرة : أن أجر الصلاة في مسجده ﷺ يحسب بأجر ألف صلاة.

الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ وأمته بيوم الجمعة وساعة الجمعة.

نعني بخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم التشريعية، الخصائص التي اختص الله بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والتي تتعلق بجانب الأحكام والتشريع ، منها ما يلي :

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ أن الله حجب الشياطين عن السموات لبعثه

قال تعالى حكاية عن الجن: (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) [الجن: 8، 9].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان الجنُّ يسمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا فيكون ما سمعوا حقًا وما زادوه باطلاً وكانت النجوم لا يُرمى بها قبل ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهابٍ يخرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمرٍ قد حدث فبتَّ جنوده فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاتوه فأخبروه فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض) رواه الإمام أحمد في مسنده وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية تكملة لهذا الحديث : (فمر نفر الذين أخذوا نحو قهامة، وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له.

فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) ؛ أوحى الله إلى نبيه ﷺ: (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) أخرجاه في الصحيحين.

قال العلماء في شرحه¹:

كان الجنُّ قبلَ مبعثِ الرِّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرْقُونَ أخبارَ السَّماءِ، وهي ما يُوحى به اللهُ تعالى لملائكته، ثمَّ يُلْقُونَ ما سَمِعُوا إلى الكُهَّانِ مِنَ الْإِنسِ، فيُضَيِّفُونَ على ما سَمِعُوهُ مِثْلَ كَذِبَةٍ مِنَ عِنْدِهِمْ، فيُصَدِّقُهُم النَّاسُ بكلمةِ الحَقِّ تلكَ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ ابنُ عَبَّاسٍ: (كان الجنُّ يَصْعَدُونَ)، أي: يرتَقُونَ إلى السَّماءِ (يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ)، وهو ما يوحى اللهُ إلى ملائكته من تدبيرِ الأمورِ، (فإذا سَمِعُوا)، أي: الجنُّ (الكلمة) مِنَ الْوَحْيِ (زادوا فيها)، أي: أضافوا إلى ما سَمِعُوهُ مِنَ الْكَلِمَةِ (تَسْعًا)، أي: زادوا تِسْعَ كَلِمَاتٍ، (فأما الكلمة) التي سَمِعُوهَا (فتكونُ حقًّا) وصدقًا، (وأما ما زادوه) أضافوه (فيكونُ باطلاً)، أي: كذبًا واختلافًا، (فلَمَّا بُعثَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أي: فلَمَّا أرسَلَ اللهُ رسولَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزَلَ عليه الْوَحْيَ (مُنِعُوا)، أي: حِيلَ بينهم وبين (مقاعدهم) التي يَسْتَمِعُونَ منها الْوَحْيَ، فكانت تُرسلُ عليهم الشُّهُبُ الْمُحْرِقَةُ، تُحْرِقُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُمْ، (فذكروا ذلك)، أي: أمرَ مَنْعِهِمْ لِإِبْلِيسَ.

قوله: (ولم تكن النُّجُومُ يُرمى بها قبل ذلك)، أي: إِنَّ النُّجُومَ لم تكن يُرجمُ بها قبلَ بعثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلافِ ما حَدَثَ بعدَ بعثته، فأصبحتِ الجنُّ لا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْوَصُولِ إلى شيءٍ من استراقِ السَّمعِ.

وفي قوله: (ولم تكن النُّجُومُ يُرمى بها قبل ذلك) إشكالٌ؛ لأنَّه لم يزل القذفُ بالنجوم قديمًا وهو موجودٌ في أشعارِ العربِ القُدماءِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وأيضًا ثبتَ في صحيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ الشَّيَاطِينَ كانت تُرمى بالنُّجُومِ، والجوابُ: أَنَّ يُحْمَلَ على أَنَّ النُّجُومَ كان يُرمى بها في الْجَاهِلِيَّةِ

¹ - الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.

قليلاً، ولكن بمَجِيءِ الإسلامِ غُلِظَ وشُدِّدَ، أو لم تَكُنْ يُرْمَى بها قبلَ المبعثِ رَمِيًّا يَقْطَعُ الشياطينَ عن استراقِ السَّمْعِ، ولكن كانت تُرْمَى تارةً ولا تُرْمَى تارةً، وتُرْمَى من جانبٍ ولا تُرْمَى من جميعِ الجوانبِ، وقد يشيرُ إلى ذلك قوله تعالى: (وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) [الصافات: 8 - 9].

فقال لهم إبليسُ: (ما هذا إِلَّا مِنْ أَمْرِ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ)، أي: أرسل إبليسُ جنوده، (فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يَصْلِي بَيْنَ جَبَلَيْنِ - أَرَاهُ قَالَ: بِمَكَّةَ -، فَلَقُوهُ)، أي: التَقَى جنودُ إبليسَ به، (فأخبروه)، أي: قالوا لإبليس: إَنَّهُمْ رَأَوْا (هَذَا الْحَدَثَ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ)، أي: مبعثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال أحد الباحثين :

لَمَّا حانت بعثة الرسول ﷺ حفظت السماء من هذه الشياطين؛ وذلك لأمرين:

الأول: صيانة ما يتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي عن أن تلغوا فيه الشياطين؛ كي يكون خالصاً كل الخلوص لله وأنه من عند الله حقاً كما قال: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) أي: الذي لا يكذب كما تكذب الشياطين، والأمين في النقل ينقل ما سمع كما سمع، (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) [الشعراء: 192 - 194].

وكما قال في سورة الجن: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) آخر سورة الجن.

والأمر الثاني: وهو صيانة الدعوة والرسالة عن أن يصل منها أي شيء إلى الكهان عن طريق الشياطين، ومنع الشياطين من أن تسترق شيئاً مما يُوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي ذلك منع الكهان أيضاً ومدعي الغيبات، من أن يأتوا بمثل ما أتى للرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك لم نجد عندهم على الإطلاق شيئاً مما أتى به الرسول، ولم يدعوا أن عندهم شيئاً من ذلك، ولم يجرؤ أحد منهم على هذا الادّعاء؛ لأنهم لو ادعوا لطُوبوا بتقديمه، وقد طُوبوا بالفعل بالإتيان بمثل القرآن الكريم، أو بمثل سورة أو آية منه، دون أن يدعوا أن عندهم شيئاً من ذلك، فعجزوا وقال فيهم القرآن الكريم مسمّعا لهم ذلك ومخاطباً لهم: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: 23]، وقائلاً: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]، وهذه عادة متبعة عند بعثة رسول من الرسل، تُحفظ السماء من الشياطين وتبعد الشياطين عن أن تسترق شيئاً، وهذا من جانب إجلالٍ لأمر اتصال السماء بالأرض، وتنزل وحي الله على أنبيائه، ومن جانب آخر إرهاب عظيم وبشارة طيبة، وتعظيم لأمر هذا الاتصال ولشأن الرسول المبعوث¹.

¹ - من مقال : اتصال السماء بالأرض وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم د. إبراهيم إبراهيم هلال - شبكة الألوكة.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بإعطائه حق التشريع دون غيره من المرسلين

لقد شرف النبي صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه حق التشريع أي حق التحليل والتحريم في الأحكام وقد دلت الآيات والأحاديث على ذلك ، منها:

قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) سورة النساء (105).

قال القرطبي رحمه الله تعالى : في هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتكريم وتعظيم وتفويض إليه ، وتقويم أيضا على الجادة في الحكم.

قال العلماء : حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام وأمور التشريع، إنما هو بوحى من الله تعالى، ولذلك كانت طاعة الرسول من طاعة الله تعالى، قال سبحانه: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء:80].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني؛ فقد أطاع الله، ومن عصاني؛ فقد عصى الله) رواه البخاري ومسلم.

ولذلك أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من يفرق بين الحكم الثابت بالقرآن والحكم الثابت بالسنة كما في الأحاديث ؛ ومنها:

عن المقداد بن معدي كرب قال: (حَرَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْرِهَا مِنْهَا الْحَمَارُ الْأَهْلِيَّ وَغَيْرُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي بإسناد صحيح.

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَلَا لُقْطَةُ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهَ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهَ، فَلَهُ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاءَةٍ) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج سنن أبي داود: إسناده صحيح .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ) رواه الشيخان.

وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم يشرع من عند نفسه لأن الله عصمه من الخطأ في التبليغ، وأخبر أنه لا ينطق عن الهوى وأمرنا بطاعته . مطلقا . فدل هذا على أنه لا يشرع إلا ما يريد الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: (لا نزاع بين المسلمين أن الرسول صلى الله عليه و سلم معصوم فيما بلغه عن الله تعالى، فهو معصوم فيما شرعه للأمة بإجماع المسلمين). هـ.

وقال القاضي عياض في الشفاء: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه . لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا . هـ.

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى - في شرح بلوغ المرام عند شرحه لحديث - : لولا أن أشق: وهل هو الذي يأتي بالأحكام من عنده، فيشق على الناس أو يخفف؟ قالوا: نعم، له حق التشريع مستقلاً، وهو كما وصفه سبحانه بقوله: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 128].

ومن الأمثلة في تشريعه صلى الله عليه وسلم مع كتاب الله: حينما بين سبحانه وتعالى المحرمات في النكاح فقال: (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ). { النساء: 23 }. فأضاف إليه صلى الله عليه وسلم فقال: لا تنكح المرأة مع عمتها ولا مع خالتها. فالقرآن ما جاء بهذا، ولكن جاء به صلى الله عليه وسلم؛ ولذا قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي). { آل عمران: 31 }. فالله أعطاه حق التشريع، قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ). [الحشر: 7]. وسواء أتانا به من عند الله أو أتانا به من عنده، فقد قال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. { النجم: 3 }.¹ هـ.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأن شرعه مؤبد إلى يوم القيامة وناسخ لجميع الشرائع قبله

قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85]، وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) [المائدة: 48].

قال السيوطي: (استدل بهذه الآية على أن شرعه ﷺ ناسخ لكل شرع قبله).

¹ - ملخصاً من موقع الشبكة الإسلامية.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ أن شاتمته يقتل سواء كان مسلماً أو كافراً

قال ابن تيمية رحمه الله: الساب إن كان مسلماً فإنه يكفر ، ويقتل بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم - ثم ذكر في هذه المسألة إجماع ثم ذكر من حكى الإجماع على ذلك - وإن كان ذمياً فإنه يقتل أيضاً في مذهب مالك وأهل المدينة ، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث..

وقال: والدلائل على انتقاض عهد الذمي بسب الله أو كتابه أو دينه أو رسوله ووجوب قتله وقتل المسلم إذا أتى ذلك : الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والاعتبار .

قال أيضاً : هذا مذهب عامة أهل العلم، قال ابن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل ومن قاله مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حد من يسب النبي صلى الله عليه وسلم القتل. وقال الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل. ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الساب إن كان مسلماً قتل بغير خلاف. وأما إن كان ذمياً ففيه خلاف، والمشهور من مذهب مالك وأهل المدينة أنه يقتل أيضاً، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث، وقد نص أحمد على ذلك في مواضع متعددة.

قال حنبل بن الإمام أحمد: سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - يقول: "كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه - مسلماً كان أو كافراً - فعليه القتل، وأرى أن يُقتل ولا يستتاب. ولما سئل الإمام أحمد عن رجل من أهل الذمة شتم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا عليه؟ قال: إذا قامت عليه البينة يقتل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً كان أو كافراً.

وأما الشافعي فالمنصوص عنه نفسه أن عهد الذمي ينتقض بسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يقتل. والمنصوص عنه في الأم أنه قال: إذا أراد الإمام أن يكتب كتاب صلح على الجزية كتب...". وذكر الشروط إلى أن قال: "وعلى أن أحداً منكم إن ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به فقد برئت منه ذمة الله ثم ذمة أمير المؤمنين وجميع المسلمين، ونقص ما أُعطي من الأمان، وحل الأمير المؤمنين ماله ودمه كما تحل أموال أهل الحرب ودمائهم..".

والأدلة على ذلك من السنة كثيرة متواترة :

1/ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهَا) رواه أبو داود .

قال شيخ الإسلام - في الصارم المسلول (126/2) - : وهذا الحديث جيد ، وله شاهد من حديث ابن عباس وسيأتي اهـ وهذا الحديث نص في جواز قتلها لأجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم .

2/ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقَعُ فِيهِ ، فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي ، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجُرُ ، فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُّهُ ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ - سِيفٌ قَصِيرٌ - فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا . فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ : (أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ؟ فَقَامَ الْأَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا صَاحِبُهَا ، كَانَتْ تَشْتُمُّكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي ، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجُرُ ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّوْلُؤَتَيْنِ ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً ، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُّكَ وَتَقَعُ فِيكَ ، فَأَخَذْتُ الْمِعْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَلَا أَشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ) رواه أبو داود صححه الألباني في صحيح أبي داود.

والظاهر من هذه المرأة أنها كانت كافرة ولم تكن مسلمة ، فإن المسلمة لا يمكن أن تقدم على هذا الأمر الشنيع . ولأنها لو كانت مسلمة لكانت مرتدةً بذلك ، وحينئذٍ لا يجوز لسيدها أن يمسكها ويكتفي بمجرد نهيها عن ذلك.

3/ وَعَنْ أَبِي بَرَّةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : (أَغْلَظَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَقُلْتُ : أَقْتُلْهُ ؟ فَاَنْتَهَرَنِي، وَقَالَ : لَيْسَ هَذَا لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فعلم من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أن يقتل من سبه ومن أغلظ له ، وهو بعمومه يشمل المسلم والكافر .

4/ قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (لما قفل - صلى الله عليه وسلم - من بدر راجعا إلى المدينة قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ولم يقتل من أسارى بدر غيرهما وقصتهما معروفة.

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب كما أخبرت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: ولم يقتل من الأسارى صبرا غير عقبة ابن أبي معيط فجعل عقبة يقول: (يا ويلي علام أقتل يا قريش من بين من ها هنا؟) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعداوتك لله ورسوله) قال: (يا محمد منك أفضل فاجعني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني وإن مننت عليهم مننت علي وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم يا محمد من للصبيّة؟) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النار قدمه يا عاصم فاضرب عنقه) فقدمه عاصم فضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بئس الرجل كنت والله ما علمت كافرا بالله وبكتابه ورسوله مؤذيا لنبيه فأحمد الله الذي هو قتلك وأقر عيني منك).

ففي هذا بيان أن السبب الذي أوجب قتل هذين الرجلين من بين سائر الأسرى أذاهم لله ورسوله بالقول والفعل فإن الآيات التي نزلت في النضر معروفة وأذى ابن أبي معيط له مشهور بلسانه ويده حين خنقه بأبي هو وأمي بردائه خنقا شديدا يريد قتله وحين ألقى السلا على ظهره وهو ساجد وغير ذلك¹.

¹ - الصارم المسلول (144/1) وما بعدها.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أحل الغنائم له ولأمة

أحل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمة الغنائم التي يكسبونها حال الجهاد، ولم يحل الله الغنائم لأحد من الأنبياء غير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ ، وَلَمْ تَحَلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي) رواه البخاري و مسلم .

قوله: (وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ): ولم تُحَلَّ بالبناء للمجهول من أَحَلَّ خلاف حَرَّمَ؛ وهذا مناسب لقوله: (وَأُحِلَّتْ). ويجوز: ولم تَحَلَّ، من حلَّ الشيء خلاف حرم. والغنائم: جمع غنيمة، وفي رواية المغانم: جمع مَغْنَم، وهي ما حصل عليه من قتال الكفار في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

والمعنى: أن الله تعالى أحل له الغنائم، بل هي أطيب الحلال له ولأمة، وكانت محرمة على الرسل وأممهم من قبله؛ لأن منهم من لم يؤذن له في الجهاد أصلاً، ومنهم من أذن له فيه، فكانوا يجمعون الغنائم ثم تأتي نار من السماء فتأكلها، كما جاء في الصحيحين في شأن يوشع بن نون عليه السلام لما غزا وحبس الله له الشمس؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ إِلَّا لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ لِيَأْتِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ) رواه مسلم.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحَلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً). متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَغْنَى النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيَبَايِعْنِي قَبِيلَتَكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا، وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا) رواه البخاري.

قوله: (رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ): البُضْعُ: الفرج، والمباضعة: الجماعة. والبناء بِالْمَرْأَةِ: الدُّخُولُ بِهَا، وأصل ذلك أنهم كانوا يبنون بناء لمن أراد أن يدخل بزوجته.

قوله (خِلْفَاتٍ)، جمع خلفه: وهي الناقة الحامل، وأَرَادَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ جمع الهم، فإن الهم إذا تفرق ضعف فعل الجوارح، وإذا اجتمع قوي، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُمْ إِذَا غَزَوْا فَعَنَمُوا نَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلَتِ الْغَنَائِمَ، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ بِهَذَا عَلَى خُلُوصِ النَّيَّةِ فِي الْعَزَوَاتِ لِأَنَّهَا يَقَعُ قِتَالُهُمْ لِأَجْلِ الْغَنِيمَةِ، فَأَيَّحَتِ الْغَنَائِمُ لَهُذِهِ الْأُمَّةَ لَطْفًا بِهَا، وَكَأَنَّهَا مَا غَلَبَ الْإِخْلَاصَ عَلَيْهَا لَمْ تَحْتَجِ إِلَى بَاعِثٍ عَلَيْهِ، فَكَانَ الْإِخْلَاصُ فِي الْجِهَادِ أَصْلَ قَصْدِهَا، فَصَارَتِ الْغَنِيمَةُ تَبْعًا¹.

قوله: (فِيكُمْ غُلُولًا) وَهُوَ الْخِيَانَةُ فِي الْمَغْنَمِ.

¹ - كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين - للعلامة ابن الجوزي .

قال الخطابي: (كان من تقدم على ضربين: منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغنم؛ ومنهم من أذن له فيه لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحلّ لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته)، قال ابن حجر: (وقيل المراد أنه خص بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف يشاء، والأول أصوب، وهو: أن من مضى لم تحل لهم الغنائم أصلاً)¹.

قال ابن هبيرة: (هذا يذكره - صلى الله عليه وسلم - مبيّنًا به فضل أمته، فإنه يعني أن إيمان أمته زاد وصدق إلى أن لا يضره تناول الغنيمة في إخلاصهم في الجهاد، فإن من كان قبلهم إنما كانت الغنائم تأكلها النار؛ من أجل إيمان من تقدم لم يكن في قوة إيمان هذه الأمة؛ إذ الغنائم لا يؤثر تناولها في إخلاصهم في جهادهم وإرادتهم به وجه مولاهم وخالقهم، وكان ذلك لنزول إيمان من تقدم عن درجة إيمان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تأكلها احتياطاً للغزاة، حينئذ جاهدوا من أجل الغنائم، من أجل الغنائم لأمة محمد يشير أن مقامهم أشرف من أن يكون جهادهم لأجل الغنائم)².

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بالاصطفاء من الغنيمة

عن يزيد بن عبد الله بن الشَّحِير قَالَ: كُنَّا بِالْمَرْبِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ أَشَعَثُ الرَّأْسِ بِيَدِهِ قِطْعَةً أَدِيمٍ أَحْمَرَ، فَقُلْنَا: كَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ؟ فَقَالَ: أَجَلْ، قُلْنَا: نَاوَلْنَا هَذِهِ الْقِطْعَةَ الْأَدِيمَ الَّتِي فِي يَدِكَ، فَنَاوَلَنَاهَا، فَقَرَأْنَاهَا، فَإِذَا فِيهَا: (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي زُهَيْرٍ بْنِ أَقِيْشٍ إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَدَيْتُمُ الْخُمْسَ مِنْ

¹ - فتح الباري لابن حجر 1/ 438

² - الإفصاح عن معاني الصحاح 8/ 312.

الْمَغْنَمِ، وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّفِيِّ، أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقُلْنَا: مَنْ كَتَبَ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹.

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَتْ صَفِيَّةٌ مِنَ الصَّفِيِّ)².

الصفية: جمعها صفايا، وهي ما يختاره النبي صلى الله عليه وسلم قبل القسمة من الغنيمة، كسيف ودرع ونحوهما، ومنه صفية أم المؤمنين التي اصطفاهما من المغنم لنفسه.

قال الخطابي: (وأما الصفي فهو: ما يصطفيه من عرض الغنيمة من شيء قبل أن يخمس عبد أو جارية أو فرس أو سيف أو غيرها وكان النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصًا بذلك مع الخمس الذي له خاصة)³.

قال ابن عبد البر: (سهم الصفي لرسول الله ﷺ معلوم وذلك أنه كان يصطفي من رأس الغنيمة شيئًا واحدًا له عن طيب أنفس أهلها ثم يقسمها بينهم على ما ذكرنا وأمر الصفي مشهور في صحيح الآثار معروف عند أهل العلم ولا يختلف أهل السير أن صفية زوج النبي ﷺ كانت من الصفي)⁴.

قال البغوي رحمه الله تعالى: (ومن خصائصه أنه كان يسهم له من الغنيمة كسهم رجل ممن شهد الواقعة، سواء حضرها أو غاب عنها)⁵.

¹ - أبو داود 2999، والسنن الكبرى للبيهقي 13368، قال الألباني صحيح الإسناد.

² - رواه أبو داود وابن حبان وصححه الألباني.

³ - معالم السنن - للخطابي - 3 / 29.

⁴ - التمهيد - لابن عبد البر - 20 / 43.

⁵ - شرح السنة - للبغوي - 11 / 137.

قال التوربشتي: (يحتمل أن أحداً من الأنبياء لم يكشف أو يخبر بأنه أعور، ويحتمل أنه أخبر، ولم يُقدَّر له أن يخبر عنه كرامة لنبينا - صلى الله تعالى عليه وسلم - حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بأمره جهال العوام، فضلاً عن ذوي الألباب والأفهام)¹.

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ بأنه أُوتي مفاتيح خزائن الأرض

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي)، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا) رواه البخاري.

قوله: (أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ)، قال النووي: (هذا من أعلام النبوة فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمرته ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولله الحمد والمنة ؛ (تنتثلوها): يعني تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض، وما فتح الله على المسلمين من الدنيا).

فإنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض، وليست كل البلدان فتحت في وقته عليه الصلاة والسلام، لكن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام أكمل المشوار وأكمل الطريق وأكمل الاستيلاء على الخزائن أصحابه.

¹ - مرقاة المفاتيح 8 / 487.

وقال عليه الصلاة والسلام: (وَأُعْطِيتَ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ) والكنز الأحمر: الذهب، والأبيض: الفضة، لأن أكثر مال الروم كان فضة، وأكثر مال الفرس كان ذهباً، فقال لهم: إن بلاد الفرس والروم ستسقط.

الخصوصية الثامنة

اختصاصُهُ ﷺ بأنه أحل له القتال في مكة ساعة من نهار

إن الله تعالى أحل له القتال في مكة ساعة من نهار، ولم يحل القتال فيها لأحد قبله ولا بعده؛ جاء في الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَإِنْ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) رواه البخاري ومسلم .

الخصوصية التاسعة

اختصاصُهُ ﷺ بالنصر بالرعب مسيرة شهر

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعثُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيِ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)) متفق عليه.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة: ((فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى

الْحَلَقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِالنَّبِيِّنَ))؛ فزاد خصلتين عن حديث جابر وهما: أعطيت جوامع الكلم، وخُتِمَ بي النبيون؛ لنحصل منه ومن حديث جابر على سبع خصال.

اختص نبينا صلى الله عليه و سلم ، بأن الله عز وجل نصره بالرعب ، وهو الفزع والخوف ، فكان سبحانه يلقيه في قلوب أعداء رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر أو شهرين هابوا وفرعوا منه ، فلا يقدمون على لقائه .

وفي حديث جابر بن عبد الله ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **(أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي) ، وفيه : (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ).**

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (فالظاهر اختصاصه به مطلقاً ، وإنما جعل الغاية شهراً ؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر من ذلك ، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته من بعده فيه احتمال) .

قال ابن هُبيرة رحمه الله : (إن الله تعالى نصره — صلى الله عليه وسلم — بالرعب ، وهو أنه جعل جنده في قلوب أعدائه ، وهو الرعب ، فخذلهم وهزمهم ، وبينه وبينهم مسيرة شهر مسافة ، لا يصلها سهم ولا ينالها رمح ، ولا يدركها عدو جواد من الخيل ، وهي زهاء ثلاث مائة فرسخ ، وكان في قوله صلى الله عليه وسلم مخبراً لنا بهذا الحديث أن الله جنوداً منها ما يرى صورته ، ومنها ما يرى أثره ، ومنه الرعب الذي نصر به نبيه ، فأما مسيرة شهر فالذي أراه فيه : أنه لما سخر الله الريح لسليمان فكان غدوها شهراً ورواحها شهراً ، أي مسيرة شهر ، إلا أن الرعب الذي يكون مسيرة شهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ؛ لأن مسيرة شهر من بلده إلى وقت الرواح مسيرة شهر عند انتهاء وصولها ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حين يذكره الأعداء يقع رعبه في القلوب في الحال ، فحاله أتم ، فقد فضلت حاله على سليمان من

هذا الوجه ، ومن وجه آخر ، وهو أن سليمان كان يصل إلى الأعداء الذين يقاتلهم وقلوبهم لهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصل إلى الأعداء وقد سبقه الرعب فصارت قلوبهم له ، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (لم يعطهن أحد قبلي).

وقال الأستاذ الدكتور صالح بن أحمد الشامي:

ومما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر: وهو ما يسمى في أيامنا «الحرب النفسية» فقد نصره الله بإلقاء الرعب في قلوب أعدائه لمسافة شهر، أي لمسافة يقطعها المسافر في شهر من الزمن، وهي مسافة بعيدة، وتظهر سعتها إذا علمنا أنها في كل الاتجاهات. وتساءل العلماء، هل هي له خاصة، أم لأمته من بعده أيضاً؟ .

والذي يبدو - من خلال دراسة التاريخ - أنها كانت لأمته ببركته صلى الله عليه وسلم يؤيد هذا خوف أعداء المسلمين من المسلمين في هذه الأيام، علماً بأن المسلمين في كل أنحاء العالم في وضع لا يحسدون عليه، إن لم نقل في وضع يرثى له¹.

الخصوصية العاشرة

اختصاصه ﷺ أن جعلت له ولأمته الأرض مسجداً وطهوراً

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، وَفِيهِ: (وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ) متفق عليه.

¹ - من معين الخصائص النبوية - ص (193).

اختلف في بيان ما خصص به على الأمم قبله في ذلك فقليل: إن الأمم الماضية لم تكن الصلاة تباح لهم إلا في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس، وقيل: كانوا لا يصلون إلا فيما يتقنوا طهارته من الأرض وخصصت هذه الأمة بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنت نجاسته حكاها القاضي عياض¹.

قال ابن هُبيرة رحمه الله تعالى: (يعني أن الله سبحانه أباحه الأرض شرقها وغربها، وأنها جعلت له مسجدًا، وهذا مما يدل على كل عاقل أن الله تعالى علم كثرة أمته، وأنه لا يسعهم مسجد ولا جامع فجعل الأرض لهم كلها مسجدًا، فأباح الله سبحانه وتعالى الصلاة في كل موضع من الأرض، ثم لما علم الله عز وجل من حرص أمته على الطهور واهتمامهم بصلواتهم، أباحهم البسطين، الثرى والماء، لطهورهم، فأوجب عليهم الطهارة بالماء إذا وجدوه، والتراب إذا عدموه)².

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: (قوله: (وجعلت لي الأرض مسجدًا)، أي: موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن أن يكون مجازًا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه؛ لأنه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك، قال ابن التين: قيل: المراد جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا وجعلت لغيري مسجدًا ولم تجعل له طهورًا؛ لأن عيسى كان يسبح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة كذا قال، وسبقه إلى ذلك الداودي، وقيل: إنما أبيحت لهم في موضع يتقنوا طهارته بخلاف هذه الأمة فأبيح لها في جميع الأرض إلا فيما تيقنوا نجاسته، والأظهر ما قاله الخطابي، وهو: أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع، ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ: (وكان من قبلي إنما كانوا

¹ - طرح الشريب في شرح التقريب 2 / 106.

² - الإفصاح في معاني الصحاح - لابن هبيرة - 8 / 312.

يصلون في كنائسهم¹؛ وهذا نص في موضع النزاع فثبتت الخصوصية، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث الباب، وفيه: (ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه)².

ويؤخذ منه إباحة التيمم بجميع أجزاء الأرض؛ لقوله: **(وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيْبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا)** وإلى ذلك ذهب مالك وأبو حنيفة، وذهب الشافعي وأحمد إلى إباحة التيمم بالتراب خاصة محتجين بالرواية الأخرى **(وَجُعِلَتْ تُرْبُتُهَا لَنَا طَهُورًا)**، وحملوا الرواية الأولى المطلقة على هذه الثانية المقيدة.

ويؤخذ منه أيضًا إباحة الصلاة على جميع أجزاء الأرض إلا ما ورد النهي عنه من المذبة والمجزرة والمقبرة وقارة الطريق وفي الحمام وفي معادن الإبل "أي: مباركها" وفوق ظهر بيت الله الحرام عز وجل.

وأما من كان قبلنا فإنما أبيع لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس، وقيل: إن من كانوا قبلنا كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض؛ وحُصصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقننا نجاسته.

ويستنبط من ذلك فضل العناية بالصلوات الخمس المفروضة والاهتمام بها متى حل وقتها، وأنه لا عذر لأحدٍ كائنًا من كان في تأخيرها عن وقتها، وصدق الله **(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**

¹ - أحمد وحسنه محققو المسند، بلفظ: **وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا**، أَيْنَمَا أَدْرَكْتَنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِي يُعْظَمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَيَبْعِهِمْ.

² - رواه البزار، بلفظ: **وَلَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُصَلِّي حَتَّى يَبْلُغَ مَحْرَابَهُ**، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 8 / 463: رواه البزار وفيه من لم أعرفهم. (فتح الباري 1 / 437-438)

كِتَابًا مَوْفُوتًا) [النساء: 103] كتابًا؛ أي: مكتوبًا مفروضًا، موقوفًا؛ أي: مقدار وقتها لا يحل التأخير عنه.

الخصوصية الحادية عشرة

أن أجر الصلاة في مسجده ﷺ يحسب بأجر ألف صلاة

ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وهو أيضًا خصوصية لأمته، أن أجر الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم يحسب بأجر ألف صلاة في غيره من المساجد، عدا المسجد الحرام؛ ثبت هذا في عدة أحاديث، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة) رواه مسلم.

الخصوصية الثانية عشرة

اختصاصه ﷺ وأمته بيوم الجمعة وساعة الجمعة

اعلم أن هذه الخصوصية لم تكن لأحد قبله من الأنبياء؛ يقول عليه الصلاة والسلام: (أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بَنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ). وفي رواية: (هُدِينَا إِلَى الْجُمُعَةِ، وَأَضَلَّ اللَّهُ عَنْهَا مَنْ كَانَ قَبْلَنَا) رواه مسلم.

يوم الجمعة، سيد الأيام، وخير يوم طلعت عليه الشمس، وهو عيد المسلمين الذي يتكرر أسبوعيًا، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا يومٌ

عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيباً فليمس منه،
وعليكم بالسَّواك) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني. وقد اختصَّ الله عز وجل الأمة المحمدية بيوم
الجمعة، وأضلَّ عنه اليهود والنصارى فلم يوافقوه، وفضلوا عنه يوم السبت والأحد، فعن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نحن الآخرون الأولون يوم
القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم
فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له،
قال يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى) رواه مسلم.

قال النووي: "قوله صلى الله عليه وسلم: (فهذا يومهم أي الذي اختلفوا فيه هدانا الله له) .

وقال القاضي: الظاهر أنه فُرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين، ووكَّل إلى اجتهادهم لإقامة
شرائعهم فيه، فاختلف اجتهادهم في تعيينه، ولم يهدم الله له، وفرضه على هذه الأمة مبيناً، ولم
يكُلِّه إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله". وقال ابن حجر: "وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة
على الأمم السابقة زادها الله تعالى".

ويقول ابن القيم في معرض حديثه عن يوم الجمعة: ".. وله على سائر الأيام مزية بأنواع من
العبادات واجبة ومستحبة.. وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعةُ الإجابة فيه كليلة
القدر في رمضان، ولهذا مَنْ صَحَّ له يومُ جمعته وسَلِمَ، سَلِمَتْ له سائرُ جمعته، ومن صح له
رمضان وسَلِمَ، سَلِمَتْ له سائر سنَّته، ومن صحَّت له حجَّته وسَلِمَتْ له، صح له سائر عُمره،
فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحجُّ ميزان العمر".¹

¹ -وقد ورد في فضائل وخصائص يوم الجمعة أحاديث كثيرة، منها:

- عن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلُق آدم، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قال: قالوا يا رسول

الله وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمَتْ - يقولون بليت . فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ) رواه أبو داود وصححه الألباني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها) رواه مسلم. قال صاحب كتاب "رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام": "الظاهر: أن هذه القضايا المعدودة فيه ليست لذكر فضيلتها، لأن ما وقع فيه من إخراج آدم من الجنة، وقيام الساعة، لا يُعد في الفضائل، وإنما هو على تعداد القضايا، وتعظيم ما وقع وحدث فيه من الأمور العظام، فيجب على ذلك أن يكون العبد مستعداً متهيئاً بعمل صالحٍ لرحمةٍ من الله تعالى تناله، أو بطشة تُدفع عنه."

- مغفرة الذنوب والآثام ما بين الجمعة والجمعة، لمن حضر صلاة الجمعة لما رواه البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ثم يخرج، فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام: إلّا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى). وفي رواية لمسلم قال صلى الله عليه وسلم: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسّ الحصى فقد لغا).

- وجود ساعة يستجاب فيها دعاء المسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلّا أعطاه إيّاه) رواه مسلم.

- ترتيب الأجر العظيم لمن ذهب إلى الجمعة في الساعة الأولى، وذلك لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (كغسل الجنابة) ثمّ راح فكأتمّاً قرب بدنة (ناقة أو بقرة)، ومن راح في الساعة الثانية فكأتمّاً قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأتمّاً قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأتمّاً قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأتمّاً قرب بيضة. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر).

ولما اختص الله تعالى الأمة المحمدية بيوم الجمعة، كان من هدي نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتخصيصه لهذا اليوم بعبادات وأعمال لم يختص بها غيره، ومن ذلك: الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أوس بن أوس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ) رواه أبو داود وصححه الألباني، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنّه يوم مشهود تشهد الملائكة) رواه ابن ماجه والطبراني وحسنه الألباني.

قال ابن القيم: "رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده، فجمع الله لأمته بين خيرَي الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء قليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليتته، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56)."

وأما ساعة الجمعة فقد جاء في فضلها : عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: **(إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ. وَقَالَ بِيَدِهِ: يُقَلِّلُهَا يَزِيدُهَا)** رواه مسلم.

قال العلماء : في هذا الحديث يُخْبِرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ وهو أَنَّ فِيهِ سَاعَةً جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الدُّعَاءُ فِيهَا مُجَابًا؛ فَمَا مِنْ عَبْدٍ يُؤَافِقُهَا، أَيْ: يُصَادِفُهَا وَيَقْصِدُهَا وَيَتَحَرَّاهَا بِالدُّعَاءِ، وَيَطْلُبُ فِيهَا التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَيَسْأَلُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيمِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وهو عَلَى حَالٍ يَتَقَرَّبُ فِيهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَاءِ أَوْ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ؛ فَمَنْ انْتَهَزَ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ، وهذا هو المرادُ بالصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ: **(قَائِمٌ يُصَلِّي)**.

وقيل : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الصَّلَاةِ الدُّعَاءُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْقِيَامِ الْمُلَازِمَةُ وَالْمُوَظَبَةُ، لَا حَقِيقَةُ الْقِيَامِ. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَجَابَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ، أَوْ دَفَعَ عَنْهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالسُّوءِ، أَوْ يُؤَخِّرُهُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَأَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ يُقَلِّلُهَا؛ أَيْ: يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا وَقْتُ قَلِيلٍ خَفِيفٌ.

وقد اختلفَ في تحديدِ وقتِ هذه السَّاعةِ على أقوالٍ كثيرةٍ؛ أفواها قولان:

الأوَّلُ: أَنَّهَا مِنْ جُلُوسِ الْإِمَامِ عَلَى الْمَنْبَرِ إِلَى انْقِضَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، **والثَّانِي:** أَنَّهَا بَعْدَ الْعَصْرِ.

لقد فضل الله تعالى يوم الجمعة بفضائل كثيرة . وقد أحسن وأفاد ابن القيم في ذكرها وتعدادها في كتابه زاد المعاد .، وقد اختص الله عز وجل الأمة المحمدية بهذا اليوم المبارك، ومن المعلوم أن الله سبحانه فضل بعض الأيام على بعض، وفضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الأماكن على بعض، كما فضل بعض النبيين والرسل على بعض، قال الله تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } (البقرة: 253)، وله في ذلك الحكمة البالغة سبحانه، فهو القائل عز وجل عن نفسه: { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء: 23). (الشبكة الإسلامية).

الفصل السابع عشر

اختصاصه ﷺ بجواز التبرك به وآثاره

معنى التبرك: البركة كما جاء في مختار الصحاح للجوهري 20/1: (النماء والزيادة، والتَّبرُّكُ الدعاء بالبركة ويقال بَارَكَ اللهُ لك وفيك وعليك وباركك ومنه قوله تعالى (أَنْ بوركَ مِنْ فِي النار) وقوله تعالى (وَتَبَارَكَ اللهُ) أي بَارَكَ وَتَبَرَّكَ به تيمناً به). اهـ

فالبركة كلمة تدل على الكثرة والنماء، ولا شك أن صفوة الخلق عليه الصلاة والسلام معدن الخير وموطن البركة، وبركته في ذاته وآثاره، فضلاً عن أفعاله وأقواله، وليس ذلك لأحدٍ سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما هو معلوم أن الله تبارك وتعالى أرسل الأنبياء جميعاً عليهم السلام بدين واحد هو الإسلام، وفضلهم على سائر المخلوقات، وجعل محمداً خاتمهم وأفضلهم وأكثرهم أتباعاً وأكثرهم بركة عليه الصلاة والسلام.

إن الله تعالى يبارك ما شاء من الدوات والأمكنة والأزمنة، وقد جعل البركة في جسد النبي صلى الله عليه وسلم، وما يخرج منه من عرق وبصاق، وقد ثبت تبرك أصحابه رضوان الله عليهم بذلك، وليس ذلك مستغرباً، فالله قادر على قلب هذه الأعيان وتطهيرها وتخليصها من الأذى، وجعلها شفاء ودواء.

وقد كانت هذه القضية مثار اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت أسعد لحظاتهم حين يظفرون بشيء من آثاره الشريفة رجاء البركة، ووقائع السيرة خير شاهد على ذلك:

- **التبرك بآثاره كوضوئه وريقه وشعراته: مما ورد في التبرك بريقه صلى الله عليه وسلم** ما رواه البخاري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قوله عن يوم الحديبية : (فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه).
- وروى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصبوا علي من وضوئه فعقل).
- **ومما ورد في التبرك بيده صلى الله عليه وسلم** : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده، فيها فرما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها) رواه مسلم.
- **ومما ورد في التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم** ما رواه البخاري عن عثمان بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : (أرسلني أهلي إلى أم سلمة رضي الله عنها بقدر من ماء، فأخرجت لي وعاءً فيه ثلاث شعرات للنبي صلى الله عليه وسلم فحركته في الماء، فشربت منه، وكان إذا اشتكى أحد وأصابته عين جاءها بإناء). وقد ذكر أنس رضي الله عنه أن الصحابة كانوا يتسابقون على شعره كما روى ذلك الإمام مسلم.
- **ومما ورد في التبرك بلباسه صلى الله عليه وسلم** : عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : (جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي الشملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه،

فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا) رواه البخاري.

والآن إليك بيان مشروعية التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وآثاره بل محل إجماع بين السلف والخلف:

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (في شرحه لحديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قَالَ - في حديث طويل - : (فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اسْقِنَا يَا سَهْلُ فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ قَالَ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ) هَذَا فِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَسَّهُ أَوْ لَبَسَهُ، أَوْ كَانَ مِنْهُ فِيهِ سَبَبٌ، وَهَذَا نَحْوُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ وَأَطْبَقَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّلَاةِ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّوَضَةِ الْكَرِيمَةِ، وَدُحُولِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمِنْ هَذَا إِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا طَلْحَةَ شَعْرَهُ لِيُقَسِّمَهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِقْقَةَ لُثْكَفٍ فِيهِ بَنَتْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَجَعَلَهُ الْجَرِيدَتَيْنِ عَلَى الْقَبْرَيْنِ، وَجَمَعَتْ بَنَتْ مِلْحَانَ عَرَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَمَسَّحُوا بِوُضُوئِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَلَّكُوا وَجُوهَهُمْ بِنُحَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْبَاهَ هَذِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّحِيحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ وَاضِحٌ لَا شَكَّ فِيهِ). انتهى

وقد استند هذا الإجماع على أدلة كثيرة بعضها في السنة النبوية وبعضها آثار مروية:

1- مارواه البخاري ومسلم : عن عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ عَتَبَانُ فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنَتْ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ قَالَ فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْ الْبَيْتِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ فَقُمْنَا فَصَفَّنا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ).

والشاهد في الحديث قول عتبان رضي الله عنه (فأتخذه مصلي) وفي إقرار النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قول عتبان هذا: لأتبرك بالصلاة في المكان الذي ستصلي فيه.

2 - مارواه البخاري ومسلم أنه (كَانَ سَلَمَةُ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ الْأُسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ الْمُصْحَفِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ أَرَأَيْكَ تَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ هَذِهِ الْأُسْطُوَانَةِ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَهَا).

والشاهد في الحديث هو تبرك سلمة رضي الله عنه بالصلاة في الموطن الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فيه.

3- ما جاء الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَعَدُّوا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ

له، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ).

4- وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه في حفر الخندق وما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع، وصنع جابر لطعام قليل، ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الخندق جميعاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْزِنَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ. فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بَكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ، فَأَخْرَجْتَ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَائِزَةً فَلْتَخْزِزْ مَعِيَ، وَافْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبِزُ كَمَا هُوَ).

5- ما رواه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية، قال: (ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بَهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُجِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ غُرُوءُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمَلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالتَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا؛ وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بَهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ

على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُجدون إليه النَّظَرَ تعظيماً له، وإنه قد عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ فَأَقْبِلُوهَا).

6- ما رواه البخاري ومسلم : عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال - في حديث طويل - : فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اسْقِنَا يَا سَهْلُ فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ قَالَ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ) وقد سبق نقل ما قاله النووي في شرحه له.

7- ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: (دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِيْتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلِيمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجَعُهُ فِي طَبِينَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّبِيبِ).

8 -مارواه الإمام أحمد : عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ)¹.

قال الإمام الذهبي في معجم شيوخه ص55: (عن ابن عمر: أنه كان يكره مس قبر النبي صلى الله عليه وسلم)؛ قلت: كره ذلك لأنه رآه إساءة أدب.

¹ - ورواه الحاكم في المستدرک (560/4) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: (صحيح).

وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقيله فلم ير بذلك بأساً، ورواه عنه ولده عبد الله بن أحمد كما جاء سابقاً.

فإن قيل: فهلا فعل ذلك الصحابة؟! قيل: لأنهم عاينوه حيا وتملوا به وقبلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه، ونحن لما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل، ألا ترى كيف فعل ثابت البناني! كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحوورها.

ألا ترى الصحابة من فرط حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير لا سجود عبادة كما قد سجد إخوة يوسف - عليه السلام - ليوسف).

وقال العلماء أيضاً: اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ في حياته وبعد مماته ولا زال المسلمون بعدهم إلى يومنا هذا على ذلك، وجواز هذا الأمر يُعرف من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم قَسَمَ شَعْرَهُ حِينَ حَلَقَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَظْفَارَهُ.

أما اقتسام الشعر فأخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس، ففي لفظ مسلم أنه قال لما رمى صلى الله عليه وسلم الجمرة ونَحَرَ نُسْكُهُ وحلَّق ناول الحالِق شِقَّةَ الأيمن فحلَّق ثم دَعَا أبا طلحة

الأنصاريّ فأعطاه ثم ناوله الشَّقَّ الأيسر فقال: "اخلق"، فحلَّق فأعطاه أبا طلحة فقال: "اقسمه بين الناس".

وفي رواية لمسلم أيضًا "فبدأ بالشَّقِّ الأيمن فوزَّعه الشعرة والشَّعْرَتَيْنِ بين الناس" ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك ثم قال: "هاهنا أبو طلحة" فدفعه إلى أبي طلحة. وفي رواية أخرى لمسلم أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام قال للحلاق "ها"، وأشار بيده إلى الجانب الأيمن فقسَّم شعره بين مَنْ يليه، ثم أشار إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلَّقَه فأعطاه أمَّ سُلَيْم.

فمعنى الحديث أنه وزَّعَ بنفسه بعضًا بين الناس الذين يُلُونَهُ وأعطى بعضًا لأبي طلحة ليوزَّعه في سائرهم وأعطى بعضًا أمَّ سُلَيْم ففيه التبرُّك بآثار الرسول، فقد قَسَمَ صلى الله عليه وسلم شعره ليتبرَّكوا به وليستشفعوا إلى الله بما هو منه ويتقرَّبوا بذلك إليه، قَسَمَ بينهم ليكونَ بركةً باقيةً بينهم وتذكِرةً لهم.

ثم تبع الصحابة في حُطَّتِهِمْ في التبرُّك بآثاره صلى الله عليه وسلم من أسعده الله وتوارَدَ ذلك الخلف عن السلف. وأمَّا اقتِسَامُ الأظفار فأخرج الإمام أحمد في مُسنَدِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَلَّمَ أظفاره وقسَّمَهَا بين الناس، ومعلومٌ أَنَّ ذلك لم يكن ليأكلها الناس بل ليتبرَّكوا بها.

وعن ثابتٍ قال "كنتُ إذا أتيتُ أنسًا يُخَبِّرُ بِمَكَانِي فَأَدْخُلُ عَلَيْهِ فَأَخَذُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبِلُهُمَا وَأَقُولُ بَأَيِّ هَاتَانِ الْيَدَانِ اللَّتَانِ مَسَّتَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَقْبَلُ عَيْنِيهِ وَأَقُولُ بَأَيِّ هَاتَانِ الْعَيْنَانِ اللَّتَانِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم".

وروى البيهقيُّ في دلائل النبوة والحاكم في مُستَدْرَكِهِ وغيرُهما بالإسناد أن خالد بن الوليد فَقَدَ قَلَنْسُوَّةَ له يومَ اليرموك فقال اطلبوها، فلم يجدوها، ثمَّ طلبوها فوجدوها، فقال خالدٌ (اعتَمِرْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر

وهذه القصة صحيحة كما ذكر ذلك الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على المطالب العالية فقال "قال البوصيري رواه أبو يعلى بسند صحيح وقال الهيثمي رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجاهما رجال الصحيح" اهـ.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يَقْبِلُهَا. وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرِبُهُ يَسْتَشْفِي بِهِ. وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَسَلَهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، قُلْتُ: أَيْنَ الْمُتَنَطِّعُ الْمُنْكَرُ عَلَى أَحْمَدَ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلْمَسُ رُمَانَةَ مِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَمَسُّ الْحَجَرَةَ النَّبَوِيَّةَ، فَقَالَ: لَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ وَمِنْ الْبِدْعِ. اهـ.

وروى البخاري عن ابن سيرين قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ (عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ أَوْ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ أَنْسٍ) فَقَالَ: (لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةً مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).

وذكر النووي في كتاب تهذيب الصفات (24/3): وأوصى عمر بن عبد العزيز أن يدفن معه شيء كان عنده من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وأظفار من أظفاره وقال: إذا مت فاجعلوه في كفني. ففعلوا ذلك هذا قليل من كثير فالتبرك بالنبي وءاثاره أمر يحبه الله ورسوله وقد تبع

الصَّحَابَةُ فِي حُطَّتِهِمْ فِي التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَسْعَدَهُ اللَّهُ وَتَوَارَدَ ذَلِكَ الْخَلْفُ عَنْ السَّلَفِ.

وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فَلَا تَفَاتٍ بَعْدَ هَذَا إِلَى دَعْوَى مُنْكَرِي التَّوَسُّلِ وَالتَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثامن عشر

اختصاصه ﷺ بأن عُرِضَتْ عليه الأمم عامة وأمته وأعمالهم وعرضت عليه الجنة والنار

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ أن صلاة أمته عليه تُعرض عليه ﷺ.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى عرض عليه أعمال أمته حسننها وسيئها.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأن أعمال أمته تعرض عليه في حياته البرزخية.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن عرضت عليه الجنة والنار.

الخصوصية السادسة: اختصاصه ﷺ بأن أكرمه الله بأن عرض عليه الأنبياء السابقين وأممهم.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ أن صلاة أُمته عليه تُعرض عليه ﷺ

عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَقُولُونَ: بَلَيْتَ -؟ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ)؛ رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح، ورواه الإمام أحمد والدارمي والنسائي وابن ماجه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنْ أَحَدًا يَصْلِي عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ: إِنْ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ)؛ رواه ابن ماجه والطبراني بإسناد جيد.

قَالَ الْمُتَنَوِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ) أَيُّ تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَهُهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً ؛ وَإِنَّمَا حَصَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَالْمُصْطَفَى سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِيهِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ.

قال ابن علان في دليل الفالحين : قال الشيخ ابن حجر الهيتمي وغيره: ويوم الجمعة كغيره في أن النبي يسمع بأذنيه الصلاة عليه إن كانت بحضرته بين يديه، وإلا فتبلغه الملائكة إياها، وما اشتهر من قول العامة أن النبي ليلة الجمعة يسمع بأذنيه الصلاة عليه محمول على ما ذكر.

قلت: وعرض الصلاة عليه يختلف عن مجرد إبلاغه بأن فلاناً قد صلى عليك، فكأن العرض فيه نوعٌ من التفصيل والاهتمام بتلك الصلاة في يوم الجمعة لما فيه من المزية والخصوصية، والله أعلم.

وهذا الحديث دليل على أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنهم أحياء في قبورهم حياة برزخية تختلف عن حياة الدنيا، وتختلف عن الحياة الآخرة بعد البعث والنشور، فلا يقال: إن حياتهم في قبورهم كحياتهم في الدنيا، بل حياتهم في البرزخ تختلف عن حياتهم في الدنيا، وتختلف عن حياتهم بعد البعث والنشور، والمؤمن يصدق بكل ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ويؤمن بكل ما أخبر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنهم باقون في قبورهم على الهيئة التي وضعوا عليها لا تأكلهم الأرض، بل أجسادهم باقية، وهم أحياء في قبورهم حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء التي قال الله عز وجل فيها: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

فأخبر عن الشهداء بأنهم أحياء، ورسَل الله الكرام هم أكمل حياة من الشهداء، والحياة البرزخية لا يختص بها الأنبياء ولا الشهداء، بل هي ثابتة لكل من يموت، فكل من يموت في نعيم أو: عذاب، فيصل إلى جسده وروحه من النعيم أو: العذاب ما يستحقه، وحتى لو أن الأرض أكلت لحوم البشر من غير الأنبياء فإن العذاب يصل إلى من يستحقه، والنعيم يصل إلى من يستحقه، ولا تلازم بين كون الأرض تأكله وبين كونه لا يصل إليه النعيم أو: العذاب؛ لأن حياة البرزخ من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

هذا الحديث يدلنا على أن صلاتنا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ليس مختصاً بيوم الجمعة فقط فقد جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)** رواه النسائي والحاكم في المستدرک وصحَّحه، كما صححه الألباني في "صحيح الترغيب".

قال العلامة الملا على القاري رحمه الله تعالى : (يُبَلِّغُونِي) : مِنَ التَّبْلِيغِ، وَقِيلَ: مِنَ الْإِبْلَاحِ، وَرُويَ بِتَخْفِيفِ النُّونِ عَلَى حَذْفِ إِحْدَى التَّوْنَيْنِ، وَقِيلَ: بِتَشْدِيدِهَا عَلَى الْإِدْغَامِ، أَيُّ: يُوصِّلُونَ **(مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)** : إِذَا سَلَّمُوا عَلَيَّ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَهَذَا مُحْضُوصٌ بِمَنْ بَعْدَ عَنْ حَضْرَةِ مَرْقَدِهِ الْمُنَوَّرِ وَمَضْجَعِهِ الْمُطَهَّرِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى حَيَاتِهِ الدَّائِمَةِ وَفَرَجِهِ يُبْلُغُ سَلَامَ أُمَّتِهِ الْكَامِلَةِ، وَإِعْمَاءَ إِلَى قَبُولِ السَّلَامِ حَيْثُ قَبِلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَتْهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ¹.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: **(مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)** رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)** أخرجه أبو داود. أي: بواسطة الملائكة؛ ولكن نصَّ على يوم الجمعة لخصوصيته، فلا ينافي ذلك ما جاء في الأحاديث الأخرى من أن الصلاة تعرض عليه في كل وقت وحين كما جاء ذلك في الأحاديث التي أشرنا إليها.

¹ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - للعلامة الملا على القاري - (743/2).

الخصوصية الثانية

اختصاصُهُ ﷺ بأن الله تعالى عرض عليه أعمال أُمته حسنُها وسيئُها

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (قال المؤلف - النووي رحمه الله - فيما نقله عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا)، عُرِضَتْ عَلَيَّ: يعني بُلِّغْتُ عنها، وَبَيَّنَّتْ لِي، والذي بَيَّنَّها له هو الله - عزَّ وجلَّ - لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يَحْلِلُ ويَحْرِمُ ويوجب، فعرض الله عزَّ وجلَّ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المحاسن والمساوئ من أعمال الأمة، فوجد من محاسنها: الأذى يُمَاطُ عن الطريق، ويُمَاطُ: يعني يزال، والأذى: ما يؤذي المارة؛ من شوك، وأعواد، وأحجار، وزجاج، وأرواث، وغير ذلك. كلُّ ما يؤذي فإمَاطَتُهُ من محاسن الأعمال)¹.

قال الأستاذ الدكتور خالد بن عبد الله المصلح حفظه الله: والعرض من الله عز وجل إما مباشرة أو بواسطة ملك والمقصود أن النبي ﷺ عرض عليه أعمال الأمة ما يكون منها من الأعمال حسنُها وسيئُها يعني ما كان منها صالحًا يؤجر عليه أصحابه وما كان منها سيئًا يعاقب به فاعله، ثم ذكر - صلى الله عليه وسلم - فيما رآه من الحسن وفيما رآه من السيئ.

واختار النبي ﷺ عملين أخبر بهما وهما : في الحسن إمَاطَةُ الْأَذَى عن الطريق وفي السيئ النُّخَاعَةُ أي النخامة تكون في المسجد لا تدفن، فذكر النبي ﷺ من جملة أعمال الأمة هذين

1 « - شرح رياض الصالحين - لابن عثيمين - (157/2) - نقلا عن شبكة الألوكة.

العملين وسبب اختيار هذين العاملين في الذكر أنهما من أيسر الأعمال إتياناً وتوقياً أي من أسهل ما يكون من العمل الذي يقوم به الإنسان إتياناً إمطة الأذى عن الطريق، لأنه لا يتكلف في الغالب إذ إنه ينحي عن الطريق ما يتأذى به الناس وهذا لا يكلف العامل شيئاً إذ إنه لا يطلب في العادة إنما يكون في طريق الإنسان وهو سائر فيجد أذى فينحيه وفي المقابل في السيئ النخاعة وهي النخامة تكون في المسجد أي في أرضه في داخله أو في فائه لا تدفن أي يراها الإنسان سواء من أخرجها أي من تنخم أو تنزع أو من رآها ولو لم تكن منه لا تدفن فهذه من الأمور اليسيرة التي يأتيها الإنسان وتكون سبباً للأجر ويتوقاها الإنسان وتكون سبباً للوزر إذ إن إزالة النخاعة والنخامة من المسجد من تعظيم شعائر الله - عز وجل - وهو أمر لا يكلف إذ إنه غاية ما هنالك أن تدفن أن يكب عليها من التراب ما يخفيها ويزيل صورتها القبيحة.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بأن القتال الذي سيقع بين أفراد أمته عرض عليه

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ (أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، وَسَفَكَ بَعْضُهُمْ دَمَاءَ بَعْضٍ، وَكَانَ ذَلِكَ سَابِقًا مِنَ اللَّهِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُؤَلِّينِي شَفَاعَةً فِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ففَعَلَ)¹.

قال المناوي في شرح خصائص الحبيب المسمى بتوضيح فتح الرؤوف المحيب: (والمراد بالرؤيا هنا الرؤيا العلمية القلبية الكشفية لا الرؤيا البصرية).

¹ - أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ؛ كما صححه السيوطي في الجامع الصغير والألباني في صحيح الجامع الصغير.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بأن أعمال أمته تعرض عليه في حياته البرزخية

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (حياتي خير لكم تحدثون ويُحدث لكم، ووفاتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم)¹.

قال الحافظ عبد الله الغماري : والمعنى : أن أعمال الأمة كلها تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أي يقال له: عملت أمتك من الطاعات كذا وكذا؛ ومعاصي كذا وكذا، فيحمد الله على طاعتهم، ويستغفر لذنوبهم

ويعلم صلى الله عليه وسلم أن هذه الأفعال منسوبة إلى أمته، لكنه لا يعلم أن هذا العمل منسوب إلى أفرادهم بمعنى أن فلانا كذا من الطاعات ؛ وأن فلانا فعل كذا من المعاصات فإن معرفة الفعل لا تتطلب معرفة صاحب ذلك الفعل.

ثم قال : عرض الأعمال على الأقارب يئيد حديث عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى**

¹ - قال الحافظ عبد الله بن محمد الغماري: صححه الهيثمي والجلال السيوطي، والشهاب القسطلاني، ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب الصلاة علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلًا بإسنادين صحح أحدهما الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي، وله مع هذا طرق كثيرة، وعرض الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العصاة والمبتدعين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم لا تعرض أعمالهم عليه، فإذا دعاهم يوم القيامة إلى حوضه قيل له: لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول سحقًا لمن بدل بعدي، كما جاء في الصحيحين من طرق، وبهذا يتفق الحديثان ولا يبقى بينهما تعارض، أما ترجيح أحدهما علي الآخر مع إمكان الجمع فغير جائز لأنه إلغاء لأحد الدليلين لغير مقتض وهو حرام كما نص عليه العلماء.

أَقَارِبُكُمْ وَعَشَائِرُكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا :
اللهم لا تُمِتَّهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا¹.

ثم ذكر رحمه الله آثارا كثيرة عن الصحابة والتابعين تدل على عرض الأعمال على الأقارب ؛ ومن ذلك :

قال ابن المبارك : - بسنده - عن عبد الله بن جبير أن أبا الدرداء كان يقول : (إِنْ أَعْمَالُكُمْ
تَعْرُضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ فَيَسْرُونَ وَيَسْأَوُونَ) وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول عند ذلك (اللهم
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا أَخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ).

وروى ابن أبي الدنيا من طريق بلال بن أبي الدرداء قال : كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجد
يقول : (اللَّهُ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَمَقَّتَنِي خَالِي ابْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيْتَهُ).

وقال أيضاً : إن عرض الأعمال مما خصَّ به نبينا عليه الصلاة والسلام كما خص في قبره
بحياة أكمل من حياة الشهداء وبالشفاعة وغيرها².

قلت : وقد عقد ابن رجب في كتابه أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور فصلا بعنوان :
(معرفة الموتى في قبورهم بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيا) ثم قال : وأما معرفة الموتى في قبورهم
بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيا فروى ابن أبي الدنيا في أول كتاب المنامات حدثنا عبد الله بن
شبيب حدثنا أبو بكر بن شيبه الحزامي حدثنا فليح بن إسماعيل حدثنا محمد بن جعفر عن أبي

1 - أخرجه أحمد (12683)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول؛ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصحيح ثم
تراجع وصححه في السلسلة الصحيحة (انظر الصحيحة : 6 / 605) - الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.

2 - جزء نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال - الحافظ عبد الله الغماري - (بتصرف).

كثير عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تفضحوا أقاربكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور).**

وروى ابن المبارك بإسناده عن سعيد بن جبير أنه سئل: هل يأتي الموتى أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيرا سر به وإن كان شرا ابتأس وحزن حتى إنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا قد خولف به إلى أمه الهاوية.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء بإسناده عن عبيد بن سعيد عن أبي أيوب الأنصاري قال: غزونا حتى انتهينا إلى القسطنطينية فإذا قاص يقول: من عمل صالحا من أول النهار عرض على معارفه إذا أمسى من أهل الآخرة ومن عمل عملا من أول الليل عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة فقال له أبو أيوب: أيها القاص ما تقول؟ فقال: والله إن ذلك كذلك فقال: اللهم لا تفضحني عند عبادة بن الصامت ولا عند سعد فيما عملت بعدهما.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بأن عرضت عليه الجنة والنار

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عَظَامًا، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ، وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: سَلُونِي)، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: (أَبُوكَ حُدَافَةُ ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: سَلُونِي) فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفًا فِي غُرُضٍ هَذَا الْحَائِطِ، فَلَمْ أَرَ كَاخِيرَ وَالشَّرِّ) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عباس، قال: (انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت؟ فقال: (إني رأيت الجنة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتُ منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أرَ منظراً كالיום قطُّ أقطع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بيم، يا رسول الله؟ قال: بكفرهنَّ قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط)؛ رواه البخاري ومسلم.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن أكرمه الله بأن عرض عليه الأنبياء السابقين وأممهم

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَانْظُرْتُ إِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ، إِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسَ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ،

فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) رواه البخاري ومسلم.

قال الأستاذ الدكتور خالد بن عبد الله المصلح حفظه الله:

قوله: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ) أي في منامه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وقيل: هذا العرض لما أسري به والصواب أنه عرض في المنام كان قد رآه النبي . صلى الله عليه وسلم . رأى فيه الأمم أي: رأى الأنبياء ومن أجابهم من الأمم المتقدمة.

الفصل التاسع عشر

اختصاصه ﷺ بأنواع من العصمة والحفظ والرعاية والعناية الإلهية

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بعصمة الله تعالى له من أن يغتاله أحد من الإنس والجن.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بمزيد عناية الله تعالى به.

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بشق له صدره عدة مرات عناية به من رب الأرض والسموات.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بحماية الله تعالى له من محاولة الشياطين قتله.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بإسلام شيطانه.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الشيطان لا يتمثل به.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بعصمة الله تعالى له من أن يغتاله أحد من الإنس والجن

قال أهل العلم: لقد أحاط الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بحفظه ورعايته، وعصمه من مكر المشركين أفرادا وجماعات، رجالا ونساء، قبل الهجرة وبعدها، ورد كيدهم عليهم فانقلبوا خاسرين خائبين. ثم اعلم أن عصمة الله تعالى لشخص النبي صلى الله عليه وسلم من القتل هو أيضا عصمة لشرعه من التحريف والضياع.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67] .

قال القرطبي رحمه الله تعالى: والله يعصمك من الناس فيه دليل على نبوته ، لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم ، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمره الله به.

وسبب نزول هذه الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة فجاء أعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : (من يمنعك مني ؟ فقال : الله؛ فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده ؛ وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه) ؛ ذكره المهدوي.

وذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء قال : وقد رويت هذه القصة في الصحيح ، وأن غورث بن الحارث صاحب القصة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ، فرجع إلى قومه وقال : (جئكم من عند خير الناس).

وعصمة الله تعالى له ﷺ ظهرت في كثير من محاولات الاغتيال التي تعرض لها : منها:

1/ حماية الله تعالى له ﷺ من محاولة المشركين قتله عند الهجرة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً، لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم يفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: هؤلاء الملاء من قومك قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك، قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك. قال: (أبنيّه، اثنيّن بوضوء). فتوضأ، ثم دخل المسجد، فلما رأوه، قالوا: ها هو ذا، فخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من تراب، وقال: (شاهت الوجوه)، ثم حصبهم ، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر) رجاله رجال الصحيح.¹

وعنه رضي الله عنه قال : أن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي . قالوا : أجل ، ادخل فدخل معهم فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره . قال : فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابعة ، إنما هو كأحدهم ، قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم برأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه :

¹ - أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.

حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قال : فانظروا في غير هذا. قال : فقال قائل منهم : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم ، فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله وطلاوة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ، ثم استعرض العرب ، ليجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله ، فانظروا بابا غير هذا.

قال : فقال أبو جهل ، لعنه الله : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرموناه بعد ، ما أرى غيره . قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما شابا وسيطا نهدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل - كلها - فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقيمون على حرب قريش كلها . فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل ، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه . قال : فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي . القول ما قال الفتى لا رأي غيره ، قال : فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له . فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم .

فلم يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة - في سورة الأنفال - يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30] .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - في حديثه عن الهجرة - قال : (فارتحلنا بعد ما مالت الشمس وأتبعنا سراقه بن مالك فقلت أئتنا يا رسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله معنا ، فدعا

عليه النبي . صلى الله عليه وسلم . فارتطمت به فرسه إلى بطنها، فقال: إني أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي – صلى الله عليه وسلم – فنجا فجعل لا يلقى أحدا إلا قال كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحدا إلا رده، قال: ووفاي لنا) رواه البخاري.

2/ حماية الله تعالى له ﷺ من محاولة المشركين قتله بعد الهجرة:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل) متفق عليه . كان ذلك في غزوة أحد .

3/ حماية الله تعالى له ﷺ من محاولة أحد المشركين قتله وهو في السفر :

في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله ثم قال في الثانية من يمنعك مني؟ قلت : (الله) قال : (فشام السيف فيها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

4/ حماية الله تعالى له ﷺ من محاولة اليهود قتله ﷺ:

حاولوا قتله صلى الله عليه وسلم بعد بدر ، فأرسل بنو النضير إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ، ولنخرج في ثلاثين حبرا حتى نلتقي في مكان كذا وكذا ، نصّف بيننا وبينك ، فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. ثم قالوا : كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلا ؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك ، فاشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فرجع ، فلما كان الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم. وتم إجلاء يهود بني النضير¹ .

وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك قال : (ما كان الله ليسلطك على). قالوا : ألا نقتلها ؟ قال: (لا . قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ) رواه البخاري ومسلم².

1/ هذه القصة رواها عبد الرزاق في مصنفه ، ورواها أبو داود في سننه من طريق عبد الرزاق ، غير أنه لم يذكر تفاصيل القصة ، بل جاء فيه " ... يسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم ". والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود.

2 - هذه القصة رواها عبد الرزاق في مصنفه ، ورواها أبو داود في سننه (3004) من طريق عبد الرزاق ، غير أنه لم يذكر تفاصيل القصة ، بل جاء فيه " ... يسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم ". والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود

43/ اللهوات : جمع لهة ، وهي اللحمية الحمراء المعلقة في أقصى الحنك ، قال النووي : كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره . واسم هذه المرأة : زينب بنت الحارث ، امرأة سلام ابن مشكم أحد زعماء اليهود . وقد اختلفت

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (لما فتحت خيبر أهديت لرسول ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك ؟ فقالوا أردنا إن كنت كذابا نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك) رواه البخاري .

5/ حماية الله تعالى له ﷺ من محاولة المنافقين قتله ﷺ:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : (كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة، أو أنا أسوق الناقة وعمار يقود به، حتى إذا كنا بالعقبة في غزوة تبوك إذا باثني عشر رجلاً قد اعترضوه فيها، قال: فأنبهت رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله ﷺ: (هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا؛ يا رسول الله! قد كانوا متلثمين، ولكننا قد عرفنا الركاب).

قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا . قال: أرادوا أن يزحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة فيلقوه منها. قلنا: يا رسول الله! أولا تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم. قال: (لا، أكره أن يتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل لقومه) وأنزل الله - عز وجل - فيهم قرآناً يقول : يعني: المنافقين من قتل النبي ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك، وكانوا اثني عشر رجلاً) رواه أحمد والبيهقي وابن جرير في تفسير وابن كثير، البداية والنهاية (20/5).

الروايات في قتلها ، والظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلها أولا ، فلما مات بشر بن البراء بن معرور متأثراً بهذا الطعام ، قتلها قصاصاً.

وعن أبي الطفيل -رضي الله عنه - قال: (كان بين رجل من أهل العقبة ، وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك، فقال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة ، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشى ، فقال: (إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ) رواه مسلم.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بمزيد عناية الله تعالى به ﷺ

قال الله تعالى له : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) سورة الطور.(48)

قال الرازي: وقوله تعالى : (فإنك بأعيننا) فيه وجوه :

الأول : أنه تعالى لما بين أنهم يكيدونه كان ذلك مما يقتضي في العرف المبادرة إلى إهلاكهم لئلا يتم كيدهم فقال : اصبر ولا تخف ، فإنك محفوظ بأعيننا .

ثانيها : أنه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فإنك بمرأى منا نراك ، وهذه الحالة تقتضي أن تكون على أفضل ما يكون من الأحوال ، لكن كونك مسبحا لنا أفضل من كونك داعيا على عباد خلقناهم ، فاختر الأفضل فإنك بمرأى منا ثالثها : أن من يشكو حاله عند غيره يكون فيه إنباء عن عدم علم المشكو إليه بحال الشاكي ، فقال تعالى : اصبر ولا تشك حالك فإنك بأعيننا نراك فلا فائدة في شكواك ، وفيه مسائل مختصة بهذا الموضع لا توجد

في قوله (فاصبر على ما يقولون) [طه : 130] . **المسألة الأولى : اللام في قوله (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) تحتمل وجوها :**

الأول : هي بمعنى (إلى) أي اصبر إلى أن يحكم الله .

الثاني: الصبر فيه معنى الثبات ، فكأنه يقول فاثبت لحكم ربك ، يقال ثبت فلان لحمل قرنه .

الثالث : هي اللام التي تستعمل بمعنى السبب ، يقال : لم خرجت ؟ فيقال لحكم فلان علي بالخروج، فقال : (واصبر) واجعل سبب الصبر امتثال الأمر ، حيث قال واصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء آخر .

المسألة الثانية : قال هاهنا (بأعيننا) وقال في مواضع آخر (ولتصنع على عيني) [طه : 39] :

نقول لما وحد الضمير هناك وهو ياء المتكلم وحد العين ، ولما ذكر هاهنا ضمير الجمع في قوله (بأعيننا) وهو النون جمع العين ، وقال : (بأعيننا) هذا من حيث اللفظ ، وأما من حيث المعنى فالأن الحفظ هاهنا أتم لأن الصبر مطية الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث اجتمع له الناس وجمعوا له مكاييد وتشاوروا في أمره ، وكذلك أمره بالفلك وأمره بالاتخاذ عند عدم الماء وحفظه من الغرق مع كون كل البقاع مغمورة تحت الماء تحتاج إلى حفظ عظيم في نظر الخلق فقال بأعيننا .

المسألة الثالثة : فإن قيل فما الفرق في الموضعين حيث قال في طه (على عيني) [طه : 39]

وقال هاهنا (بأعيننا) وما الفرق بين على وبين الباء ؟

نقول معنى على هناك هو أنه يرى على ما يرضاه الله تعالى ، كما يقول أفعله على عيني أي على رضاي ، تقديره على وجه يدخل في عيني وألفت إليه ، فإن من يفعل شيئاً لغيره ولا يرتضيه لا ينظر فيه ولا يقلب عينه إليه ، والباء في قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) قد ذكرناها).

وإكمالاً لما ورد في كلام الرازي أعلاه أنقل ما قاله فارس البيان القرآني في هذا الزمان بلا منازع أعني الدكتور فاضل السامرائي فقد سئل هذا السؤال:

حينما تكلم ربنا تبارك وتعالى على سيدنا موسى قال (وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي) طه (39) ، ولما تكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) سورة الطور (48) فما الفروق الدلالية بين الآيتين؟

فأجاب بقوله: الصنع يكون في بداية الأمر، هو الكلام على موسى عليه السلام تكلم على ولادته ونشأته (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) طه (38-39) هذا في مرحلة طفولته (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) طه (40-41) والرسول ﷺ بعد الأربعين يحمل هم الرسالة كيف يقال له تصنع على عيني؟ وإنما هو يحتاج إلى رعاية الآن للتبليغ.

الدلالة العامة لقوله (وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي) أي ينشئك بالصورة التي يريدتها ابتداءً وبهيأة المكان الذي يريده ولما قال عن النبي صلى الله عليه وسلم (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) يعني يحفظك، كما قال (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر (14-13) السفينة قال تجري

بأعيننا يعني برعايتنا وحفظنا. (وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) المائدة (67) يعني يحفظك أنت تحت رعايتنا وحفظنا نراقب الأمر (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) طه (46) نحن نراك ونحفظك ونحميك ونرعاك يعني أنت تحت رعايتنا.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بشق له صدره عدة مرات عناية به من رب الأرض والسموات

المرة الأولى : شق صدره ﷺ وهو في سن الرابعة من عمره الشريف ببني سعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقُلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَنَرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: (وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ) رواه مسلم .

وعن عرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أُمِّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجا منه علقه سوداء فألقياها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياها رداه كما كان ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته . فوزني بعشرة فوزنتهم ثم قال : زنه بمائة من أمته .

فوزني بمائة فوزنتهم ثم قال : زنه بألف من أمته فوزني بألف فوزنتهم فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم) 1.

المرّة الثاني : شق صدره ﷺ وهو في السنة العاشرة من عمره الشريف :

عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال : يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال : (لقد سألت أبا هريرة إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو قال نعم فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر وقال أحدهما لصاحبه أفلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كههيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال اغدوا سلم فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير) رجاله ثقات 2 .

102/ أخرجه في المستدرک على الصحيحين وصححه الألبانی في السلسلة الصحيحة (1545).

2 / رواه أحمد (5/ 139) ، وقال المہتمی فی الجمع: رواه عبد الله (يعني ابن أحمد) ورجالہ ثقات، وثقہم ابن حبان (8/ 222، 223) .

المرة الثالثة : شق صدره ﷺ عند البعثة :

عن عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ، كيف علمت أنك نبي ؟ قال : (ما علمت حتى أعلمت ذلك يا أبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة » فقال أحدهما : أهو هو ؟ قال : فزنه برجل (فوزنت برجل فرجحته) قال : فزنه بعشرة (فوزني بعشرة فوزنتهم) ثم قال : زنه بمائة (فوزني بمائة فرجحتهم) ثم قال : زنه بألف (فوزني بألف فرجحتهم) ثم قال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمنته رجحها ، ثم قال أحدهما للآخر : شق بطنه فشق بطني فأخرج منه فغم الشيطان وعلق الدم فطرحها ، فقال أحدهما للآخر : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل الملاء ، ثم دعا بالسكينة كأنها رهرة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خُطْ بطنه فخاط بطني وجعلنا الخاتم بين كتفي فما هو إلا وليا عني كأنما أعاین أو فكأنما أعاین الأمر معاينة) وزاد ابن معمر في حديثه (فجعلوا ينثرون علي من كفة الميزان)¹.

المرة الرابعة: شق صدره الشريف ﷺ في ليلة المعراج :

جاء في البخاري: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فُجِرَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ) .. إلخ.

1/ قال في البحر الزخار (414/9) : (وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم سمع عروة من أبي ذر) وأخرجه البزار (437/9 ، رقم 4048) . قال الهيثمي (255/8) : فيه جعفر بن عبد الله بن عثمان بن كثير ، وثقه أبو حاتم الرازي وابن حبان ، وتكلم فيه العقيلي ، وبقيّة رجاله ثقات رجال الصحيح ، وانظر شرح اصول اعتقاد أهل السنة (3 / 483) .

فائدتان:

الفائدة الأولى : بيان الحِكم من شق صدره الشريف ﷺ:

لكل واحدة من هذه المرات في شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم حكمة بينها أهل العلم، ومنهم **الحافظ ابن حجر** فقد قال في الفتح مبينا تلك الحكم:

(فَالأَوَّلُ وَقَعَ فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: فَأَخْرَجَ عِلْقَهُ فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، وَكَانَ هَذَا فِي زَمَنِ الطُّفُولِيَّةِ فَشَاءَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ الْبَعْثِ زِيَادَةً فِي إِكْرَامِهِ لِيَتَلَقَّى مَا يُوحَى إِلَيْهِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ فِي أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ التَّطْهِيرِ.

ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِزَادَةِ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْغَسْلِ لِنَقْعِ الْمُبَالَعَةِ فِي الْإِسْبَاحِ بِحُضُولِ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي شَرْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ.

وأما لماذا لم يقع التطهير من غير شق؟ فالله تعالى أراد ذلك لحكمة هو يعلمها، ولا يسأل عما يفعل، ولم نقف على كلام لأهل العلم في بيان هذه الحكمة، ولعل الحكمة هي إظهار كرامة هذا النبي الكريم على الله تعالى، وعنايته به، فإنه لو أزال تلك العلة بدون إرسال الملك وشق الصدر لربما خفيت على الناس هذه الكرامة، وهذا التطهير.

وقال الدكتور أكرم ضياء العمري: (ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاب مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله. فلا يحل في قلبه شيء إلا التوحيد، وقد

دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم، رغم شيوع ذلك في قومه¹.

وقال ابن عاشور: (وفي حديث شق الصدر: أن جبريل لما استخرج العلقة قال: هذا حظ الشيطان منك؛ يعني: مركز تصرفاته، فيكون الشيطان لا يتوصل إلى شيء يقع في نفس نبينا صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة تدبير شيء يشغل النبي حتى ينسى).

وفي هذا الشق للقلب وإخراج العلقة منه كما في الحديث؛ تهيئة لقلب النبي صلى الله عليه وسلم لتلقي القرآن والقيام بأعباء الدعوة كما قال تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) [المزمل: 5] فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش.

ثم إن هذا الشق بمثابة التخلية قبل التحلية أي: تخلية قلبه من كل ما يمنعه من التلقي وتحليته بالقرآن وجميل الخصال تهيئة له لتحمل أعباء الرسالة².

قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عن الحكمة في ذلك: (يبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتهيئته للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين اسماع الناس وأبصارهم).

¹ - السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية - (104 / 1) - (إسلام أون لاين).

² - وقفات مع حادثة شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم - مقال للدكتورة خديجة أبوري - موقع - مركز ابن للقطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة.

وقال أحد العلماء : ومن دلالات هذه الواقعة أنها جمعت بين شرحٍ حسيٍّ بشق صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشرحٍ معنوي بتطهير قلبه صلى الله عليه وسلم وتزكية نفسه، فهو صلى الله عليه وسلم النبي المطَّهر مظهرًا ومخبَّرًا، الجامع لمحاسن الصفات ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الشرح (1).

الفائدة الثانية : قال العلامة أبو النجاح أحمد بن علي المنيني في منظومته مواهب الحبيب في نظم خصائص الحبيب:

وَالشَّقُّ لِلصَّدْرِ بِهِ قَدْ خُصَّصَا عَلَى خِلَافٍ بَيْنَهُمَا قَدْ نُصَّصَا
وَالْوَجْهُ أَنَّ الشَّقَّ بِالتَّكْرُرِ لَمْ يَتَّفَقْ لِغَيْرِ طِهِ الْمُنْذِرِ

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بحماية الله تعالى له من محاولة الشياطين قتله ﷺ

محاولة الشياطين اغتياله ورد في ثلاث روايات :

الأولى : عن عبد الرحمن بن خنيس رضى الله عنه أن رجلاً سأله فقال: كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كادته الشياطين؟ فقال: انحدرت الشياطين من الأودية والشعاب يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم شيطان معه شعلة من نار أن يحرق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهم فزع، فجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، قل: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرًّا وَدَرًّا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَارْحَمَنُ)

رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن السني وصحح إسناده الأرنؤوط في تحريجه للطحاوية (ص 133).

الثانية: في صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك"، ثم قال: "ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً"، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك قال: (إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهي، فقلت: "أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان، لأصبح موثقاً يلعب به ولدان المدينة).

الثالثة: وقد تكرر هذا أكثر من مرة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: (إن عفريتاً من الجن تفلّت علي البارحة -أو كلمة نحوها- ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: رب هب لي مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعدي: (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فرده الله خاسئاً).

وجاء في رواية النسائي بقوله: (فأخذته، فصرعته، فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي)، وعند ابن أبي الدنيا: (فأخذت بحلقه، فوالذي بعثني بالحق؛ ما أرسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولولا دعوة أخي سليمان؛ لأصبح طريحاً في المسجد)

فائدة: من خصائصه ﷺ رؤيته للجن :

قال بدر الدين العيني في عمدة القاري : (قال ابن بطال: ورؤيته عليه السّلام العفريت هو مما حُصِّ به كما حصَّ برؤية الملائكة، وقد أخبر عليه السّلام: أنَّ جبريل عليه السّلام له ست مئة جناح، ورأى النَّبي عليه السّلام الشَّيْطان في هذه الليلة، وأقدره الله عليه لتجسمه؛ لأنَّ الأجسام ممكن القدرة عليها، ولكنَّه ألقى في روعه ما وهب سليمان عليه السّلام، فلم ينفذ ما قوي عليه من حبسه؛ رغبة عما أراد سليمان الانفراد به وحرصاً على إجابة الله دعوته، وأمَّا غير النَّبي عليه السّلام من الناس؛ فلا يُمكن منه، ولا يرى أحدُ الشَّيْطان على صورته غيره عليه السّلام؛ لقوله تعالى: (إِنَّهُ يَرَأَيْكُمْ)؛ الآية، لكن يراه سائر الناس إذا تشكّل في غير شكله، كما تشكّل الذي طعنه الأنصاري حين وجده في بيته في صورة حية فقتله، فمات الرجل به، وبَيَّن النَّبي عليه السّلام ذلك بقوله: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْهُوَامِ شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ؛ فَاقْتُلُوهُ)، رواه الترمذي والنسائي .

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بإسلام شيطانه

أخرج أحمد ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ". قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ "وَإِيَّايَ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ. فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ).

وأخرج مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا. قَالَتْ فَعَرْتُ عَلَيْهِ. فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ. فَقَالَ: (مَا لَكَ؟ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتِ؟) فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَقَدْ جَاءَكَ

شَيْطَانُكَ؟) قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟! قَالَ: (نَعَمْ) قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟
قَالَ: (نَعَمْ) قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (نَعَمْ؛ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ).

وقد ذكر النووي في شرح هذا الحديث الخلاف في رواياته وال ترجيح بينها فقال ¹:

قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ ؛ قَالُوا :
وَإِيَّاكَ ؟ قَالَ : وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ).

قوله : (فَأَسْلَمَ) بِرَفْعِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا ؛ وَهُمَا رَوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَمَنْ رَفَعَ قَالَ : مَعْنَاهُ : أَسْلَمْتُ
أَنَا مِنْ شَرِّهِ وَفْتَنَّتِهِ وَمَنْ فَتَحَ قَالَ : إِنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ ؛ مِنَ الْإِسْلَامِ وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا
بِخَيْرٍ ؛ وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْجَحِ مِنْهُمَا فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الرَّفْعُ ؛ وَرَجَّحَ الْقَاضِي
عِيَّاضُ الْفَتْحُ وَهُوَ الْمُخْتَارُ ؛ لِقَوْلِهِ : (فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ) وَاخْتَلَفُوا عَلَى رِوَايَةِ الْفَتْحِ ، قِيلَ
: أَسْلَمَ بِمَعْنَى اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ ؛ وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْرِ صَحِيحٍ مُسْلِمٍ (فَاسْتَسْلَمَ) وَقِيلَ :
مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ).

وقال أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة 1/185 (قيل أسلم أي آمن ، فيكون عليه
السلام مختصا بإسلام قرينه وإيمانه).

¹ - موقع الإسلام سؤال وجواب.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن الشيطان لا يتمثل به ﷺ

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي). وفي رواية للبخاري (ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي). وفي رواية: (من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوني) أخرجه البخاري.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: معناه أن رؤياه صحيحة، ليست بأضغاث.

قال ابن الملقن: (قال بعض العلماء: خص صلى الله عليه وسلم بأن رؤيته في المنام صحيحة، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما منع أن يتصور في صورته في اليقظة إكراماً له ؛ إذا تقرر ذلك، فما سمعه الرائي في المنام مما تتعلق به الأحكام، لا يعمل به لعدم ضبط الرائي، لا للشك في الرؤيا، فإن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف، والنائم بخلافه)¹.

قال: ونقل النووي أيضاً في شرح مسلم - في باب بيان أن الإسناد من الدين - عن أصحابنا وغيرهم، أنهم نقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع، ثم قال: وهذا في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به لولاه، وأما إذا رآه وأمره بفعل ما

¹ - غاية السؤل ص 291، وروضة الطالبين 16/7.

هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام، بل بما تقرر في أصل ذلك الشيء).¹

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ بأن الغمامة والشجرة كانت تظله من حر الشمس في سفره قبل النبوة

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب . . . فذكر القصة وفيها (فأقبل ﷺ وعليه غمامة تظله ، قال : انظروا إليه غمامة تظله ! فلما دنا على القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، قال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه)².

كما ذكره أهل السيرة كابن هشام وغيره، وإليه أشار صاحب قرة الأبصار بقوله:

ثم إلى الشام مع العم ارتحل والعمر في ثلاثة العشر دخل

فرده خوفا من اليهود عليه أهل المكر والجحود

وعاد مع ميسرة للشام وهو من الرحمن في إكرام

تظله الأملاك في المسير حين اشتداد الحر في الهجير

¹ - غاية السؤل ص 292.

² - أخرج الترمذي (296/4 بشرح التحفة) وأبو نعيم في (دلائل النبوة 53/1) والحاكم (615/2-616) وابن عساكر في (التاريخ 1/187-1/188) قال الألباني : فهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

الفصل العشرون

الخصائص التي اختصَّ الله عزَّ وجلَّ بها النبي ﷺ في الآخرة

المبحث الأول : اختصاصه الله تعالى بعدد من الشفاعات ﷺ.

الخصوصية الأولى : شفاعته ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء.

الخصوصية الثانية : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار.

الخصوصية الثالثة : شفاعته ﷺ في رفعة درجات بعض أهل الجنة.

الخصوصية الرابعة : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

الخصوصية الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيناتهم ليدخلوا الجنة.

الخصوصية السادسة : شفاعته ﷺ في أقوام قد أُمرَ بهم إلى النار ألا يدخلوها.

الخصوصية السابعة : شفاعته ﷺ في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة.

الخصوصية الثامنة : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه.

المبحث الثاني : مجموعة من الخصائص النبوية المتعلقة بعرضات القيامة.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بالسيادة والإمامة .

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بكونه قائداً للأنبياء وحامل لوائهم يوم القيامة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بسجوده تحت العرش وثنائه على الله تعالى.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بقيامه عن يمين العرش.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بشهادته مع أمته على الأمم بتبليغ أنبيائهم وقيام الحجّة عليهم.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أوّل من يعبر الصراط من الرسل بأمته.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بنهر الكوثر.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأن أمته أول الأمم يقضي بينها وأولها حساباً.

الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ.

المبحث الثالث : مجموعة من الخصائص المتعلقة به ﷺ بدخول الجنة.

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بفتح باب الجنة له قبل جميع الأنبياء والمرسلين.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بمنزلة الوسيلة.

الخصوصية الثالثة : جمع الله تعالى له ﷺ بين النبوة والشهادة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأنه أول مَنْ يشفع في دخول أمته الجنة قبل الناس.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جعل أمته أكثر أهل الجنة.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بدخول سبعين ألفاً من أمته الجنة بغير حساب.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة.

المبحث الأول

اختصاصه الله تعالى بعدد من الشفاعات ﷺ

مدخل.

الخصوصية الأولى : شفاعته ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء.

الخصوصية الثانية : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار.

الخصوصية الثالثة : شفاعته ﷺ في رفعة درجات بعض أهل الجنة.

الخصوصية الرابعة : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

الخصوصية الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة.

الخصوصية السادسة : شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها.

الخصوصية السابعة : شفاعته ﷺ في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة.

الخصوصية الثامنة : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه.

مدخل

اختصَّ الله عزَّ وجلَّ نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بجملة من الخصائص الأخروية ، لإظهار مكانته وعلو منزلته من جهة ، وبيان شرف هذه الأمة على غيرها من الأمم من جهة آخر . وهي خصائص كثيرة ستأتي في المباحث هذا الفصل تباعاً إن شاء الله تعالى ولكن أحببت أن أذكر في هذا المبحث الشفاعات¹ التي أعطاها صلى الله عليه وسلم وهي ثمانية²:

1 - والشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا إذا توفرت ثلاثة شروط ، دل عليها قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) . وقوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ؛ وقوله تعالى : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) . وقوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) وهي:

1-إذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع.

2-ورضاه سبحانه عن الشافع.

3-ورضاه عن المشفوع فيه.

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

2 - إن العلماء اختلفوا في شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أقوال متعددة، فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية أن شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات، بينما أثبت القاضي عياض خمس شفاعات ؛ وذكر ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية بأن الشفاعاة ثمانية أنواع منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله أن الشفاعاة ستة أنواع وكذلك الشيخ عمر بن سليمان الأشقر.

الخصوصية الأولى

شفاعته ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء

وهذه تسمى الشفاعة بالمقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى التي جعلها الله للنبي صلى الله عليه وسلم في أرض المحشر حيث يتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار من هول الموقف وطول الوقوف.

فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويشفع للناس وتلك هي الدعوة التي اختباها رسول الله من أجل الشفاعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)** رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)** رواه البخاري.

وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله في القرآن فقال: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا).

وهذه الشفاعة تكون من أجل فصل القضاء لإراحة الخلق من هول الموقف وطول القيام، عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول عليهم زمن وقوفهم مع ما يعانونه من الحر والأهوال والكربات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَةَ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: 6]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ بَكُمْ إِذَا جَمَعَكُمْ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبَلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ؟!)¹.

فيبحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم كي ينفس عنهم ما هم فيه من البلاء وليأتي سبحانه لفصل القضاء بين العباد ، فيأتون آدم فيعتذر ، فيأتون نوحاً فيعتذر ، فيأتون إبراهيم فيعتذر ، فيأتون موسى فيعتذر ، فيأتون عيسى فيعتذر ، فيأتون نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول : (أنا لها ، أنا لها فيشفع في أهل الموقف لفصل القضاء وذلك من المقام المحمود الذي وعده الله إياه في قوله : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإسراء:79].

وإليك سياق حديث الشفاعة الطويل ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَآجِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ هَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا هَا فَاسْتَأْذِنْ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مُحَمَّدٌ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ

¹ - أخرجه الحاكم المستدرک على الصحيحين وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقة ؛ وقال الألباني في السلسلة الصحيحة - (2817): له شواهد.

سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ .

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي حَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ ، فَقَالَ: هَيْهَ ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَاَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : هَيْهَ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا ، قُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا ، فَضَحِكَ وَقَالَ : خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ : (ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فَيَمْنُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزِّي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَإِنَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ثم ذكر الحديث إلى قوله : (فَانْطَلِقْ فَإِنِّي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعْ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى) رواه البخاري.

قال أحد العلماء : (والأنبياء وإن كانوا في أعلى مراتب العبودية فهم دون عبودية النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن يقولوا يوم القيامة نفسي نفسي، لأن يوم القيامة يوم ظهور المقام الحمدي بالمقام المحمود الذي لا ينبغي إلا لعبد واحد، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أمتي أمتي، فهو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع يوم يغضب الله تعالى غضباً لم يغضبه من قبل، فيقول صلى الله عليه وسلم: أنا لها، لأن أعظم تجليات جلال الألوهية لا يقوم لها إلا صاحب أعظم مقامات العبودية، وكل نبي يحيل إلى غيره إلى أن يصل الخلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليظهر الله تعالى تفرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصيته للخلق أجمعين: (سل تعط واشفع تشفع).

وما أجمل قول الشاعر:

نبينا ذو المنزل المُنِيف	يوم الحساب قام بالتخفيف
عن العباد من عناء المحشر	شفاعة عمّت جميع البشر
صلى عليه الله باري الورى	ما حج بيت الله في أم القرى

الخصوصية الثانية

شفاعته ﷺ في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي) صحيح سنن الترمذي.

وعند الطبراني بسند حسن قال ﷺ: (يدخل من أهل القبلة النار، مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ؛ بِمَا عَصَوْا اللَّهَ وَاجْتَرَأُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ، فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ)، فيسجد ﷺ تحت عرش الجبار، ويشفع لأهل التوحيد لمن سَقَطَ منهم في النار، فَيَحُدُّ لَهُ الرَّحْمَنُ حَدًّا، فَيُخْرِجُهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَعُودُ فَيُشْفَعُ ثَانِيَةً، وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً.

وتقدمت رواية البخاري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ، فَأُحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أُخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلِّ تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: (إن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرت أنها لأهل الكبائر... وأنها لمن قد أدخل النار، من غير أهل النار والذين هم أهلها أهل الخلود فيها، بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوبًا وخطايا فأدخلوا النار لتصيبهم سفعًا منها).¹

¹ - كتاب التوحيد، للإمام ابن خزيمة (2/ 659)، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، ط5، سنة النشر: 1414هـ - 1994م.

وقال الشيخ الدكتور سعيد بن وهف القحطاني رحمه الله تعالى¹.

شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها وهذه الشفاعة يشاركه غيره فيها. وهي تتكرر منه - صلى الله عليه وسلم - أربع مرات:

أ - يشفع فيمن كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان.

ب - ثم فيمن كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان.

ج ثم فيمن كان في قلبه أدنى حبة من خردل من إيمان.

ثم فيمن قال لا إله إلا الله ، وفي الصحيح قال فيقول الله تعالى: (شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط).

الخصوصية الثالثة

شفاعته ﷺ في رفعة درجات بعض أهل الجنة

ودليل ذلك ما رواه مسلم رحمه الله عن النبي ﷺ أنه دعا لأبي سلمة فقال: (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه).

وعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع

1 - شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة - (44/1).

أبي عامر فرمي أبوعامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبتته في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك.

فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني. فقصدت له فلحقته فلما رأيته فأتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحيي ألا تثبت.

فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء قال: يا ابن أخي أقرئ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم السلام وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبوعامر على الناس فمكث يسيرا ثم مات.

فرجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيته على سرير مرمل، وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال: قل له: استغفر لي. فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: (اللهم اغفر لعبيد أبي عامر) ورأيت بياض إبطيه ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس) فقلت: ولي فاستغفر. فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما) قال أبوبردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى متفق عليه.

مرمل: أي معمول بالرمال، وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسرة، كما في (الفتح). **نزا منه الماء:** أي انصب من موضع السهم، كما في (الفتح)¹.

¹ - استدلل بمذنبين الحديثين الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الشفاعة.

الخصوصية الرابعة

شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب

هذا النوع ذكره بعض العلماء واستدل له بحديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه : (ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَارْزُقْ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ) رواه البخاري ومسلم.

الخصوصية الخامسة

شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (وظهر لي بالتتابع شفاعاة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة).

قال الشيخ عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق الحمدي - في كتابه الشفاعة في الحديث النبوي¹ - : (ذهب جمهور المفسرين إلى أن أهل الأعراف هم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا هم استحقوا النار فيدخلونها ولا استحقوا الجنة فيدخلونها، وإن كان مآلهم إلى الجنة - برحمة الله - ورجح ذلك الحافظ ابن حجر بعد عرض الأقوال المختلفة فيهم.

1 - وهو في الأصل رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي.

ودليلهم في ذلك وإن قصر عن درجة الصحة إلا أن كثرة طرقه قد يقوي بعضها بعضها.

فمنها ما أخرجه الطبراني بسنده موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه: **(السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم)**. وهذا أصح حديث بشفاعته - صلى الله عليه وسلم - لهم، وهو : **أولاً : موقوف ؛ وثانياً :** فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ونقل أهل التفسير في ذلك اثارا لم تصح).

ثم تابع المحمدي قائلا : (والذي لاشك فيه هو أن اصحاب الاعراف يدخلون الجنة لقوله تعالى: (دُخِلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) والمنطق يقبل ذلك والا فكيف يدخل اصحاب الكبائر، ومن لم يعمل خيراً قط الجنة - باذن الله - وبشفاعة الشافعين - ابتداءً أو ختاماً وهؤلاء لا يدخلون؟! وهم اقل جرماً واكثر اجراً.

وهذا أمر مقطوع فيه ولكن الاشكال هو أيكون دخولهم الجنة بشفاعة النبي ام بغيرها؟! كما مر فانه لا دليل على انهم يدخلون بشفاعة النبي أو غيره ولا دليل ايضاً ينفي هذا وأهل العلم في ذلك مختلفون فمثلاً القاضي عياض والقرطبي والنووي وابن تيمية رحمهم الله لا يعدونها من أنواع شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ابن كثير وابن أبي العز ، وابن حجر العسقلاني وغيرهم؛ ولما لم تثبت تلك الشفاعاة بدليل قطعي فانها ظنية، وهي ضرب من الغيب ؛ والله اعلم¹.

¹ - انظر شرح مسلم ٣ / ٣٥، انظر التذكرة، القرطبي ١ / ٢٨٥.

الخصوصية السادسة

شفاعته ﷺ في أقوام قد أُمِرَ بهم إلى النار ألا يدخلونها

عن أبي هريرة وعبد الله بن الحارث رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فأمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنتقل وأستاذن على الرب عز وجل فيأذن لي فأسجد وأقول: يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار. قال: فيقول لي: انطلق فأخرج منهم. قال: فأنتقل وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقيون: يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستاذن. فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع. فأثني على الله بثناء لم يشن عليه أحد، أقول: ثم قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار. فيقول: انطلق فأخرج منهم. قال: فأقول: يا رب أخرج منهم من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان؟ قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي. قال: فأنتقل وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكا بكف من ماء فينضح بها في النار، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال: انطلقوا فتضيفوا الناس. فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المحررين).¹

1 - قال الودعي في كتابه الشفاعة : أخرجه الحافظ أبوبكر بن أبي الدنيا في «كتاب الأهوال» كما في «النهاية» لابن كثير (ج2 ص181) ؛ ثم قال : الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة وقد وثقه الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب. كما في «التهذيب» و«الميزان»، ويخشى أيضا من إرساله، فيحتمل أن يكون عبد الله ابن الحارث سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أن يكون أرسله، والله أعلم..

قال الحافظ ابن كثير - في البداية والنهاية (190/20) - : (وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها، ويكون معنى قوله: **(أخرج)** أي أنقذ، بدليل قوله بعد ذلك: **(ويبقى قوم فيدخلون النار)**، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب). وهذه الشفاعة أثبتها أيضا ابن أبي العز الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية.

الخصوصة السابعة

شفاعته ﷺ في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة

عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ: **(يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيقولون: يا أبانا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالَ: فيقول إبراهيم: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فيقول عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ) رواه مسلم¹.**

1 - وقام الحديث: **(وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنَّتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ قَالَ: قُلْتُ: بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَحْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ. وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا).**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (آيِ بَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحْ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ) رواه مسلم¹.

1 - وهناك الشفاعة لأرباب الذنوب والمعاصي ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بل يشاركه فيها الأنبياء والشهداء والعلماء والصلحاء والملائكة ، وقد يشفع للمرء عمله الصالح لكن للنبي صلى الله عليه وسلم من أمر الشفاعة النصيب الأوفر.

واليك هذا الحديث من أحاديث الشفاعة والدال على عموم الشفاعة في الأنبياء وغيرهم :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، حَتَّى ذَكَرَ مَرُورَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الصَّرْطِ وَشَفَاعَتِهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ : (يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُوهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نَصْفِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْنِي فَأَقْرَأُوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا) (فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي حَرِّ بَافُوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبَتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَحْضَرُ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيَقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) رواه البخاري.

الخصوصية الثامنة

شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: **(لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)** رواه البخاري ومسلم.

قال القرطبي رحمه الله تعالى - في التذكرة بعد ذكر هذا النوع - : (فإن قيل: فقد قال تعالى: **(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)** [المدر: 48]، قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى - في فتح الباري - : **(لعله تنفعه شفاعتي)** ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجي، واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم: **(تنفعه شفاعتي)**؛ بقوله تعالى: **(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)** [المدر: 48]، وأجيب بأنه خص ولذلك عدوه في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث، والمراد بها في الآية الإخراج من النار وفي الحديث: **(المنفعة بالتخفيف)** .

المبحث الثاني

مجموعة من الخصائص النبوية المتعلقة بعرضات القيامة

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بالسيادة والإمامة .

الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بكونه قائداً للأنبياء وحامل لوائهم يوم القيامة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بسجوده تحت العرش وثنائه على الله تعالى.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بقيامه عن يمين العرش.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بشهادته مع أمته على الأمم بتبليغ أنبيائهم وقيام الحجة عليهم.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أول من يعبر الصراط من الرسل بأمته.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بنهر الكوثر.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأن أمته أول الأمم يقضي بينها وأولها حساباً.

الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أبا القاسمِ ضَرْبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: مَنْ؟، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ادْعُوهُ، فَقَالَ: أَضْرَبْتُهُ؟، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَخْلَفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قُلْتُ: أَيُّ خَيْثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذْ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعَقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأَوَّلَى) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: (قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غَرَلًا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء: 104]، وَإِنْ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يَكْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ) [المائدة: 117]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْحَكِيمُ﴾، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُدْبِرِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ) رواه البخاري.

وقد يسأل سائل: عن السبب الذي أُعطي له إبراهيم عليه السلام هذه الفضيلة، ولم يجد ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم مع أنه أفضل.

وقد أجاب عن ذلك ابن حجر العسقلاني بقوله: (ويقال: إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه أُلقي في النار عرياناً، وقيل: لأنه أول من لبس السراويل، ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن المفضل قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة، ويمكن أن يقال: لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه)¹.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بالسيادة والإمامة

لقد ساد النبي صلى الله عليه وسلم قومه وجميع الخلق، فهو أفضل منهم في جميع الصفات والمناقب، ومن المعلوم أنه سيد الأولين والآخرين، ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

1/ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بلحماً فرفع إليه الذراع، وكانت تُعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه.

قال العلماء: السيد: هو الذي يفوق قومه ويُفزعُ إليه في الشدائد، وخصَّ يومَ القيامةَ بالذكرِ لارتفاعِ سُودِّهِ وتسليمِ جميعِ الخلقِ له، ولكونِ آدَمَ عليه السَّلامُ وجميعِ ولده تحتَ لوائِهِ، وهذا لا يُنافي السَّيادةَ في الدُّنيا؛ فهو صلى الله عليه وسلم سيدُّ ولدِ آدَمَ في الدُّنيا والآخرة.

¹ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر 10 / 134.

2/ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (قال رسول الله ﷺ قال لي جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم) رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما ، وقال الحافظ ابن حجر : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات المتن.

3/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع) رواه مسلم.

4/ وعن أنس قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون) رواه الدارمي و رواه الترمذي، وقال حسن غريب ، والبيهقي واللفظ له.

الخصوصية الثالثة

اختصاصه ﷺ بكونه قائداً للأنبياء وحامل لوائهم يوم القيامة

عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي) رواه الترمذي.

وذلك لأنه ﷺ له محامد في الآخرة في ساحة المحشر حين تدنو الشمس من الخلائق مقدار ميل، ويفزع الناس إلى الأنبياء الواحد تلو الآخر، إلى أن ينتهوا إلى حبيبنا محمد ﷺ ؛ ليشفع لهم في فصل القضاء، فيجري لسانه بحمد الله تعالى لم يسبق إليه.

وقد جاء تفصيل هذا المقام في السنة الصحيحة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بلخم فرفع إليه الذراع وكانت تُعجبه فنهش منها هشةً؛ ثم قال: (أنا سيد الناس

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ يُسْمِعُهُم الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ؛ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟! أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؛ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِأَدَمٍ) والحديث طويل مشهور.

والشاهد منه قوله ﷺ : (فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عِزَّ وَجَلٍّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعْ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمِّي يَا رَبِّ، أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ؛ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ) متفق عليه.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بسجوده تحت العرش وثنائه على الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه - جاء في حديث الشفاعة السابق - قوله صلى الله عليه وسلم: (فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عِزَّ وَجَلٍّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ) رواه البخاري.

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بقيامه عن يمين العرش

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولُ مَنْ تَنْشَقُّ الأرضُ عنه ، فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الجنةِ ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العرشِ ، ليسَ أحدٌ من الخلائقِ يقومُ ذلكَ المقامَ غيري) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

وقد نقل الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن القيم خصوصية عجيبة غريبة وعزاها إلى كثير من أئمة السلف رضي الله عنهم - وهي قوله:

[فائدة] قال القاضي صنف المروزي كتاباً في فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه إقعاده على العرش قال القاضي : وهو قول أبي داود وأحمد بن أصرم ويحيى ابن أبي طالب وإبي بكر بن حماد وأبي جعفر الدمشقي وعياش الدوري وأسحاق ابن راهويه وعبد الوهاب الوراق وإبراهيم الأصبهاني وإبراهيم الحربي وهارون ابن معروف ومحمد بن إسماعيل السلمي ومحمد بن مصعب العابد وأبي بكر بن صدقة ومحمد بن بشر ابن شريك وأبي قلابة وعلي ابن سهل وأبي عبد الله بن عبد النور وأبي عبيد والحسن ابن فضل وهارون بن العباس الهاشمي وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد ومحمد بن يونس البصري وعبد الله بن الإمام أحمد المروزي وبشر الحافي ، انتهى .

قال الشيخ ابن القيم : [قلت] : وهو قول ابن جرير الطبري وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني ومن شعره فيه:

حديث الشفاعة عن أحمد إلى أحمد المصطفى مسنده

وجاء حديث بإقعاده على العرش أيضاً فلا نجحده

أمروا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يُقَعده¹

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بشهادته مع أمته على الأمم بتبليغ أنبيائهم وقيام الحجة عليهم

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة: (143).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول له: هل بلغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟، فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول الله: من يشهد لك؟، فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ).

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ بأنه أول من يعبر الصراط من الرسل بأمته ﷺ

من سيادة النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين، أنه أول من يجوز الصراط بأمته إلى الجنة، فيمرون عليه على قدر أعمالهم، وبعضهم يقع في النار، ولكنهم لا يخلدون فيها بل تدركهم رحمة الله تعالى، وتلحقهم شفاعة الشافعين ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

¹ - بدائع الفوائد 0 للعلامة ابن القيم. (4/40) -

1 - ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ - أي: فأكونُ أَوَّلَ مَنْ يَمْضِي عليه ويقطعه - مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ) رواه البخاري.

2 - ما جاء عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ - أي: الصراط - على جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّقَاعَةُ، - أي: تقع ويؤذن فيها - وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وما الجسر؟ قال: (دَحْضُ مَرَلَّةٍ - أي: زلق لا تثبت الأقدام فيه - فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُؤْبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالْرِيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَتَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) رواه مسلم.

أي: هم ثلاثة أقسام: قِسْمٌ يَسْلَمُ فلا يناله شيء أصلاً، وقِسْمٌ يُخَدَشُ ثم يُرْسَلُ فيخلص، وقِسْمٌ يُكْرَدُسُ ويُلقَى فيسقط في جهنم. يقال: تَكَدَّسَ الْإِنْسَانُ إِذَا دُفِعَ مِنْ وَرَائِهِ فَسَقَطَ.

الخصوصية الثامنة

اختصاصه ﷺ بنهر الكوثر

وهو النهر العظيم الذي وعده الله به في الجنة ، يُسْقَى مِنْهُ أَتْبَاعُهُ مِنْ أُمَّتِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، رَوَى البخاري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك).

قال الله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) ، بهذه الآية الكريمة ، افتتح الله تعالى سورة الكوثر ،
مذكرا نبيه صلى الله عليه وسلم بنعمة عظيمة ، ومنة كريمة ، وموعود أخروي ، جعله الله عز
وجل كرامة لنبيه ، وبشارة له ولأمته من بعده ، ثم رتب على ذلك الوعد العظيم ، الأمر بالصلاة
والعبادة ، والوعد بالنصر والتأييد (فصل لربك وانحر إن شانتك هو الأبر).

والكوثر هو النهر الذي وعده الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وأصل كلمة الكوثر
يدل على الكثرة والزيادة ، ففيه إشارة إلى كمال الخيرات التي ينعم الله تعالى بها على نبيه صلى
الله وسلم في الدنيا والآخرة.

ولنهر الكوثر - الذي في الجنة - ميزابان ، يصبان في حوض ، وهو الحوض الذي يكون لنبينا
صلى الله عليه وسلم في أرض المحشر يوم القيامة ، فنهر الكوثر في الجنة ، والحوض في أرض
المحشر ، وماء نهر الكوثر يصب في ذلك الحوض ، ولهذا يطلق على كل من النهر والحوض (**كوثر**) ،
باعتبار أن ماءهما واحد ، وإن كان الأصل هو النهر الذي في الجنة.

وقد ورد في الأحاديث جملة من صفات نهر الكوثر : تجعل المؤمن في شوق إلى ورود ذلك
النهر ، والارتواء منه ، والاضطلاع من معينه ، فنهر الكوثر يجري من غير شق بقدرة الله تعالى ،
وحافاتاه قباب الدر المجوف ، وترا به المسك ، وحصباؤه اللؤلؤ ، فما ظنك بجمال ذلك النهر
وجلاله ، وما ظنك بالنعيم الذي حبي الله به نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أمته.

ولا تقل صفات ماء نهر الكوثر جمالا وجلالا عن النهر نفسه ، فقد ثبت في أحاديث للنبي
صلى الله عليه وسلم أن ماء نهر الكوثر أشد بياضا من اللبن ، وأحلى مذاقا من العسل ،
وأطيب ريحا من المسك ، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استمع إلى تلك الأوصاف
، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنها لناعمة يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(آكلوها أنعم منها) ، في إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن تلك الصفات العظمية ، وتلك النعم الجليلة ، ما هي إلا جزء يسير مما يمن الله به على أهل دار كرامته ، ومستقر رحمته.

وجاء الوصف النبوي لماء نهر الكوثر أيضا ، بأن من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا ، ولم يسود وجهه أبدا ، فكيف لك أن تتخيل جنة الخلد ، إذا كان نهرها وماؤها كذلك!!

أما الحوض الذي يكون في أرض المحشر ، فطوله مسيرة شهر ، وعرضه كذلك ، ولهذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء) ، أي أن أطرافه متساوية ، وجاء في وصف الحوض أيضا أن آنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها.

أما ماء الحوض فهو مستمد من نهر الكوثر كما سبق ، فصفت الماء واحدة ، كرامة من الله تعالى لنبيه والمؤمنين من أمته ، حيث يتمتعون بشيء من نعيم الجنة قبل دخولها ، وهم في أرض المحشر ، وعرصات القيامة ، في مقام عذيب ، وحر شديد ، وكرب عظيم.

والميزابان اللذان يصلان بين نهر الكوثر في الجنة ، وبين حوض النبي صلى الله عليه وسلم في أرض المحشر ، لا يقلان شأننا عن النهر والحوض ، فالميزابان أحدهما من فضة والآخر من ذهب ، فالماء من أطيب ما يكون ، ومقره من أرق ما يكون ، ومساره ومسيله من أغلى ما يكون.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تبين أن لكل نبي من الأنبياء حوضا في أرض المحشر وعرصات القيامة ، فقد ثبت عن سمرة بن جندب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال (إن لكل نبي حوضا ترده أمته ، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردا، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردا) ، فرحمة الله تعالى في ذلك الموقف قد شملت المؤمنين من كل الأمم ، فلكل نبي حوض ، يرده المؤمنون من أمته ، إلا أن حوض نبينا صلى الله عليه وسلم يتميز بثلاثة أمور:

الأول : أن ماءه مستمد من نهر الكوثر ، فمأؤه أطيب المياه ، وهذا لا يثبت لحوض غيره من الأنبياء ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

الثاني : أن حوضه صلى الله عليه وسلم أكبر الأحواض.

الثالث : أن حوضه صلى الله عليه وسلم أكثر الأحواض واردة ، أي يرد عليه من المؤمنين من أمته ، أكثر ممن يرد على سائر أحواض الأنبياء من المؤمنين من أمتهم.

ويحظى بشرف السبق في ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم من أمته فقراء المهاجرين ،
فعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : **(أول الناس وروداً**
عليه فقراء المهاجرين الشُّعْثُ رؤوساً الدُّنسُ ثياباً الذين لا يَنْكِحُونَ الْمُنْعِمَاتِ ولا يفتحُ هُـم
أبوابُ السُّدُدِ)¹.

السُّدُدُ : هي القصور الخاصة بالمترفين ، فكما أنهم كانوا أفقر الناس في الدنيا ، وأقلهم منصبا ، وأدناهم شأنًا ، مع ما كانوا عليه من قوة اليقين ، وصدق الإيمان ، وعظيم البذل والتضحية في سبيل الله تعالى ، فقد نالوا كرامتهم في أرض المحشر ، بورودهم أول الناس على حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم عظيم منة الله تعالى عليه في نزول سورة الكوثر ، وعظيم نعمته في تكريمه بنهر الكوثر ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **(بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ، ثم رفع رأسه متبسما ، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت علي آتفا سورة فقراً (بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ، ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟**

¹ - أخرجه الترمذي وابن ماجه ؛ وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة ، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم - يعني يبعد عنه بعض الناس - ، فأقول رب إنه من أمتي ، فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك (رواه مسلم .

الخصوصية التاسعة

اختصاصه ﷺ بأن أمته أول الأمم يقضي بينها وأولها حسابا

1 - وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ). وفي رواية: (الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم.

2 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: (نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيِّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ) رواه ابن ماجه بسند صحيح .

وقد تحدّث ابن القيم - رحمه الله - عن ستّ مزايا لهذه الأمة سبقت بها غيرها من الأمم يوم القيامة، إذ يقول: (فهذه الأمة أسبقت الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقتهم إلى أعلى مكانٍ في الموقف، وأسبقتهم إلى ظلّ العرش، وأسبقتهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقتهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقتهم إلى دخول الجنة، فالجنة مُحَرَّمَةٌ على الأنبياء حتى يدخلها محمدٌ صلى الله عليه وسلم، ومُحَرَّمَةٌ على الأمم حتى تدخلها أُمَّتُهُ) أ.هـ.

وذكر ابن حجر - رحمه الله - بأن (هذه الأمة - وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية - فهي سابقة لهم في الآخرة؛ بأنهم أوّل مَنْ يُحْشَر، وأوّل مَنْ يُحَاسَب، وأوّل مَنْ يُقْضَى بينهم، وأوّل مَنْ يدخل الجنة) أ.هـ.

الخصوصية العاشرة

اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ¹

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبِيَّ وَنَسَبِي)

أولاً : اختلف علماء الحديث في هذا الحديث : فمن قائل بتضعيفه ومن قائل بتحسينه أو تصحيحه ؛ ولكثرة طرق الحديث وتنوع مخارجه حكم عليه ابن الملقن في " البدر المنير " (7 / 487 - 490) بالصحة ، ومثله فعل الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2036) ، وحكم عليه محققو مسند أحمد بالحسن بشواهده.

ثانياً : على القول بأن الحديث مقبول ، صحيح ، أو حسن ، فيقال في بيانه:

1/ إن معنى النسب : في الحديث هو ما كان عن طريق الولادة ، ومعنى السبب : هو ما كان عن طريق المصاهرة ، وقد جاء في بعض الروايات (صهري) بدلاً من (سبي) ، ولذا فقد ذكر الحديث طائفة من العلماء في فضائل معاوية رضي الله عنه ، فقد روى الخلال في كتابه " السنة " (2 / 432) عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال : قلت لأحمد بن حنبل أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم (كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي) ؟ قال : بلى ، قلت : وهذه لمعاوية ؟ قال : نعم ، له صهر ونسب ، قال : وسمعت ابن حنبل يقول : ما لهم ولمعاوية ، نسأل الله العافية.

2/ ليس الحديث في فضل من كان كافراً وله صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سواء كانت نسباً أو مصاهرة.

¹ - ملخصاً من موقع الإسلام سؤال وجواب.

3/ معنى الحديث أن نسبه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع يوم القيامة ، وهو يعني : أنه يستفيد منه أهله ، ولا شك أن المقصود به هم أهله المؤمنون .

قال ابن كثير - رحمه الله - في ذكر خصائص نسب النبي صلى الله عليه وسلم - : "(ومن الخصائص : أن كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبره يوم القيامة إلا نسبه وسببه وصهره صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ).

قال أصحابنا : قيل : معناه إن أمته ينتسبون إليه يوم القيامة ، وأمم سائر الأنبياء لا تنتسب إليهم .

وقيل : يُنتفع يومئذ بالانتساب إليه ، ولا يُنتفع بسائر الأنساب ، وهذا أرجح من الذي قبله ، بل ذلك ضعيف ، قال الله تعالى (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) النحل (89) ، وقال تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) يونس(47) ، في أي كثيرة دالة على أن كل أمة تدعى برسولها الذي أرسل إليها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب)¹ .

4/ ولا يتعارض هذا المعنى للحديث - عند من يحسنه أو يصححه - مع الأحاديث التي تُخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته بضرورة العمل والطاعة وأنه لا يملك لهم شيئاً ؛ لأن المراد بذلك أنه لا يملكه من تلقاء نفسه إلا أن يملكه الله تعالى إياه .

والمراد - أيضاً - : أن النسب نفسه لا ينفع صاحبه بذاته إلا أن يكون معه عمل وطاعة ، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) رواه مسلم .

¹ - الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - (ص 342 - 344) .

قال النووي - رحمه الله - : "معناه : مَنْ كان عمله ناقصاً : لم يُلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال ، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل"¹.

وعليه : فعند من يرى صحة الحديث يكون معناه عنده أن كل الأنساب تنقطع فائدتها ويتلاشى نفعها مما كان حالها في الدنيا ، فلا ينفع أحدٌ أحداً بنسبه إلا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سيكرمه به ربُّه ؛ حيث سينفع نسبه وصهره بما يشفع لهم من الخير من بعد أن يأذن الله تعالى ويرضى ، وأما أن يكون ذات النسب بدلاً عن الطاعات والأعمال : فهذا مما لا يكون ، والنصوص الواضحة البينة تبين خطأه.

¹ - شرح مسلم 22 / 17 (" ، 23 .)

المبحث الثالث

مجموعة من الخصائص المتعلقة به ﷺ بدخول الجنة

الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بفتح باب الجنة له قبل جميع الأنبياء والمرسلين.

الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بمنزلة الوسيلة.

الخصوصية الثالثة : جمع الله تعالى له ﷺ بين النبوة والشهادة.

الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأنه أول مَنْ يشفع في دخول أُمَّته الجنة قبل الناس.

الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جعل أُمَّته أكثر أهل الجنة.

الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بدخول سبعين ألفاً من أُمَّته الجنة بغير حساب.

الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة.

الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأنه ضمن الجنة لأصحاب بيعة العقبة.

الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأنه باع الجنة وعثمان رضي الله عنه اشترى.

الخصوصية الأولى

اختصاصه ﷺ بفتح باب الجنة له قبل جميع الأنبياء والمرسلين

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فيقولُ الخازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيقولُ: بَكَ أَمِرتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ) رواه مسلم.

وفي رواية عند مسلم أيضا (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا).

الحديثان يدلان على أن أول من يدخل الجنة هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأول من يدخلها من الأمم أمته صلى الله عليه وسلم ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة) متفق عليه؛ وفي هذا دليل على فضل هذه الأمة¹.

الخصوصية الثانية

اختصاصه ﷺ بمنزلة الوسيلة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) رواه مسلم.

¹ - شرح حديث: أنا أول الناس يشفع في الجنة - الشيخ د. عبدالله بن حمود الفريح - شبكة الألوكة.

وفي رواية عند أحمد (إذا صليتم عليّ فسلوا الله لي الوسيلة . قيل : وما الوسيلة يا رسول الله ! قال : أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو).

شيخ الإسلام -رحمه الله- يقول: هنا قول النبي ﷺ: (سلوا لي الوسيلة) ليس المراد أنه يطلب من أمته الدعاء، أو له حاجة إلى المخلوقين. يقول: إنما هو تعليم لأُمَّته ما ينتفعون به في دينهم، وبسبب ذلك التعليم والعمل بما علّمهم يُعْظِمُ الله أجره؛ فإننا إذا صلينا عليه مرة صلى الله علينا عشرًا، وإذا سألنا الله تعالى له الوسيلة حلّت لنا الشفاعة يوم القيامة. يقول: وكل ثواب يحصل لنا على أعمالنا فله مثل أجرنا، من غير أن يُنقص من أجرنا شيء¹؛ فإنه ﷺ قال: (مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر مَنْ تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) رواه البخاري.

الخصوصية الثالثة

جمع الله تعالى له ﷺ بين النبوة والشهادة

عن أنس: "أن امرأة يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: (ما كان الله ليُسَلِّطَكَ على ذاك)؛ قالوا: ألا نقتلها؟ قال: (لا)، قال: (فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله، صلى الله عليه وسلم)؛ متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهري من ذلك السم)؛ رواه البخاري.

¹ - قاعدة جلية في التوسل والوسيلة - لابن تيمية - (1/285) .

يقول الزرقاني في "شرح المواهب اللدنية": "ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته؛ لأنهم قالوا: "إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً استرحنا منه"، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته حتى قيل: إن اليهودية أسلمت، ثم نقض عليه بعد ثلاث سنوات لإكرامه بالشهادة.

وقال أحد العلماء : ومعني قوله صلى الله عليه وسلم : **(فهذا أوانٌ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَهْرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ)** أي: هذا وَقْتُ شَعَرْتُ فيه بِقُرْبِ انْقِطَاعِ أَهْرِي - وهو العِرْقُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ، فإذا انْقَطَعَ لم يَكُنْ مَعَهُ حَيَاةٌ - بسببِ ذلك السُّمِّ، وكان ذلك بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ أَكْلِهِ منها تُقَارِبُ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَجَمَعَ اللهُ تَعَالَى له بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَمَقَامِ الشَّهَادَةِ؛ فمات نَبِيًّا شَهِيدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والتَّوْفِيقُ بَيْنَ هذا وَبَيْنَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: **(وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** [المائدة: 67]: أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْقَتْلِ عَلَى وَجْهِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَأَنَّهُ بَعْدَ هذه الْأَكْلَةِ مَكَثَ سِنِينَ يُجَاهِدُ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَاتِ، وَأَمَّنَ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ، وَبَقِيَ أَثَرُ السُّمِّ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللهُ بِالشَّهَادَةِ بِسَبَبِهِ.

الخصوصية الرابعة

اختصاصه ﷺ بأنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فجعل النبي والنبيان يَمْرُون معهم الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سوادا كثيراً سدَّ الأفق ، فرجوتُ أن يكون أمتي ، فقليل : (هذا موسى وقومه) قيل : انظر إلى الأفق ، فإذا سواد يملأ الأفق ، ثم قيل لي : (انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء ، فإذا سواد قد ملأ الأفق) ، فقليل : (هذه أمتك ، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب ، تضيء وجوههم إضاءة القمر)** رواه البخاري ومسلم.

وسبقت الرواية عند مسلم أيضا (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا) .

وفيه دلالة على كثرة أتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء، وكثرة الأتباع يوم القيامة توجب أفضلية المتبوع.

وجاء عند الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه : (أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى زَادَ نَبِيِّهِ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ).

الخصوصية الخامسة

اختصاصه ﷺ بأنه أول مَنْ يشفع في دخول أُمته الجنة قبل الناس

من تكرم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أَنَّ أُمَّتَهُ - وَإِنْ تَأَخَّرَ وجودها بين الأمم - إِلَّا أَهْمَا تَسْبِقُ الْأُمَمَ فِي الْفَضْلِ وَفِي التَّعْجِيلِ بِالْحِسَابِ، وفي دخول الجنة، وفيه عدة أحاديث:

1 - فقد دل حديث الشفاعة الطويل على أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أُوذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِي إِرَاحَةِ النَّاسِ جَمِيعًا مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، كَانَ أَوَّلَ مَا يَطْلُبُهُ هُوَ إِدْخَالَ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ، فَيَأْذِنُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِإِدْخَالِ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، والشاهد من الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعْ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمِّي يَا رَبِّ، أُمِّي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري، ومسلم.

2 - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَي: الْآخِرُونَ زَمَانًا، الْأَوَّلُونَ مَنْزِلَةً - ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بِيَدِ

أَتَّهَمُوا أَوْثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ) رواه مسلم.

الخصوصية السادسة

اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جعل أمته أكثر أهل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال : (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ ، قلنا : نعم، فقال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ ، قلنا : نعم ، فقال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟ قلنا : نعم ، فقال : والذي نفس محمد بيده ، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) رواه البخاري.

وفي رواية: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري، ومسلم.

وورد ما يشير إلى أن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة : عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنَ سَائِرِ الْأُمَمِ) رواه الترمذي ؛ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

ومعنى ذلك: أن المستجيبين لدعوة النبي ﷺ أكثر من الذي استجابوا للرسول قبلنا.

وقال ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ) رواه البخاري، ومسلم. وقوله: (كَالرَّقْمَةِ): الرَّقْمَةُ: قطعة بيضاء تكون في باطن عضو الحمار والفرس، وتكون في قوائم الشاة.

قال ابن الدماميني رحمه الله تعالى: (مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ): هذا في المحشر، وأما في الجنة، فهم نصف الناس هناك، أو ثلثاهم¹.

وقال أحمد بن إسماعيل الكوراني رحمه الله تعالى: "(مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ)" يريد الناس كلهم المؤمن والكافر، وإلا فهم أكثر أهل الجنة.

فإن قلت: أيُّ فائدة لذكر هذا الكلام؟ قلت: إشارة إلى ما منَّ الله عليهم، فإنهم مع قلتهم في الناس هم أكثر أهل الجنة، ونحمد الله على أن جعلنا من هذه الأمة².

الخصوصية السابعة

اختصاصه ﷺ بدخول سبعين ألفاً من أمته الجنة بغير حساب

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُؤَ مَعَهُ الْأُمَّةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤَ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤَ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤَ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤُ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ انْظُرِي إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلَمْ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتُمُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) رواه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

وفي رواية (قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسَابٍ).

¹ - مصابيح الجامع. (113 / 7) .

² - انتهى من "الكوثر الجاري. (249 / 6) "

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الخصوصية الثامنة

اختصاصه ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي) رواه البخاري.

وقد اختلف العلماء في معنى قوله: (روضة من رياض الجنة):

القول الأول: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة؛ لأنه موضع من مواضع الجنة وروضة من رياضها.

والثاني: أن العبادة فيه تؤدي بصاحبها إلى الجنة.

قال ابن بطال: (الروضة في كلام العرب المكان المطمئن من الأرض فيه النبت والعشب، وإنما عنى صلى الله عليه وسلم أن ذلك الموضع للمصلي فيه، والذاكر الله عنده والعامل بطاعته كالعامل في روضة من رياض الجنة، وأن ذلك يقود إلى الجنة)¹.

¹ - شرح البخاري لابن بطال 3 / 184.

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما بينَ بيَتي وَمِنْبري رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبري عَلَى حَوْضي) رواه البخاري).

روضة من رياض الجنة فقال قوم معناه: أن البقعة ترفع يوم القيامة فتجعل روضة في الجنة.

وقال آخرون: هذا على المجاز قال أبو عمر-ابن عبد البر- كأفهم يعنون أنه لما كان جلوسه وجلوس الناس إليه يتعلمون القرآن والإيمان والدين هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتنى فيها وأضافها إلى الجنة؛ لأنها تقود إلى الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم: (واعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) رواه البخاري، يعني: أنه عمل يوصل به إلى الجنة، وكما يقال: الأم باب من أبواب الجنة يريدون أن برّها يوصل المسلم إلى الجنة مع أداء فرائضه، وهذا جائز سائغ مستعمل في لسان العرب والله أعلم).¹

قوله: (وَمِنْبري عَلَى حَوْضي)، أي: ينقل المنبر الذي كان عليه أثناء هذه الكلمة وأثناء هذه المقالة يوم القيامة فينصب على حوضه عليه الصلاة والسلام.

الخصوصية التاسعة

اختصاصه ﷺ بأنه ضمن الجنة لأصحاب بيعة العقبة

من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ضمن الجنة لبعض الصحابة²، وهذا ما حصل لأهل بيعة العقبة، فعن عبادة بن الصامت قال: (كنت ممن حضر العقبة الأولى وفيه فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا

¹ - التمهيد 2/ 287.

² - هذه الخصوصية وما بعدها نقلتها بتصريف من كتاب مفاهيم يجب أن تصحح - للسيد العلامة محمد بن علوى المالكي رحمه - الباب الثاني - مباحث نبوية وفيها بيان خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

نأتي بهتان عظيم نفتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ، قال : فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر)¹.

وجاء في الصحيح التصريح بأن تلك البيعة مشروطة بالجنة ، قال عبادة ابن الصامت : (إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننهب بالجنة إن فعلنا ذلك) رواه البخاري².

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه نعليه ، فقال له : اذهب فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله فبشره بالجنة) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

وجاء في رواية عن جابر رضي الله عنه إنه قال : (فقلنا: يا رسول الله، علامَ نُبَيعُكَ؟ قال: تُبَيعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَعَلَى

1 - ذكره ابن كثير في باب بدء إسلام الأنصار (السيرة ج2 ص176).

² - وللحديث روايات أخر وعن قتادة أنهم قالوا : يا رسول الله ! فما لنا بذلك إن وفينا ؟ قال : الجنة اهـ (البداية ج3 ص162) وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة وعلي)) .. رواه الطبراني أنظر (كنز العمال ج1 ص63) ومجمع الزوائد (ج6 ص47). وعن عتبة بن عمرو الأنصاري أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة وعلي)). .. رواه ابن أبي شيبة وابن عساكر - أنظر كنز العمال (ج1 ص67) .

أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَتْرَبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَرْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ
الْجَنَّةُ¹.

قال الحافظ ابن حجر : ولأحمد من وجه آخر عن جابر قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله
ﷺ فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ) .. اهـ (فتح الباري ج 7
ص 223) ، رواه أحمد [مجمع الزوائد ج 6 ص 48] أي أخذت البيعة وأعطيت الجنة.

قلت (محمد علوي) : وقد جاء في رواية أخرى التصريح بما هو أبلغ من ذلك قال جابر : إن
النبي ﷺ قال لهم : تباعوني على السمع والطاعة إلى أن قال : ولكم الجنة ، قال : فقالوا : والله لا
ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً فبايعناه فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . قال
الهيثمي روى أصحاب السنن طرفاً منه ، رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح اهـ .
(مجمع الزوائد ج 6 ص 46).

الخصوصية العاشرة

اختصاصُهُ ﷺ بأنه باع الجنة وعثمان رضي الله عنه اشترى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بيع
الحق حيث حفر بئر معونة وحيث جهز جيش العسرة) رواه الحاكم في مستدركه (ج 3
ص 107) وصححه.

وكل عاقل يدري أن الجنة لله سبحانه وتعالى لا يملكها أحد ولا يتصرف فيها أحد مهما كانت
قيمته ودرجته لا ملك ولا نبي ولا رسول ولكن الله يمن على رسله ويعطيهم من المنح التي تميزهم

¹ - أخرجه أحمد (14653) واللفظ له، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) (49/6)، وابن حبان (6274) وصححه
شعيب الأرنؤوط في تخريجه لمسند أحمد.

عن غيرهم وذلك لكرامتهم عنده وعلو مقامهم لديه ، فتنسب إليهم تلك العطايا وتضاف إليهم تلك التصرفات على جهة التكريم والتعظيم والاحترام والتقديم ، ومن هذا المنطلق جاء التعبير في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يقطع أرض الجنة أو يضمن الجنة أو يبيع الجنة أو يبشر بالجنة مع أن الجنة لله سبحانه وتعالى لا يشك في ذلك ولا يرتاب إلا جاهل ليس عنده أدنى معرفة بأبسط مسائل العلم.

فائدة: قال العلامة أبو النجاح أحمد بن علي الميني في منظومته مواهب الحبيب في نظم خصائص الحبيب:

قَدْ خُصَّ فِي الْعُقْبَى الرَّسُولُ أَحْمَدُ	مُصْبَاحُ هَذَا الْكَوْنِ طَهَ السَّيِّدُ
بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنَشَقُّ	ذِي الْأَرْضِ عَنْهُ إِذْ يَقُومُ الْخَلْقُ
وَأَنَّهُ عِنْدَ حَصُولِ الصَّعَقَةِ	أَوَّلُ مَنْ يُفِيْقُ فَاعْلَمْ صِدْقَهُ
وَأَنَّهُ فِي يَوْمِ حَشْرِ الْمَلِكِ	يُحْشَرُ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ
وَبِاسْمِهِ فِي مَوْقِفٍ يُؤَدَّنُ	وَبِالرَّكُوبِ لِلْبَرَاقِ يُؤَدَّنُ
وَيُكْتَسَى ثَمَّةٌ أَعْظَمُ الْخُلَلِ	مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ مَوْفُورَ الْأَمَلِ
وَعَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ حَقًّا يَقِفُ	وَلِحَمُودِ الْمَقَامِ يُزَلَّفُ
بِيَدِهِ حَقًّا لَوَاءُ الْحَمْدِ	فَخَرَّ يَجِلُّ وَصَفَهُ عَنْ حَدِّ
تَحْتَ اللَّوَاءِ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ	كَذَا بَنُوهُ الْأَنْبِيَاءُ أُولُو الْخَطَرِ

إِمَامُ رَسُلِ اللَّهِ وَهُوَ الْقَائِدُ	لِلْأَنْبِيَاءِ؛ وَهُوَ الْخَطِيبُ الْحَامِدُ
أَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ لِلْمَعْبُودِ	وَمَنْ لَهُ يُؤْذَنُ فِي السَّجُودِ
وَقِيلَ كُلُّ سَاجِدٍ لِلَّهِ	يَرْفَعُ رَأْسَهُ بِلَا اشْتِبَاهِ
أَوَّلُ شَافِعٍ مَشْفَعٍ وَمَنْ	فِي غَيْرِهِ يُسْأَلُ فِي يَوْمِ الْحَسَنِ
وغيرُهُ بِنَفْسِهِ مُشْتَغِلٌ	إِذْ عَظُمَ الْخُطْبُ وَعَمَّ الْوَجَلُ
وُخِّصَ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى لَدَى	فَصَلَّ الْقَضَا مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ غَدَا
كَذَا فِي الْإِدْخَالِ بِلَا حِسَابٍ	قَوْمًا لِدَارِ الْخُلْدِ وَالْمَأْبِ
كَذَاكَ فِي مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّارَ أَنْ	يَنْجُوَ مِنْ دُخُولِهَا وَمِنْ مَحْنِ
كَذَا بَرَفِجِ دَرَجَاتٍ زَمْرَةٍ	فِي الْغُرُفَاتِ وَقُصُورِ الْجَنَّةِ
كَذَا بِإِخْرَاجِ عَمُومِ أُمَّتِهِ	مِنْ نَارِ رَبِّهِ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ
كَذَاكَ بِالْعَفْوِ عَنِ التَّقْصِيرِ	فِي طَاعَةِ الْمُقْتَدِرِ الْخَبِيرِ
فِي صَلَاحِ قُصُورِ الطَّاعَةِ	فَبَلَغُوا الْكَمَالَ بِالشَّفَاعَةِ
كَذَاكَ بِالتَّخْفِيفِ فِي الْحِسَابِ	فِي يَوْمِ مَوْقِفِ بِلَا ارْتِيَابِ
كَذَا بِتَخْفِيفِ عَذَابِ النَّارِ	عَمَّنْ ثَوَّأُوا فِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ
وَاخْتِصَّ أَنَّهُ عَلَى الصِّرَاطِ	أَوَّلُ مَنْ يَجِيزُ بِاغْتِبَاطِ

أَوَّلُ مَنْ يقرُعُ بابَ الجنةِ	نبُّنا كما أتى في السنَّةِ
أَوَّلُ مَنْ يدخلُها وتدخلُ	من بعده الزهرا كما قد نقلوا
وخصَّ بالكوثرِ والحوضِ وقد	حكوا خلافاً في الأخيرِ إذ وردُ
في الأنبياءِ أنَّ لكلِّ حوضاً	لكنَّ حوضه يزيدُ عرضاً
وأكثرُ الحياضِ وارداً غداً	حوضَ النَّبيِّ المصطفى كنزِ الهدى
وخصَّ في الجنةِ بالوسيلةِ	مرتبةً سنِّيةً جليَّةً
وقال بعضُ إنَّها التوسُّطُ	للخلقِ في نفعٍ بهم يرتبطُ
فلا ينالُ أحدٌ عطيةً	إلاَّ له فيها يدٌ جليَّةُ
منبرُهُ الشريفُ فوقَ ترعةِ	سنِّيةٍ من ترعاتِ الجنةِ
له قوائمٌ غدتْ رواتِباً	فيه كما أتى بذلك النِّبا
وبين قبره وبين المنبرِ	روضةٌ جنةٍ كما في الخبرِ
لا يطلُبُ اللهُ من المختارِ	شهادةً تبليغٍ ولا انذارِ
وهو الذي للأنبياءِ يشهدُ	حقاً على أقوامهم إن جحدوا
جميعُ أنسابِ الورى تنقطعُ	غدا وكلُّ سببٍ لا ينفعُ
إلاَّ نسبُهُ وإلاَّ سببُهُ	يا فوزَ عبدٍ بهما قد قرَّبَهُ

أَوَّلُ مَنْ يقرعُ بابَ الجنةِ كما مضى بيانه للمُثَبِّتِ

بدخوله يقومُ الخازنُ ولم يَقمَ للغيرِ فيما بينوا

ولا يقومُ بعده لأحدٍ خصيصةً لذا النبيِّ الأَمجدِ

اللهم نور بصائرنا وافتح مسامع قلوبنا وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

الخاتمة

لخص بعض العلماء الخصائص النبوية بكلام رائع بعبارات جميلة فقال :

(قيل: إنّ الله عَظَمَ شأنَ مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - في آيتين أعلمه فيهما رضاه عنه وأعطاه سؤله ومناه من غير سؤال منه ولا رغبة تقدمت منه فقال تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة ١٤٤] , وقال في الآية الأخرى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رُبُّكَ فَمَرْضَى} [الضحى: ٥] فمنحه رضاه وأعطاه مُناه في جميع ما يهواه ويتمناه, وغيره من الأنبياء عليهم السلام سألوا وطلبوا رضى مولاهم, وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "لما أنزلت هذه الآية: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب ٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك" , وخصه مع الرضى بالرحمة والرأفة فقال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ...} {الآية [آل عمران: ١٥٩] وكان رقيق القلب, وأمر الله تعالى موسى - عليه السلام - بالملاينة لفرعون لما كان فيه من الفظاظة والغلظة وقال له ولأخيه: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا} [طه ٤٤] , وذكر عن مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - الملاينة والرأفة وأمره بضدّها فقال: {وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة ٧٣] وإنّ لكلّ مقام مقالاً, والذي اشتهر من حال موسى عليه الصلاة والسلام الحدة وقلة التماسك عند ورود الملمات عليه كما فعل في إلقاء الألواح وفي أخذه برأس أخيه ولحيته وجره إليه, وروى زيد بن (أسلم) عن أبيه: "أن موسى - عليه السلام - كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً" من شدة غضبه ذكره الثعلبي, ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بُولغ في أذاه وفي خلافه وعداوته حتى ألقوا على ظهره السّلا والفرث والدّم وهو ساجد, وضربوه حتّى أدموه إلى غير ذلك من أصناف الأذى فعلاً وقولاً, فقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» , فكان عاقبة الصّبر النصر, وأثنى الله تعالى عليه - صلى الله عليه وسلم - في سَعَةِ خُلُقِهِ وحسن سيرته وجميل صبره فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] ؛ وأما شوقه -

صلى الله عليه وسلم - إلى ربّه تعالى ولقائه فإنّه حين جاءه نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأكمل له الدّين وأتم عليه النعمة، وكان العيش عند ذلك مطلوباً وطول البقاء في الدنيا محبوباً مَرَضَ فَخَيَّرَ بين الحياة وبين لقاء ربّه، فاختار لقاء ربّه ولم يزل يقول: «الرفيق الأعلى»¹.

(كل معجزة وفضيلة ومنقبة حصلت للأنبياء فبكمال نبوتهم؛ وكمال نبوتهم كان بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والإقرار برسالته والعزم على نصره لو خرج وهم أحياء وبذلك أخذ الله عليهم الميثاق والعهد في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران: ٨١].

وكذلك كل كرامة وفضيلة ومنقبة حصلت لأحد من الأمة إنما حصلت له بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ومتابعته والأخذ بهديه فلولا الإيمان بمحمد وبرسالته لم تتم معجزة لنبي ولا (كرامة) لأحد من الأمة فعلى هذا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كلها معجزات له وكرامات مُضافة إليه زائدة في مناقبه وفضائله صلى الله عليه وسلم).

(ومن خصائص محمد - صلى الله عليه وسلم - أن كل معجزة لنبيّ فله من جنسها مثلاً وأعظم وأتم وأكمل، وكل كرامة لوليّ من الأمم السالفة فلاولياء أمته مثلاً وأعظم وأتم وأكمل كما قد أشرنا إليه، على أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي له، لأن الله تعالى أخذ عليهم الميثاق لئن جاءهم ليؤمننّ به ولينصرنّه، فكان إيمانهم به ودعوتهم لأمرهم إلى الإيمان به إن أدركوه معجزةً له

¹ - من لطائف وأسرار (خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام) (مرتبا بالآيات والسور) - المؤلف: جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السُّرْمَرِي - جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش.

خصيصةً به، فإنهم لما التزموا الميثاق بالإيمان به وبالاتباع له وأوصوا بذلك اتباعهم صارت المعجزة والفضيلة له عليهم، فمهما أظهر الله تعالى على أيديهم من الخوارق فهو بواسطة الإيمان به واتباعه، كما أن كل كرامة لوليٍّ من أمة من الأمم هي مضافة إلى معجزاتٍ متبوعه من الأنبياء كما أشرنا إليه، فإن الكرامات لا تحصل إلا بمتابعة الرسل صلى الله عليهم وسلم، وتصديقهم، والتزام طريقتهم¹.

وأختم كتابي بما ختم به العلامة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود الشُّرْمَرِي كتابه : (خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام) حيث قال رحمه الله تعالى:

(قد ذكرنا من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - في هذا المختصر ما اشتهر ومن معجزاته العُزْر ما أنافَ على الشمس والقمر؛ ومن كرامة منزلته عند ربه ما حيرَ البشر؛ ومن جلالة قدره عند بارئه ما أذهل وبهر؛ على أن وَصَفَ ما فيه من المعجزات العجيبة ورصف ما جمَعَ من المنقبات الغريبة لا يمكن جمعه في الدفاتر؛ ويعجز حصره أصحاب المحابر؛ ثم لا بد من سياق معجزاته لتثبت النبوة وتقوم الحجة؛ ولا غنى عن ذكر شمائله وأخلاقه ليقتدى به؛ ولا بد من تبليغ أوامره ونواهيه ليطاع، ويتم به الانتفاع؛ فقد ظهرت آياته وثبتت معجزاته؛ وتجلّت أقمار أخلاقه في بروج سعود سماء سماته، وظهرت ظهور النيزين أعلام أوامره ونواهيه في أرض الله وسماواته؛ ولم يبق إلا التصديق برسالته؛ والاقتفاء لآدابه وسيرته؛ والقيام بأعباء شريعته؛ والدخول في طاعته؛ وأنشد لسان الحال بالحق لا المحال:

فالآن قد تم هلال العلى ... وصار في مطلعهِ بدرًا

¹ - المرجع السابق.

فهارس المراجع

• القرآن الكريم.

أولاً : كتب التفسير :

- 1- تفسير الطبري.
- 2- تفسير القرطبي.
- 3- تفسير ابن كثير.
- 4- تفسير السعدي.
- 5- تفسير البغوي.
- 6- تفسير ابن عاشور.
- 7- التفسير الكبير - للرازي.
- 8- التفسير الوسيط - لمحمد سيد طنطاوي.

ثانياً : كتب الحديث وشروحها:

- 1- صحيح البخاري.
- 2- صحيح مسلم.
- 3- سنن الترمذي.
- 4- صحيح سنن الترمذي - للعلامة الألباني.
- 5- السنن الصغرى - للنسائي.
- 6- صحيح النسائي - للعلامة الألباني.

- 7- سنن أبي داود.
- 8- صحيح سنن أبي داود - للعلامة الألباني.
- 9- تخریج سنن أبي داود - للعلامة شعيب الأرناؤوط.
- 10- سنن ابن ماجه.
- 11- صحيح سنن ابن ماجه - للعلامة الألباني.
- 12- السنن الكبرى - للنسائي.
- 13- موطأ مالك.
- 14- سنن الدارمي.
- 15- صحيح ابن خزيمة.
- 16- صحيح ابن حبان.
- 17- مسند الإمام أحمد.
- 20- تخرج مسند الإمام أحمد - للعلامة أحمد شاكر.
- 21- تخریج مسند الإمام أحمد - للعلامة شعيب الأرناؤوط.
- 22- سنن الدارقطني.
- 23- تخریج سنن لدارقطني - للعلامة شعيب الأرناؤوط.

24- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - للتقي الهندي.

25- السنن الكبرى - للبيهقي.

26- المعجم الكبير - للطبراني.

27- الجامع الصغير - للسيوطي.

28- المعجم الصغير - للطبراني.

29- المستدرک على الصحيحين - للحاكم النيسابوري.

30- تخرج أحاديث الإحياء - للحافظ العراقي.

31- فتح الباري بشح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني.

ثالثاً : كتب الخصائص النبوية والشمائل المحمدية :

1- الخصائص الكبرى - للسيوطي.

2- أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب ﷺ - للسيوطي.

3- مواهب المجيب بنظم خصائص الحبيب - لأبي النجاشي أحمد بن علي المنيني

الحنفي - (ت 1172) وهو نظم لكتاب أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب.

4- الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، للترمذي؛ شمائل الرسول صلى الله عليه

وسلم، لابن كثير.

5- صفة النبي صلى الله عليه وسلم وجميل أخلاقه، محمد بن عبد الواحد

المقدسي،.

6- خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب - للعلامة يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي.

7- دراسة في اقتران اسم الله تعالى باسم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم - للشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش الياضي.

8- تهذيب كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم - تأليف العلامة أبي المكارم أفندي من علماء الدولة العثمانية - ص (37) - تحقيقي وتعليقي.

9- مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه في سورة الأحزاب - للدكتور عبد الله الخطيب.

10- من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم والسنة النبوية - أ د / حسن السيد حامد خطاب.

رابعاً : المواقع الإلكترونية :

1- الشبكة الإسلامية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

2- الموسوعة الحديثية - موقع الدرر السنية - المشرف العام: علوي بن عبد القادر السقاف.

3- الإسلام سؤال وجواب - المشرف العام: الشيخ محمد صالح المنجد.

4- شبكة الألوكة الشرعية.

فهارس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة.	3
2	العناوين العامة لفصول الكتاب.	7
3	التمهيد : بيان مفهوم علم الخصائص وأقسامه وفوائده وأهم المؤلفات.	9
4	الفصل الأول : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى فضله على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.	15
5	الفصل الثاني : الخصائص المتعلقة باختصاصه ﷺ بمعجزته الخالدة القرآن الكريم.	24
6	مدخل : وجوه إعجاز القرآن الكريم.	25
7	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى له جمع جميع مراتب الوحي.	28
8	الخصوصية الثانية : أن القرآن هو معجزته ﷺ وهي باقية ومحفوظة إلى يوم الدين.	32
9	الخصوصية الثالثة : أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف.	34
10	الخصوصية الرابعة : أن القرآن أنزل من سبعة أبواب من السماء.	35
11	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن كتابه فضّل بالمفصل.	35
12	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بالفاتحة وخواتيم سورة البقرة.	36
13	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأن القرآن أنزل عليه مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع.	36
14	الخصوصية الثامنة: نزول سورة الأنعام كاملة جملة واحدة يشيعها جمع من الملائكة.	37
15	الخصوصية التاسعة :اختصاصه ﷺ بأن في كتابه الناسخ والمنسوخ.	38
16	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن جعل كتابه مهيمنا على الكتب السابقة.	39
17	الخصوصية الحادية عشرة : اختصاصه ﷺ بتيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه على أمته.	39

40	الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ بالثواب العظيم لمن يقرأ حرفاً من القرآن.	18
42	الخصوصية الثالثة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الملك يضع فمه على فم قارئ القرآن.	19
43	الخصوصية الرابعة عشرة: اختصاصه ﷺ بأن جعل الله تعالى أهله من الناس أهل القرآن	20
44	الخصوصية الخامسة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن جعل الله تعالى القرآن شفيعاً يوم القيامة	21
44	فائدة : نظم أبو نجاح ما ورد من خصائص في هذا الفصل.	22
46	الفصل الثالث : الخصائص التي أعطاها ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج.	23
48	مدخل : توضيحان مهمان حول معجزة الإسراء والمعراج.	24
49	المحور الأول : إثبات معجزة الإسراء والمعراج من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وكلام العلماء.	25
51	المحور الثاني : الرواية الصحيحة لمعجزة الإسراء والمعراج.	26
54	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن شق له صدره في تلك الليلة المباركة.	27
54	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية سدره المنتهى.	28
55	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتكليم الله تعالى إياه.	29
56	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن رفعه الله إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام.	30
57	الخصوصية الخامسة: اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بإمامة الأنبياء في بيت المقدس.	31
58	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأنه رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية.	32
59	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بأن أظهر الله تعالى علاقته بجبريل.	33
60	الخصوصية الثامنة: اختصاصه ﷺ بأن فرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.	34
61	الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بتسليم ملائكة السموات عليه ﷺ.	35

36	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بلقائه ببعض الرسل عليهم السلام في السموات.	62
37	الخصوصية الحادية عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة بدخول الجنة.	63
38	الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية نهر الكوثر.	64
39	الخصوصية الثالثة عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية البيت المعمور فوق السماء السابعة.	64
40	الخصوصية الرابعة عشرة : اختصاصه ﷺ في تلك الليلة المباركة برؤية بعض المعذبين في النار.	65
41	الخصوصية الخامسة عشرة : أعظم تلك الخصائص كلها أن الله تعالى اختصه ﷺ برؤيته.	66
42	فائدة : نظم أبو نجاح ما ورد من خصائص في هذا الفصل.	68
43	الفصل الرابع : الخصائص التي أعطاها النبي ﷺ لإظهار علو رتبته على جميع الأنبياء والرسول عليهم السلام.	70
44	الخصوصية الأولى: أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا به ﷺ وينصرونه.	72
45	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن الأنبياء قبله بشروا أقوامهم ببعثته.	74
46	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأنه ذُكر في الكتب السابقة.	76
47	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأن الله جل وعلا اتخذ خليلاً.	80
48	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بندااء ربّه له بأعزّ أوصافه.	82
49	الخصوصية السادسة: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قدّمه بالذكر على جميع أنبيائه في أغلب آيات القرآن.	83
50	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أمر الأمة بتوقيره ﷺ.	84
51	الخصوصية الثامن: اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أكرمه الله بالنبوة وآدم منجدل في طينته.	86
52	الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى ختم به النبيين.	88

89	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى خلق خاتم النبوة بين كتفيه.	53
90	الخصوصية الحادية عشرة : اختصاصه ﷺ بأن رسالته عامة لجميع الإنس والجن.	54
93	الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ بعلم لم يكن لأحد من الأنبياء قبله.	55
96	الخصوصية الثالثة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الله تولى الدفاع عنه على خلاف الأنبياء السابقين.	56
104	الخصوصية الرابعة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى وملائكته يصلُّون عليه وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ.	57
111	الخصوصية الخامسة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الملائكة تزور قبره كل يوم وليلة لتصلي عليه.	58
112	الخصوصية السادسة عشرة : اختصاصه ﷺ ببعثته في خير قرون الدنيا.	59
116	الخصوصية السابعة عشرة : اختصاصه ﷺ ببيانه لصفة الدجال لأمته.	60
117	الخصوصية الثامنة عشرة : اختصاصه ﷺ بأن الدجال ممنوع من دخوله مدينته.	61
117	فائدة : نظم العلامة أبو النجاشي أحمد بن علي الميني جملة كبيرة من الخصائص التي ذكرها في هذا الفصل.	62
119	الفصل الخامس : الخصائص التي أعطاها النبي ﷺ لإظهار علو رتبته على أولي العزم من الرسل وغيرهم من الرسل عليهم السلام.	63
122	مدخل.	64
124	المبحث الأول: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الفضائل.	65
125	الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام في مقام الإمامة.	66
126	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق ببناء الكعبة المشرفة وإعمارها.	67
128	الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي إبراهيم عليه السلام من الجود والكرم.	68
129	المبحث الثاني : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي موسى عليه السلام من الفضائل	69

	والمعجزات.	
130	الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بأفضل من معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام.	70
130	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأعظم من طلب موسى عليه السلام رضا ربه وشوقه إليه.	71
132	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأصحاب أفضل من أصحاب موسى عليه السلام في الحكم بالعدل.	72
133	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بتوريث أصحابه أفضل مما ورثه أصحاب موسى عليه السلام من الأرض.	73
136	المبحث الثالث : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي عيسى عليه السلام من الفضائل والمعجزات.	74
137	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من وجاهة في الدنيا والآخرة.	75
138	الخصوصية الثانية: اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من الزهد في الدنيا.	76
139	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأعظم من المائدة التي دعا بها عيسى عليه السلام.	77
140	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأصحاب هم أفضل من حواربي عيسى عليه السلام.	78
141	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأعظم من رفع عيسى عليه السلام إلى الله تعالى.	79
142	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأعظم مما أوتي عيسى عليه السلام من العصمة من الأعداء.	80
145	المبحث الرابع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي نوح عليه السلام من الفضائل.	81
146	المبحث الخامس : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي صالح عليه السلام في شأن الناقة.	82
148	المبحث السادس : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام من الفضائل.	83
149	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في امتلاك خزائن الأرض وحسن التدبير.	84

150	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في كمال عقله وحسن عفوه.	85
151	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يوسف عليه السلام في شوقه للقاء ربه.	86
152	المبحث السابع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الفضائل والمعجزات.	87
153	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من الملك.	88
154	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من معرفته بلغات الحيوانات.	89
156	الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأفضل من عرش بلقيس الذي أوتي سليمان عليه السلام.	90
158	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي سليمان عليه السلام من تسخير الشياطين له.	91
160	المبحث الثامن: اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي يحيى عليه السلام من الفضائل.	92
161	الخصوصية الأولى: اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام الحكم وهو صبي.	93
162	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأفضل مما أوتي يحيى عليه السلام في كونه كان سيداً وحصوراً.	94
164	المبحث التاسع : اختصاصه ﷺ بما هو أفضل مما أوتي إدريس عليه السلام من الفضائل.	95
165	الفصل السادس : الخصائص المتعلقة بإرساله ﷺ رحمة للعالمين وكونه منة على المؤمنين وكونه أمانة لأصحابه.	96
166	الخصوصية الأولى: اختصه الله تعالى بإرساله ﷺ رحمة للعالمين.	97
175	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن جعله الله تعالى منة على أمته.	98
176	الخصوصية الثالثة: اختصاصه ﷺ بأن الله جعله أمانة لأصحابه.	99

178	الفصل السابع: اختصه الله تعالى بأن أقسم به ﷺ وله تشريفا وتعظيما له ولرسالته وكتابه.	100
179	الخصوصية الأولى : أقسم الله تعالى بعمره الشريف ﷺ.	101
180	الخصوصية الثانية : أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه من المرسلين وعلى صراط مستقيم.	102
182	الخصوصية الثالثة : أقسم الله تعالى له بكمال عقله ﷺ تشريفا له وتكريما.	103
185	الخصوصية الرابعة : أقسم الله تعالى له ﷺ بنفي الضلال عنه تشريفا له وتكريما.	104
189	الخصوصية الخامسة : أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه ما ودعه ولا قللاه تطمينا له وتكريما.	105
192	الخصوصية السادسة: أقسم الله تعالى له ﷺ بأنه جاء بالقرآن من عند ربه دفاعا عنه.	106
196	الخصوصية السابعة : أقسم الله تعالى ببلده الأمين تشريفا وتكريما له ﷺ.	107
200	الفصل الثامن : خصائصه ﷺ الواردة في سورة الأحزاب.	108
201	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى وصفه بالنور وبالسراج المنير.	109
207	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بولايته العامة على المؤمنين.	110
209	الخصوصية الثالثة : اقتران أذية الرسول ﷺ بأذية الله تعالى.	111
212	الفصل التاسع : خصائصه ﷺ الواردة في سورة الفتح.	112
213	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بالفتح الديني والدنيوي.	113
215	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى بشره بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر.	114
219	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بتمام النعمة.	115
219	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بالهداية الكاملة إلى الصراط المستقيم.	116
220	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بالنصر العزيز الذي لم يحصل لنبي قبله.	117
221	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أنابه عنه في البيعة يوم الحديبية.	118
225	الفصل العاشر: اختصاصه ﷺ بأن الله أمده بالملائكة في غزواته وجعلها تشناق لرؤيته.	119
226	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أمده بالملائكة في غزواته ﷺ.	120
229	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ باستئذان ملك القطر ربه ليسلم عليه ﷺ.	121
230	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن الملائكة تتشرف بنصره على كل من عاداه.	122

232	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بنزول إسرائيل عليه السلام ليبشره ببشارتين.	123
232	الخصوصية الخامسة: اختصاصه ﷺ بنزول ملك الجبال عليه السلام لينصره على أعدائه.	124
234	الخصوصية السادسة: اختصاصه ﷺ بأن الملائكة كانت تمشي خلفه وعن يمينه توقيراً له.	125
235	الفصل الحادي عشر : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه ﷺ في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.	126
236	مدخل : بيان جواز قرن اسمه الشريف باسمه ﷺ باسم الجلالة.	127
238	الخصوصية الأولى : اختصاصه بأن الله تعالى قرن اسمه باسمه ﷺ في الآيات القرآنية.	128
243	الخصوصية الثانية : اختصاصه بقرن اسمه ﷺ باسمه تعالى في الأحاديث النبوية.	129
250	الفصل الثاني عشر : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة.	130
254	الفصل الثالث عشر : اختصاصه ﷺ بكثرة أسمائه الشريفة ﷺ.	131
255	شرح (42) من أسمائه الشريفة ﷺ.	132
271	فائدتان : الفائدة الأولى : نظم المادح الشهير المصري بعض أسمائه الشريفة ﷺ.	133
272	الفائدة الثانية : كلام مختصر منقول من مقدمة النبهي لمنظومته (أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل) ؛ واقتباس من بعض أبياتها.	134
277	الفصل الرابع عشر : اختصاصه ﷺ بذكر جميع أعضائه في القرآن وبجمال صورته الظاهرة وشدة هيئته ﷺ.	135
278	الخصوصية الأولى : اختصاصه بأن الله تعالى ذكر أعضائه الشريفة ﷺ في القرآن الكريم.	136
279	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن ربه تعالى كمل صورته الخلقية الظاهرة.	137
283	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن أعطاه الله تعالى قوة بدنية معجزة.	138
285	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أعطاه حسن الصوت وعلوه إلى درجة الإعجاز.	139
288	الفصل الخامس عشر : اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات والدلائل الباهرات.	140
290	مدخل : بيان حقيقة المعجزة.	141

292	المبحث الأول : المعجزات الحسّية :	142
293	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بكثرة المعجزات.	143
293	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بتسليم الحجر عليه قبل البعثة.	144
294	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بانشقاق القمر آية له ﷺ.	145
296	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بشهادة الشجر له بالنبوة والرسالة.	146
297	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بحنين الجذع له واشتياقه له.	147
298	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ تكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان الفارسي .	148
299	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بتحريك الجبل فرحاً به ﷺ.	149
299	الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بسقوط الأصنام بمجرد إشارته ﷺ.	150
301	المبحث الثاني : المعجزات المعنوية : الخصوصية الأولى : أخلاقه العظيمة ﷺ.	151
302	الخصوصية الأولى : أخلاقه العظيمة ﷺ.	152
305	الخصوصية الثانية : إن ما جاء به الرسول ﷺ من تشريع يدل أنه أرسل للعالمين.	153
306	الخصوصية الثالثة : أن النبي ﷺ قد نشأ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ومات كذلك.	154
309	الخصوصية الرابعة : اختصّ النبي ﷺ باختيار أصحابه.	155
313	الخصوصية الخامسة : أوقع الله حبه ﷺ العظيم في قلوب جميع من آمنوا به وصحبوه.	156
317	الخصوصية السادسة : لم يحفظ التاريخ سيرة رجل في العالم كما حفظ سيرته ﷺ.	157
319	الخصوصية السابعة : لم يوجد رجل في الأرض كلها لا يزال المؤمنون يقتدون به في كل حركاته وسكناته ﷺ.	158
320	الخصوصية الثامنة : لم يوجد على ظهر الأرض أحد نال من الحب والتكريم مثله ﷺ.	159
324	فائدة : أبيات من منظومة مواهب المحيب فيما في هذا الفصل.	160
325	الفصل السادس عشر : اختصاصه ﷺ ببعض الخصائص في شريعته الخاتمة.	161
326	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأن الله حجب الشياطين عن السموات لبعثه.	162
330	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بإعطائه حق التشريع دون غيره من المرسلين.	163

332	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن شرعه مؤيد إلى يوم القيامة وناسخ لجميع الشرائع قبله.	164
333	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ أن شاتمته يقتل سواءً كان مسلمًا أو كافرًا.	165
337	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أحل الغنائم له ولأمته.	166
339	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بالاصطفاء من الغنيمه.	167
341	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض.	168
342	الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بأنه أحل له القتال في مكة ساعة من نهار.	169
342	الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بالنصر بالرعب مسيرة شهر.	170
344	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن جعلت له ولأمته الأرض مسجدًا وطهورًا.	171
347	الخصوصية الحادية عشرة : أن أجر الصلاة في مسجده ﷺ يحسب بأجر ألف صلاة.	172
347	الخصوصية الثانية عشرة : اختصاصه ﷺ وأمته بيوم الجمعة وساعة الجمعة.	173
351	الفصل السابع عشر : اختصاصه ﷺ بجواز التبرك به وبآثاره.	174
361	الفصل الثامن عشر : اختصاصه ﷺ بأن عُرِضَتْ عليه الأمم عامة وأمته وأعمالهم خاصة وعرضت عليه الجنة والنار.	175
362	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ أن صلاة أمته عليه تُعرض عليه.	176
365	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى عرض عليه أعمال أمته حسننها وسيئها.	177
366	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بأن عُرِضَ عليه بالقتال الذي سيقع بين أفراد أمته.	178
367	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بعرض أعمال أمته عليه في حياته البرزخية.	179
369	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأن عرضت عليه الجنة والنار.	180
370	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن أكرمه الله بأن عرض عليه الأنبياء السابقين وأئمتهم.	181
372	الفصل التاسع عشر : اختصاصه ﷺ بأنواع من العصمة والحفظ والرعاية والعناية الإلهية.	182
373	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بعصمة الله تعالى له من أن يغتاله أحد من الإنس والجن.	183

379	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بمزيد عناية الله تعالى به.	184
382	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بشق له صدره عدة مرات عناية به من رب الأرض والسموات.	185
385	فائدتان : الفائدة الأولى : بيان الحِكم من شق صدره الشريف ﷺ.	186
387	الفائدة الثانية : نظم أبو النجاح لحادثة شق صدره الشريف ﷺ.	187
387	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بحماية الله تعالى له من محاولة الشياطين قتله.	188
389	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بإسلام شيطانه.	189
391	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الشيطان لا يتمثل به.	190
392	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأن الغمامة والشجرة كانت تظله من حر الشمس في سفره قبل النبوة.	191
393	الفصل العشرون : الخصائص التي اختصَّ الله عزَّ وجلَّ نبيه محمداً ﷺ في الآخرة.	192
395	المبحث الأول : اختصاصه الله تعالى بعدد من الشفاعات ﷺ.	193
396	مدخل.	194
397	الخصوصية الأولى : شفاعته ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء.	195
401	الخصوصية الثانية : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار.	196
402	الخصوصية الثالثة : شفاعته ﷺ في رفعة درجات بعض أهل الجنة.	197
404	الخصوصية الرابعة : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.	198
404	الخصوصية الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة.	199
406	الخصوصية السادسة : شفاعته ﷺ في أقوام قد أمرَ بهم إلى النار ألا يدخلوها.	200
407	الخصوصية السابعة : شفاعته ﷺ في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة.	201
409	الخصوصية الثامنة : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه.	202
410	المبحث الثاني : مجموعة من الخصائص النبوية المتعلقة بعرضات القيامة.	203
411	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.	204

412	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بالسيادة والإمامة.	205
413	الخصوصية الثالثة : اختصاصه ﷺ بكونه قائداً للأنبياء وحامل لوائهم يوم القيامة.	206
414	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بسجوده تحت العرش وثنائه على الله تعالى.	207
415	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بقيامه عن يمين العرش.	208
416	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بشهادته مع أمته على الأمم بتبليغ أنبيائهم وقيام الحجة عليهم.	209
416	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أول من يعبر الصراط من الرسل بأمته.	210
417	الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ بنهر الكوثر.	211
421	الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأن أمته أول الأمم يقضي بينها وأولها حساباً.	212
422	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ.	213
425	المبحث الثالث : مجموعة من الخصائص المتعلقة به ﷺ بدخول الجنة.	214
426	الخصوصية الأولى : اختصاصه ﷺ بفتح باب الجنة له قبل جميع الأنبياء والمرسلين.	215
426	الخصوصية الثانية : اختصاصه ﷺ بمنزلة الوسيلة.	216
427	الخصوصية الثالثة : جمع الله تعالى له ﷺ بين النبوة والشهادة.	217
428	الخصوصية الرابعة : اختصاصه ﷺ بأنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.	218
429	الخصوصية الخامسة : اختصاصه ﷺ بأنه أول مَنْ يشفع في دخول أمته الجنة قبل الناس.	219
430	الخصوصية السادسة : اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جعل أمته أكثر أهل الجنة.	220
431	الخصوصية السابعة : اختصاصه ﷺ بدخول سبعين ألفاً من أمته الجنة بغير حساب.	221
432	الخصوصية الثامنة : اختصاصه ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة.	222
433	الخصوصية التاسعة : اختصاصه ﷺ بأنه ضمن الجنة لأصحاب بيعة العقبة.	223
435	الخصوصية العاشرة : اختصاصه ﷺ بأنه باع الجنة وعثمان رضي الله عنه اشتري.	224
436	فائدة: أبيات من منظومة مواهب الجيب فيما ورد في هذا الفصل.	225

440	الخاتمة.	226
443	فهارس المراجع.	227
447	فهارس الموضوعات.	228